

قصة مدينة



0096986



Bibliotheca Alexandrina

قصة مدينة

القدس

تأليف
يحيى الفرحان



سلسلة الكتب الفلسطينية ٦

تمويل من (Library of the Alexandria Library (2004)

Publisher's Information

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
دائرة الثقافة بمتظمة التحرير الفلسطينية



قبة الصخرة - القدس
(أواخر القرن الماضي)

مكرتير التحرير ومنسق المشروع
حسين العودات

حقوق الطبع محفوظة للتأليفين

المحتوى

الفصل الأول :	
المدخل والاطار العام	٧
الفصل الثاني :	
التاريخ والسمات الحضارية للمدينة	١٣
الفصل الثالث :	
البيئة الجغرافية	٢٩
الفصل الرابع :	
الطابع الاسلامي العالمي للمدينة المقدسة	٤٩
الفصل الخامس :	
الانقلاب السكاني للمدينة المقدسة	٩١
الفصل السادس :	
تغير البنية الاقتصادية للمدينة	١١١
الفصل السابع :	
التصفية الحضارية للمدينة المقدسة	١٢٩

اهتمت المؤتمرات الثقافية والندوات على مستوى الوزراء والمسؤولين والخبراء العرب، بالحفاظ على الثقافة العربية الفلسطينية والتراث الفلسطيني، وتحديدما وتعريف الأجيال الناشئة بهما، وبمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني، واعتمد المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومجلسها التنفيذي، مخططاً متعدد الجوانب، متنوع الأساليب، للوصول إلى هذا الهدف. وقد تمت تهيئة الشروط المناسبة، لتنفيذ هذا المخطط، الذي يشمل إصدار دراسات علمية في إطار مشروع (سلسلة المدن الفلسطينية)، بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بهدف إعطاء فكرة جامعة عن هذه المدن، تتضمن واقعها الجغرافي، وطورها العمراني عبر العصور، وتاريخها، وأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ورصد التاريخ الحضاري لسكانها، ليستفيد منها الطالب والعامل، والمثقف والمختص على حد سواء، ولتبقى وثيقة حية في ذاكرة الأمة العربية.

وإن هذا المشروع، الذي يعتبر عملاً قومياً وثقافياً، يمثل جانباً من نشاط المنظمة في المجال الفلسطيني، ومساهمة في بناء الثقافة الفلسطينية، وتقوية عرى العلاقة بين الفلسطينيين ووطنهم. وإني أشيد هنا بالجهود الطيبة التي تبذلها دائرة الثقافة بمنظمة التحرير، وبالعامل العلمي المسؤول الذي تقوم عليه هيئة التحرير لإصدار كتب هذه السلسلة القومية.

ومن الله التوفيق

الدكتور محي الدين صابر

المدير العام

للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الفصل الأول

المدخل والإطار العام

تواجه المدن والريف والبادية في فلسطين المحتلة معركة حضارية من أضخم ما عرفت في أي وقت من تاريخها. وحتى الآن نحجم عن تسمية الأشياء بسمياتها الصحيحة، كما نتحرج فيما يبدو عما قد يحسبه بعضهم زجا بالعلم في السياسة، ومزجا للشخصية بالموضوعية، ويتعلل هذا الواقع في غياب المجابهة بالرد العلمي والموضوعي لتأكيد الهوية الحضارية الأصيلة للنظم الحضرية (المدن) والريفية (القرى) والبادية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ويأتي كتاب «مدينة القدس» لإيضاح خطأ وخطر مثل هذه النظرة، في الوقت الذي يجابهنا الكيان الصهيوني بتيار متدفق من البحوث التي تهدف إلى تزييف البنية الحضارية للنظم الحضرية والريفية والبدوية وبخاصة بعد حرب عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧. وتركز تلك الدراسات على إخفاء الطابع الحضاري المميز للعمران الفلسطيني وباديته في الزمان والمكان وإضفاء طابع خلاصي دخیل لا ينتمي إلى تراث المنطقة وحضارتها^١، بل يتعارض حتى مع النشئة الحضارية القديمة.

١ - من تلك الدراسات:

Smith, C.G., 1968, Israel after the Jun War, Geog. 23, 315- 19.

Amiran, D.H.K., A. Shachar, I. Kimhi, 1973, Urban Geography of Jerusalem. A Companion Volume of the Atlas of Jerusalem, Massada Pres, Jerusalem.

Gratus, Y., 1976, Factorial ecology in a «Controlled» Urban System :the Case of Metropolitan Haifa,

Grossman, D. and Safrai, Z., 1980, Satellite Settlements in Western Samaria, Geog. Rev., 70, 446-51.

والحقيقة ان مدنتنا وريفنا وباديتنا تمر في مرحلة خطيرة من التصفية الحضارية، مما يفرض علينا دراسة جوانبها المختلفة وتحليلها للخروج بنتائج ونظرة إلى المستقبل. وسنرى ان دراسة المدينة المقدسة (القدس) على النحو الوارد في هذا الكتاب لن يخرج بنا عن دائرة العلم والموضوعية البحتة، ولن يشوه جيوبوليتيكا مدينة القدس (أو أي مدينة فلسطينية أخرى)، بل العكس هو الصحيح تماماً.

والذي يجب تأكيده هنا هو أهمية البعد الجيوبوليتيكي والتاريخي والحضاري مدخلاً لأي دراسة جادة للمدن الفلسطينية، وواقعها الراهن، والتغيرات التي فرضها عليها الاحتلال الصهيوني سواء في التركيب الداخلي أو في المظهر الخارجي، بهدف تغيير السمة الحضارية لها، وصياغته بما يتلائم وأهداف الفكر الصهيوني والمخططات الصهيونية في التهويد الكامل. فالتاريخ والحضارة كما قيل هما معمل المتخصص في الجيوبوليتيكا، وهما كذلك مخزن المختص في الدراسات الاستراتيجية الذي لا ينضب. كل منهما يستمد مادته ويجري عليها تجاربه. وبالنسبة للجيوبوليتيكي بالذات، فإن التاريخ إذا كرر نفسه، فهذا التكرار هو الجيوبوليتيكا بحد ذاتها. وكما عبر حمدان^١، «فإن الجيوبوليتيكا هي الجذر الجبري للتاريخ، وعملية استقطاب له وتركيز. أكثر من هذا ليس التاريخ إلا جيوبوليتيكا متحركة. . . وعلى هذا الأساس تقوم الدراسة الراهنة لمدينة القدس. . . فهي دراسة في

- , 1981a, The relationship between settlement pattern and resource utilization: the case of North-eastern Samaria, Trans. Inst. Brit. Geogr., 6, 19-38.

- 1981b, The bunched settlement pattern- Western Samaria and the Hebron mountains. Trans. Inst. Brit. Geogr., 6, 491-505.

- , 1982, Northern Samaria: A process- pattern analysis of rural settlement, Canadian Geographers, Vol. XXVI, 2, 110-127.

Shmueli, A., 1970, The Sedentarization of the Bedouin of the Judean Desert, Tel- Aviv, Gomah (Hebrew) pp. 52- 60.

- 1976, Bedouin rural Settlement in Eretz- Israel, in: Geography in Israel, Submitted to the 23 rd International Geographical Congress, Moscow, U.S.S.R.

١ - جمال حمدان، ١٩٦٧، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، الهلال، القاهرة، ١٩٦٨، استراتيجية الاستعمار والتحرير، الهلال، القاهرة، ص ٧ - ١١.

الجيوپولتيكا بأبعادها الحضارية والسياسية والتاريخية والمعاصرة، مضافاً إليها البعد المكاني أو الجغرافي، حيث لا يمكن في هذا المجال فصل البعد الزمني عن البعد المكاني، لاسيما وأن البعد التاريخي والسياسي لفلسطين والوطن العربي قديماً وحديثاً ما هو إلا محصلة بعدين أساسيين هما: الموقع والموضع، الموقع الاستراتيجي الخطير، والموضع بثرواته وموارده. مع سيادة البعد الأول منذ فجر التاريخ وحتى نهاية القرن التاسع عشر، ثم تظافر البعد الأول (الموقع) والبعد الثاني (الموضع) منذ بداية القرن العشرين ومع تفجر الثروة النفطية. وقد كان أحد أبعاد ظهور الكيان الصهيوني على أرض فلسطين تحقيق الهيمنة على الموقع والموضع للوطن العربي من خلال السيطرة على فلسطين قلب الوطن العربي، وعلى النواة النووية للإسلام والعقيدة (القدس - الخليل). ويؤكد هذا الاتجاه أن الصهيونية منذ انشائها كفكرة، وظهور الكيان الصهيوني في المحتل من أرضنا تخطط استراتيجيتها على أساس مجموعة من العوامل الجيوپولتيكية والجغرافية والتاريخية والحضارية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية.

ويحمل الخوض في مثل هذه الدراسات الكاتب عبئاً كبيراً، لما تتطلبه من خلفية متعمقة (وربما تفوق قدرة الكاتب والقارئ معاً) في العلوم الانسانية على المستويين النظري والتطبيقي، وبخاصة في التاريخ الحضاري، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، مع ضرورة توافر المهارة العلمية لاستقطابها واختزالها معاً وبتريز حتى يتمكن الباحث من التعرف إلى شخصية المدينة المقدسة واقليةها في الماضي والحاضر والمستقبل، وبأبعادها المختلفة فلسطينياً وعربياً وإسلامياً.

ويجب أن لا يغيب عن الأذهان عند تناول المدينة المقدسة وأي مدينة فلسطينية أخرى بالدراسة، حقيقة الكيان الصهيوني - اسرائيل - علمياً وموضوعياً والذي يمكن ايجازه فيما يلي:

تزامنت الحركة الصهيونية (أو الحملة الصليبية الجديدة) منذ بدايتها مع آخر موجة من موجات الاستعمار الاوروبي الحديث والتي استهدفت السيطرة على افريقيا المدارية، إلا أن تحقيق اهداف الحركة الصهيونية في انشاء الدولة اليهودية تزامن مع نهاية عصر الاستعمار بوجه عام. والصهيونية منذ بدايتها في الحقيقة حركة سياسة

(الصهيونية السياسية)، ولكنها تقنعت منذ اللحظة الأولى بالدين (الصهيونية العاطفية) لتخلق من رؤيا العودة إلى أرض الميعاد ايديولوجية تاريخية ودينية تجمع يهود الشتات حولها. وكان من المستحيل تحقيق هذا الحلم لولا مساعدة قوى الامبريالية العالمية. ومن هنا التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخياً على طريق واحد وهو طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة. فيكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة وحليفاً مضموناً يخدم مصلحة الامبريالية وذلك ثمناً لخلقها وضماناً لبقائه^(١).

وقد مرتكوين اسرائيل بثلاث مراحل هي: التغلغل، والغزو، والتوسع. فقد تغلغل المهاجرون بموجات تسلسل ترتب عليها تكوين نواة من اقلية يهودية مع نهاية القرن التاسع عشر، وانتزاع موطن، قدم بسياسة شراء الاراضي المخطط لها مسبقاً. وبهذا تكونت نواة المجتمع اليهودي غير المشروع مع بداية القرن العشرين في فلسطين. أما مرحلة الغزو، فتم فيها الاغتصاب الشامل للأرض بعد نواطز بريطانيا مع الصهيونية وانسحابها من فلسطين عام ١٩٤٨. وبعد حرب مع الفلسطينيين تم طرد مليون فلسطيني خارج الأرض المحتلة، رافقها تدفق المهاجرين اليهود من الشتات ليتجمع آنذاك مليوناً يهودي صهيوني يمثلون ١٣٪ من يهود العالم. وبهذا استطاعت الحركة الصهيونية بالعنف والديسيسة والخداع أن تحول التاريخ القزمي المسوخ (لأن وجود اليهود في فلسطين تاريخياً لم يكن سوى جملة معترضة في تاريخها) إلى جغرافية، والزمان إلى مكان، والفكرة إلى دولة^(٢).

وانطلاقاً من أهمية المكان (أو المجال الحيوي بالمفهوم النازي والصهيوني) كمتغير استراتيجي في العقليّة الصهيونية، صرح بن جوريون بأن هذه الدولة - اسرائيل - ليست الهدف النهائي... كما انها لا تحل المشكلة لليهود بمساحتها، ولكنها مرحلة مهمة لتحقيق الأهداف الصهيونية العظمى^(٣) - دولة اسرائيل من الفرات إلى النيل -. وقد ترتب على ذلك السلب السريع لأراضي الفلاحين الفلسطينيين العرب في اسرائيل. حيث انخفضت حصة الفلاح الفلسطيني من

١ - جمال حمدان، ١٩٦٨، مرجع سابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٦.

٢ - كامل زهيري، ١٩٦٨، نحو استراتيجية عربية جديدة، المصورة: نحن العرب، العدد السنوي من التوعية العربية.

٣ - تهاني ملسة، ١٩٦٩، بن جوريون، سلسلة دراسات فلسطينية، بيروت، ص ٥١.

١٥,١ دونماً عام ١٩٤٥ إلى ٥,٥ دونماً عام ١٩٦٤ . وانخفض متوسط نصيب الفرد الفلسطيني العربي من الأراضي المزروعة من ٨,٤ دونماً عام ١٩٤٥ إلى ٢,٢ دونماً عام ١٩٦٤ ، بينما وصل متوسط حصة الفلاح الصهيوني ١٠,٨ دونماً عام ١٩٦٤^(١).

وكنتيجة لحرب حزيران عام ١٩٦٧ ، أصبحت مساحة إسرائيل تعادل ثلاثة أضعاف مساحتها قبل الحرب ، وبلغ عدد السكان العرب (في الضفة الغربية ، والجولان ، وغزة ، وسيناء ، بالإضافة إلى عرب فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨) ١,٤ مليون نسمة مقابل ٢,٤ مليون صهيوني^(٢) . وقد رافق الانقلاب الديموغرافي في فلسطين بعد عام ١٩٦٧ ظهور استراتيجية جديدة في الاستيطان الصهيوني تتمثل في :

١ - ضم مدينة القدس العربية إلى القدس المحتلة عنوة لتوحيد المدينة المقدسة ، مع الإسراع في تغيير التركيب الداخلي ، والمظهر الخارجي للقدس العربية وهوامشها التي تضم مناطق مخيمات لاجئي عام ١٩٤٨ . وكذلك الإسراع في بناء المستوطنات وفق نموذج يختلف عن نهج الاستيطان في الأراضي المحتلة الأخرى (كما سيتضح لاحقاً) ، بهدف تغيير المظهر الحضاري العربي والإسلامي للمدينة ، ثم التهويد الكامل .

٢ - الاستمرار في الاستيلاء على الأراضي ومصادرتها ، والموارد الطبيعية الأخرى (المياه ، التربة ، النبات الطبيعي) ، والمواضع الطبوغرافية الاستراتيجية في الأراضي المحتلة ، وإنشاء شبكة من المستوطنات الصهيونية وفق نظام تخطيطي يهدف إلى تحطيم شبكة المدن والقرى الفلسطينية ، والقضاء على وظائفها الاقتصادية والاجتماعية . وكذلك ربط المدن والقرى الفلسطينية بالمدن والمستوطنات الصهيونية . وقد اتخذت شبكة الاستيطان انماطاً طولية وعرضية وانتشارية بهدف تطويق المراكز العمرانية الفلسطينية وعزلها بعضها عن البعض الآخر سواء في الضفة الغربية ، أو الجليل ، أو النقب .

١ - جالينا تكتينا ، ١٩٦٩ ، دولة إسرائيل ، كتاب الهلال ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٢ - Smith, C.G., 1968, Op. Cit., 316-319 .

٣ - السيطرة على المواقع الاستراتيجية العسكرية ببناء مستوطنات على ذرى التلال والجبال الفلسطينية، وفي الأغوار لتقوم بدور الهجوم والعوائق البشرية أثناء الحرب، والدفاع عن مراكز الثقل العمراني الصهيوني في إقليم الساحل الفلسطيني. وكانت المحصلة النهائية لهذا النمط الاستيطاني الجديد سواء حول القدس أو في الضفة الغربية ما يلي:

أ - الغاء نقاط الضعف في الخارطة الاسرائيلية والتي كانت مهيمنة قبل عام ١٩٦٧.

ب - تهويد مدينة القدس، وتهويد الأراضي الخلاء شرقي جبال نابلس والقدس، وضرب العقيدة في مركزها أو نواتها النووية أي في إقليم القدس - الخليل. وتظهر انماط الاستيطان الأنفة الذكر في المنطقة وكأنها اصابع تشير وتؤكد «هنا يتواجد مقتل فلسطين».

وعند تحليل نمط الاستيطان الصهيوني في الأراضي المحتلة نجده يتلخص في التأكيد على ايجاد اقطاب حضرية (مدن) وصناعية ترتصف حولها نويات المراكز العمرانية الريفية. ويتخلل هذا النمط أو يتداخل مع شبكة العمران الريفي والحضري الفلسطيني، مع مراعاة ربط شبكة الاستيطان الصهيوني بكافة رتبها، والمراكز العمرانية الفلسطينية بالمتروبول المركزي المتمثل في القدس لأحكام السيطرة على عرب فلسطين في مدنهم وقراهم وباديتهم. وستؤكد هذه الدراسة التي تتناول مدينة القدس الوجه الحضاري الحقيقي للمدينة ببعديه العربي والاسلامي الذي يتعرض للتصفية المتسارعة سواء في هيكلها الداخلي أو في مظهرها الخارجي، وفي قلب المدينة وهوامشها.

الفصل الثاني

التاريخ والسمات الحضارية

أ - التفرد التاريخي والحضاري للقدس :

تعد القدس ظاهرة حضارية فذة تتفرد فيها دون سواها من مدن العالم ، وبحار من الباحثين كل من يحاول استشفاف أسباب نشأة هذه المدينة المقدسة ، والتعرف إلى الخصائص الجغرافية الفريدة التي يتمتع بها كل من الموقع والموضع ، حتى وقع الاختيار عليهما دون سواهما ليكونا مقراً لواحدة من أقدم وأقدس المدن على ظهر الأرض . ولا بد أن يكون لكل هذه الظاهرة الحضارية الفذة أسباب ومبررات هي سر خلودها واستمرارها آلاف السنين ، رغم كل ما حل بها من نكبات وحروب أدت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها ثماني عشرة مرة في التاريخ^(١) . ومن الغريب أنها كانت تخرج من كل محنة أعظم وأكبر من سائر أسلافها ، وكأنها تنمو وتزدهر وتزداد رسوخاً وأصالة كلما عظم مصابها وتفاقت محنها . ولعل ذلك دليلاً على إصرار المدينة المقدسة على البقاء والاستمرارية ، وهو إصرار لم يسبق له مثيل . فمئذ أن قامت القدس الأولى «مدينة السلام» الكنعانية قبل نحو ٥٠٠٠ سنة وحتى اليوم^(٢) وهي فلسطين محط أنظار البشرية ابتداء من عصر المحلية الحضارية (حيث نشأت الحضارات المستقرة الأولى في فلسطين ووادي النيل والرافدين) وحتى عصر الحضارة

١ - صلاح بحيري ، ١٩٧٣ ، جغرافية الأردن ، مطبعة الشرق ومكتبتها ، عمان ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

عارف العارف ، ١٩٥١ ، تاريخ القدس ، القاهرة ، ص ١٨٥ .

٢ - مصطفى مراد الدباغ ، ١٩٧٥ ، بلادنا فلسطين ، الجزء التاسع ، القسم الثاني : في بيت المقدس ، بيروت ، ص ٥ .

العالمية (الحضارة العربية الإسلامية)، حيث تعد فلسطين والمدينة المقدسة من وجهة النظر الانثروبولوجية الاجتماعية بحق «بيثة الحضارة العالمية» ومهد المسيحية والقبلة الأولى في الإسلام، وملتقى الحضارات العالمية وهمزة الوصل في حركة المواصلات العالمية. وليس من قبيل الصدفة إن كانت الخرائط الكنسية الوسيطة تضع القدس في صرة العالم حيث تتقابل آسيا وأفريقيا وأوروبا. وتحتل القدس والخليل في الوقت الحاضر المركز الهندسي في خريطة توزيع سكان العالم الإسلامي، فلا عجب إذن أن تقع أكبر المعارك التي عرفها العرب والمسلمون فوق أرض فلسطين وليس بعيداً عن القدس، أو على مرمى الحجر من فلسطين (معارك حطين وعين جالوت، وأجنادين واليرموك)، هذا فضلاً عن عشرات المعارك الفاصلة في تاريخ المنطقة قبل الإسلام، سواء أكانت المعارك محلية أم أجنبية، وثنية أم صليبية^١. ولا نبالغ إذا قلنا أنه ما من مدينة أو قرية في فلسطين إلا وشهدت ربوعها معركة تاريخية، تخرج منها المدينة المقدسة كمعادنها متجالية بحضارتها الأصيلة. ومن هنا تعد القدس «فلته حضارية» فترة تسطع على صفحة (المشهد) الطبيعي والحضاري للأرض ولا نظير لها في المعمورة.

وأكبر تلك المعطيات الحضارية للمدينة المقدسة، فإن اليهود الذين نزحوا عن بلاد العرب، وظلوا بعيدين عنها زهاء ألفي عام، أو الأوروبيين الذين تهودوا ومحاولون الآن الهيمنة على أرض العرب ومن خلال فلسطين وعاصمتها، فإنهم لن يكونوا قادرين على السيطرة على الموقع والموضع لفلسطين والعالم العربي، بل أنهم لا يصلحون للقيام بهذا الدور بحكم فلسفتهم وديانتهم الانطوائية، ووسائلهم في ممارسة حياة «الجيتو» والعزلة للتكيف مع مقتضيات وخصائص موقع وموضع القدس وفلسطين والعالم العربي. كذلك ليس بإمكانهم حمل رسالة الوصل بين الأمم والشعوب (وهي الرسالة التي حملتها المدينة المقدسة والعرب) وصلاً يقوم على العطاء قبل الأخذ، وعلى البلاغ قبل الانطواء، وعلى الإيثاردون الأثرة. ومهما طال الزمان فإن إقامة سلطة صهيونية في القدس وفلسطين لن يتوافق مع مقتضيات البيثة

١ - يحيى فرحان وآخرون، ١٩٨٥، المجتمع العربي، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، مسقط، ص ٢٦ - ٢٨.

الحضارية العالمية للمدينة المقدسة والتي هي سرخلودها واستمرارها. ومن هنا لا يعني استمرار المدينة المقدسة عبر التاريخ غير الملون، والتاريخ المكتوب، استمرار دولة صهيون، ولن تكون إسرائيل إلا ظاهرة مصطنعة لا يكتب لها التاريخ امتداد البقاء، لأنها ضد طبيعة الزمان والمكان الفريدين للقدس وفلسطين^(١).

ب - القدس : اسم عربي مستمر عبر العصور:

القدس هي المدينة المقدسة التي يقدمها أتباع الديانات السماوية الثلاث : اليهود والنصارى والمسلمون . فهي قبلة لهم ومصدر وحي ورمز لطموحاتهم . وتتجلى أحداث القدس التاريخية في الأسماء العربية المتعددة التي أطلقت عليها . وأقدم تلك الأسماء الاسم العربي الكنعاني «مدينة السلام» إذ عندما عمر الكنعانيون بيت المقدس قبل (٥٠٠٠) سنة دعوها بهذا الاسم نسبة إلى «سالم» أو «شالم / شاليم» إله السلام عندهم . وقد انتقل هذا الاسم إلى الأمم القديمة عن طريق العرافين الذين ذكروه بـ «أوروسالم» بمعنى مدينة السلام ، ثم حُرف فيما بعد إلى «يروشاليم» و«هير وسوليم» و«جير وزالم» وغيرها^(٢).

وقد وردت المدينة باسم «روشاليموم» في الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللعنة التي يرجع تاريخها إلى القرنين السادس عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وتذكر أسماء ملوك كنعانيين وعموريين من خصوم المصريين الذين كانوا يحكمون دولة المدينة (أورشليم) . وبين مراسلات تل العمارنة ست رسائل بعث بها «عبد - خيبا» ملك أورشليم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى فرعون مصر «أخناتون» ، الذي كانت فلسطين تحت سيطرته ، وهو في هذه الرسائل يشكو من قلة عدد الحامية المصرية في المدينة ويحذر من غارات جماعات البدو (الخاير و) أو (العير و) واستفحال خطرهم على البلاد^(٣).

١ - يحيى فرحان وآخرون، ١٩٨٥، المرجع السابق، ص ٣٨.

٢ - مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٥، المرجع السابق، ص ٥.

٣ - الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، المجلد الثالث، ص ٥١٠.

وقد ورد في التوراة اسم «أورشليم» التي تلفظ بالعبرية «يروشالاييم» أكثر من ٦٨٠ مرة، وهذه الكلمة مشتقة من الاسم الكنعاني العربي الأصلي. وتطلق التوراة كذلك على المدينة أسماء أخرى كثيرة هي: «شاليم» و«مدينة الله»، و«مدينة القدس» و«مدينة العدل»، و«مدينة السلام» وهي جميعاً نفس الاسم الكنعاني العربي. كما تذكر أحياناً باسم «يوس» أو «مدينة اليوسين» نسبة إلى اليوسيين من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، وهم من سكان القدس الأصليين الذين نزحوا من جزيرة العرب مع من نزع من القبائل الكنعانية قبل ٤٥٠٠ سنة ليستقروا في التلال المشرفة على المدينة القديمة.

واستمرت المدينة المقدسة تحمل الاسم الكنعاني العربي منذ ٣٠٠٠ سنة ق.م (سواء مدينة السلام، أو مدينة يوس أو أورشليم أو القدس أو بيت المقدس) وحتى الوقت الحالي. وعندما تمكن داود بن عيسى اليهودي من الاستيلاء على يوس (نحو ٩٩٧ أو ١٠٠٠ ق.م) غير اسمها الكنعاني العربي إلى «مدينة داود» ولم يستمر النفوذ السياسي لليهود على القدس أكثر من ٧٣ سنة^١، وانتهى اسم «مدينة داود» بانتهاء نفوذ اليهود ليعود إليها اسمها الكنعاني أورشليم أو القدس أو بيت المقدس في عهد الرومان لتقطع صلة اليهود بالقدس وفلسطين مدة ثمانية عشر قرناً متواصلة. ولم يسكن القدس بعد عام ١٣٥م يهودي واحد. واستمر هذا الوضع حتى عام ١٨٥٥ حينما نجح «متفوري» في الحصول على فرمان من السلطان العثماني سمح بموجبه لليهود بشراء أول قطعة أرض في القدس حيث أقيم عليها حي سكني يهودي في فلسطين وفي القدس بالذات. وبالرغم من ذلك فإن عدد اليهود في فلسطين عام ١٨٥٦ لم يتجاوز (١١٠٠٠) نسمة^٢.

وتجدر الإشارة إلى أن هدریان الروماني قد غير اسم مدينة القدس إلى اسم (إيليا). ولم يدم هذا الاسم أكثر من ٨٩ سنة (أي من ١٣٥م - ٣٢٤م) فقط. ويعني هذا أن اسم المدينة المقدسة بقي اسماً كنعانياً عربياً طوال التاريخ غير المدون والتاريخ

١ - مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٨.

٢ - أمين عبد الله محمود، ١٩٧٨، التوسع الاستعماري العربي وفكرة اليهودية (١٧٩٨ - ١٩١٧)، دراسات، المجلد ٥، العدد ١، ص ٢٣.



المكتوب للمدينة والذي يزيد على خمسة آلاف سنة. وطوال هذه الحقبة التاريخية لم يغير اسم المدينة إلا فترة لا تزيد على ١٦٢ سنة تمثل فترة سيطرة اليهود وجزءاً من فترة السيطرة الرومانية على المدينة. وسيظل اسم المدينة المقدسة عربياً كنعانياً بالرغم من رحيل العرب المؤقت عن القدس، فهذا ما أثبتته أحداث التاريخ طوال آلاف السنين.

جـ - موجز تاريخ القدس عبر العصور :

تعد القدس (مدينة السلام) من أقدم مدن الأرض في العصر التاريخي . فهي أقدم من بابل ونيوى، ولا يسبقها في القدم، على ما يلدو، إلّا «اون» (أو هليوبوليس بشمال القاهرة والتي اسماها العرب «عين شمس») . وترجع نشأة المدينة إلى ٣٠٠٠ ق.م^١ . وقد سكنها اليوسيون، إحدى القبائل الكنعانية من العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية مع من نزح من القبائل الكنعانية حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م . واحتلوا التلال المشرقة على المدينة القديمة . وقد ورد اسم ييوس في الكتابات المصرية الهير وغليفية باسم «يابثي» و«يابتي» وهو تحريف للاسم الكنعاني . وقد بنى اليوسيون قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من ييوس، سميت حصن ييوس، الذي يعد أقدم بناء في مدينة القدس، أقيمت حوله الأسوار وبرج عال في أحد أطرافه، للسيطرة على المنطقة المحيطة بييوس للدفاع عنها، وحمايتها من غارات العبرانيين والمصريين بزعامة ملكهم سالم اليوسي . وعرف حصن ييوس فيما بعد بـ«حصن صهيون» ، ويعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالأكمة، أو هضبة أوفل، وأحياناً بجبل صهيون . وقد أنشأ السلوقيون في موضع حصن ييوس قلعة منيعة عرفت باسم «قلعة عكرا» أو «أكرا» .

ومن الطبيعي أن يختار اليوسيون هذا الموضع لبناء حصنهم لأنه يتمتع بميزات استراتيجية طبيعية . فقد حبت الطبيعة هذا الموقع بأهم ما يحتاج إليه السكان، وهو الماء . ففي جوار الحصن شرقاً ينبع غزير في وادي قلدرون عرف باسم جيحون (نبع العذراء) ، وقد حفر اليوسيون نفقاً تحت الجبل لنقل مياه النبع إلى داخل الحصن . وهذا النفق نفسه هو الذي كراه الملك حزقيا (٧١٥ - ٦٧٦ ق.م .) ومنه من اتجأه الشمالي إلى جهة الغرب وأنشأ في نهايته الجنوبية بركة صارت تعرف بركة سلوام (سلوان)^٢ .

١ - مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٢٢ - ٢٤ .

٢ - الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، للجلد الثالث، ص ٥١٠ - ٥١٤ .

بقي حصن ييوس بيد الـيوسيين بعد مجيء الموسويين زهاء ثلاثة قرون لمعجز
الآخرين عن اقتحامه، حتى تولى ملكهم «داود» فجمع أنصاره كلهم وذهب معهم
إلى ييوس وقال لهم: من يحتل حصن الـيوسيين يكون رأساً وقائداً. فافتحمة بواب
بعد مقاومة ييوسية ضارية فصار رأساً.

وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة الانكليزية كاثلين م.
كينيون سنة ١٩٦١ في طبقات العصر البرونزي القديم من أكمة أوغل بالقدس عن
بقايا السور الأول الذي بناه الـيوسيون على جبل صهيون وأبرزت قسماً من أسس
الأبنية وتمديدات جر المياه إلى الحصن من عين جيحون. وكذلك كشفت الحفريات
عن بعض القبور وأواني الخزف من العهد البرونزي القديم حتى العهد الحديث.



استيلاء اليهود على القدس:

وهكذا لم يستطع اليهود الاستيلاء على حصن صهيون إلا في عهد داود الذي
اتخذ أورشليم عاصمة له وأطلق على الحصن اسم «مدينة داود». وكان أكثر سكان
المدينة في عهده من الـيوسيين والكنعانيين والعمرين والفلسطينيين. وقد ازدهرت
المدينة في عهد خليفته سليمان الذي شيد الهيكل بمساعدة المماريين الفنيقيين.

الحكم الفارسي:

استمرت سيطرة اليهود على اورشليم من عهد داود حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. إلى أن فتحها نبوخذ نصر (بختنصر) في سنة ٥٨٦ ق.م. ودمرها ونقل السكان اليهود إلى بابل (السي البابلي). وبعد أن استولى الفرس على سورية وفلسطين سمح الملك قورش سنة ٥٣٨ ق.م. لمن أراد من الأسرى اليهود بالرجوع إلى اورشليم وأمر باعادة بناء الهيكل.

الاسكندر المقدوني:

ظلت البلاد تحت الحكم الفارسي إلى أن فتحها الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق.م. وتأرجحت السيطرة على اورشليم في عهد خلفائه البطالمة والسلوقيين. وقد تأثر السكان في هذا العهد الهلينستي بالحضارة الإغريقية، وقام الملك السلوقي انطيوخوس الرابع حوالي سنة ١٦٥ ق.م. بتدمير الهيكل وأرغم اليهود على اعتناق الوثنية اليونانية. وكانت نتيجة ذلك أن اندلعت ثورة المكابيين ونجح اليهود في نيل الاستقلال بأورشليم تحت حكم الحاسمونيين من سنة ١٣٥ ق.م. حتى سنة ٧٦ ق.م.

الرومان:

بعد فترة من الفوضى استولى الرومان على سورية وفلسطين ودخل القائد الروماني يرمي اورشليم في سنة ٦٣ ق.م. وقد سمح الرومان لليهود بشيء من



بداية طريق الآلام.

الحكم الذاتي ونصبوا في سنة ٣٧ ق.م. هيرودس الأدومي الذي اعتنق اليهودية ملكاً على الجليل وبلاد يهوذا فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية.

وفي عهد الإمبراطور نيرون بدأت ثورة اليهود على الرومان، فقام



صعود السيد المسيح

القائد تيتوس في سنة ٧٠ م باحتلال
أورشليم وحرق الهيكل وفكك باليهود.
ولما قامت ثورة اليهود من جدد بقيادة
باركوخبا سنة ١٣٢ م، أسرع
الإمبراطور هادريانوس إلى إخمادها
سنة ١٣٥ م، وخرّب أورشليم وأسس
مكانها مستعمرة رومانية يحرم على
اليهود دخولها أطلق عليها اسم إيليا
كابيتوليننا. ولما اعتنق الإمبراطور
قسطنطين المسيحية أعاد إلى المدينة
اسم أورشليم وقامت والدته هيلانة
ببناء الكنائس فيها.

الفتح الإسلامي:

احتلت مدينة بيت المقدس في الدعوة الإسلامية منذ البداية مكاناً هاماً. فقد
أشير إليها عدة مرات في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، وكانت قبله الإسلام
الأولى وإليها كان إسراء النبي محمد عليه الصلاة والسلام ومنها كان عروجه.
بعد هزيمة الروم في معركة اليرموك أصبح الطريق مفتوحاً إلى بيت المقدس.
وطلب أبو عبيدة بن الجراح من الخليفة أن يأتي إلى المدينة لأن سكانها يأبون التسليم
إلا إذا حضر شخصياً لتسلم المدينة. وقد ذهب عمر إلى بيت المقدس سنة
١٥ هـ / ٦٣٦ م وأعطى الأمان لأهلها وتعهد لهم بأن تصان أرواحهم وأموالهم
وكنائسهم وبألا يسمح لليهود بالعيش بينهم. ومنح عمر سكان المدينة الحرية الدينية
مقابل دفع الجزية، ورفض أن يصلي في كنيسة القيامة لئلا تتخذ صلاته سابقة لمن

يأتي بعده . وذهب إلى موقع المسجد الأقصى فأزال بيده ما كان على الصخرة من أقذار وبنى مسجداً في الزاوية الجنوبية من ساحة الحرم . ومع عمر بن الخطاب ، وبعده ، وفد إلى القدس عدد كبير من الصحابة والتابعين وأخذ العنصر العربي ينمو ويتشرب سرعة وعاد إلى المدينة طابعها العربي . وتميز الحكم العربي الاسلامي بالتسامح الديني ، واحتفظ المسيحيون بكنائسهم وبحرية أداء شعائرهم الدينية .

الأمويون والعباسيون :



برج القلعة .

بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م ، وأقام الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى بعد ذلك بسنوات قليلة (حوالي سنة ٩٠ هـ) .

وقد أولى خلفاء بني أمية للمدينة المقدسة اهتماماً كبيراً ، ويبيع منهم فيها معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٠ هـ / ٦٠٠ م وسليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م ، وقاموا ببناء قصورهم اكتشفت آثارها حديثاً في جنوب المسجد الأقصى وجنوبه الغربي .

وواصل الخلفاء العباسيون الاهتمام بالقدس فزارها منهم المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٥٧٤ - ٧٧٥ م) والمهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) والمأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م) عند عودته من زيارة مصر . وقد جرت في عهد الخلفاء الثلاثة تغيرات وتجديدات في المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد الخراب الذي نتج عن الزلازل المتكررة .

وفي عصر العباسيين وصف الحاج المسيحي برنارد الحكيم أوضاع القدس وما حولها فقال : « إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام والأمن العام مستتب » .

الطولونيون والإخشيديون :

وعندما بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية ببغداد دخلت القدس وفلسطين في حوزة الطولونيين (سنة ٢٦٥ - ٢٩٢ هـ / ٨٧٨ - ٩٠٥ م)، وتلاههم في حكمها الإخشيديون سنة (٣٢٧ - ٣٥٩ هـ / ٩٣٩ - ٩٦٩ م). وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين بدليل أن ملوكهم جميعاً دفنوا فيها بناء على وصاياهم .

الفاطيون والسلاجقة :

وفي سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م استولى الفاطميون على القدس . وقد تميز حكم الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) بالتعصب الديني واضطهاد النصارى فهدم كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس وأوقع بالمسيحية شتى أنواع الاضطهاد . ولكن ذلك لم يصبهم وحدهم ، فلم يكن المسلمون من رعاياه أفضل حالاً بكثير .

ومما يذكر أن الفاطميين أسسوا في عهد الحاكم دار علم في القدس لنشر الدعوة الفاطمية ، وأقاموا مستشفى في المدينة . ووضع السلاجقة حداً لحكم الفاطميين (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) وعادت الخطبة في القدس للخليفة العباسي . وفي سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م استولى الخليفة الفاطمي المستعلي على القدس لثلاث سنوات فقط .

الاحتلال الصليبي :

احتل الفرنجة القدس سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م واحتفلوا بانتصارهم بارتكاب مذبحه رهيبة خصوصاً في منطقة الحرم الشريف . وذكر أن عدد ضحاياهم بلغ سبعين ألفاً ، الأمر الذي يتناقض تنافضاً صارخاً مع تسامح عمر بن الخطاب عندما دخل المدينة . ونهب الصليبيون ما كان في الصخرة والأقصى من كنوز ووضعوا صليباً

على قمة الصخرة، وحولوا الأقصى إلى مقر لفرسان الداوية، وجعلوا القدس عاصمة لمملكتهم اللاتينية، ونصبوا بطريركاً لاتينياً للمدينة بدلاً من البطريرك الأرثوذكسي. وأقام الفرنجة عدداً من المباني الدينية الجديدة، وعمروا كنيسة القيامة وكنيسة القديس حنا وغيرهما، وأقاموا نزلاً يتسع لألف شخص من الحجاج المسيحيين القادمين من الخارج.

لم يبق حكم الصليبيين في القدس أكثر من ٨٨ سنة فانهارت مملكتهم. وقد حلت بهم الضربة القاصمة بعد معركة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م. وبعدها دخل صلاح الدين الأيوبي القدس صلحاً، وسمح للفرنجة بمغادرتها بعد دفع جزية بسيطة عن كل شخص. وامتازت معاملة صلاح الدين بالإنسانية فأعفى كثيرين من دفع الجزية وسمح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء في المدينة.



دير مارسابا



قبة كنيسة القيامة.

وقد أزال صلاح الدين الصليب عن قمة الصخرة، ووضع فيها المصاحف، وعين لها الأئمة، ووضع في المسجد الأقصى المنبر الذي كان قد أمر نور الدين محمود بن زنكي بصنعه، ودشن إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس أهمها مدرسة للمشافعية

(الصلاحية) وخائفاه للصوفية ومستشفى كبير (البهارستان) . وأشرف بنفسه على تلك الإنشاءات ، بل شارك بيديه في بناء سور القدس وتحصينه ، وعقد في المدينة مجالس العلم .

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل ، الذي وقف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم على المغاربة ، حماية لمنطقة البراق المقدسة ، وأنشأ فيها مدرسة . وعين حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب ، الذي أجرى تعميرات في كل من المسجد الأقصى والصخرة وأنشأ ثلاث مدارس للحنفية (وكان الخنفي الوحيد من الأسرة الايوبية) . ولكن المعظم عاد فدمر أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها ، وخرب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف .

وتلا المعظم بعد فترة وجيزة أخوه الملك الكامل ، الذي عقد اتفاقاً مع الامبراطور فردريك الثاني ملك الفرنجة ، سلمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف . وسلمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط والاستنكار سنة ٦٢٦هـ / ١٢٩٠م . وبقيت في أيديهم حتى ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل . ثم عادت إلى الإسلام نهائياً سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م عندما استردها الخوارزمية لملك نجم الدين ايوب ملك مصر .

المماليك:

دخلت القدس في حوزة المماليك في سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م وبقيت كذلك حتى ٩٢٢هـ / ١٥١٦م . وفي عصر المماليك حظيت المدينة باهتمام ملحوظ وقام سلاطينهم : الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) وسيف الدين قلاوون (حكم من ٦٧٩ - ٦٨٩هـ / ١٢٨٠ - ١٢٩٠م) والناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) والأشرف قايتباي (حكم من ٨٩٣ - ٩٠٢هـ / ١٤٨٦ - ١٤٩٦م) وغيرهم بزيارات عدة للقدس ، وأقاموا منشآت دينية ومدنية مختلفة فيها كانت آية في العمارة ، وأجروا تعميرات كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى . ومن المنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسة وسبعة ربط وعشرات الزوايا .

وفي سنة ٧٧٧هـ جعلوا القدس بيابه مستقلة تابعة للسلطان في القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق . ومن آثار المماليك في القدس أنهم سحبا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف . ومن أشهر المدارس التي أنشأوها المدرسة السلطانية الأشرقية والمدرسة التنكزية .

وغدت القدس زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله . فكان يقد إليها الدارسون والمدرسون من مختلف الأقطار . وقد اكتشفت في الحرم القدسي سنة ١٩٧٤م وبعثه وثائق مملوكية تلقي المريد من الضوء على تاريخ المدينة .

العثمانيون :

وفي سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وضع السلطان سليم العثماني حداً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره في معركة مرج دابق . وفي السنة التالية احتل القدس . ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه سليمان القانوني (٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) الذي اهتم بالقدس اهتماماً خاصاً ، وأقام فيها منشآت كثيرة منها سور القدس الذي دامت عمارته خمسة اعوام ، وتكية خاصكي سلطان ، ومساجد وأسبلة . وعمر كذلك قبة الصخرة .

انتشرت زمن العثمانيين في القدس التكايا والزوايا ومؤسسات الصوفية الأخرى . ولكن بدءاً من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي أخذت مدارس القدس التي أنشأها المماليك والأيوبيون تضمحل بسبب اضمحلال العقارات الموقوفة عليها . وقد وصلت حالة الشعب العلمية في هذا القرن إلى أدنى مستوى على الرغم من ظهور عدد من علماء الدين البارزين .

وفي سنة ١٨٣١ - ١٨٤٠م كانت القدس تحت حكم ابراهيم بن محمد علي حاكم مصر الذي احتل سورية كلها إثر خلاف نشب مع الدولة العثمانية . وقد شهدت فترة الحكم المري شيئاً من تحديث الادارة ونشر روح التسامح ، ولكن فرض التجنيد الإجباري والضرائب الكثيرة وجمع السلاح من الأهالي وإزالة نفوذ المشايخ والعائلات الإقطاعية ، أدت إلى ثورة ضد هذا الحكم دعمته الدولة العثمانية

واستطاع المصريون إخضاعها بصعوبة . ولكن إبراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول العظمى .

تميز الحكم العثماني منذ القرن السابع عشر بالخلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة ونزاعها على التفوذ على الأماكن المقدسة . وكان من نتائج هذه الخلافات حرب القرم سنة ١٨٥٣ بين روسيا التي ادعت حماية الأرثوذكس وفرنسا وإنجلترا اللتين ادعتا حماية اللاتين . وفي أعقاب هذه الحرب أدخلت الدولة العثمانية بعض الإجراءات الإصلاحية التي تقضي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين ، وأخذت تسمح بتعيين قناصل لإنجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول الغربية . وبدأ التغلغل الاستعماري في البلاد وجر معه ازدياد الهجرة اليهودية وتفاقم عدد اليهود في القدس تدريجياً .

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٧م) ، قضى على الحكم العثماني الذي امتد على بيت المقدس ٤٠٠ سنة (١٥١٧ - ١٩١٧) . وقد أخذت الأحداث تتوالى بسرعة في النصف الثاني من عام ١٩١٧ . ففي التاسع من شهر كانون الأول دخلت القوات البريطانية مدينة القدس لتمهد الطريق بعد يومين لدخول الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية العاصمة الفلسطينية . وفي نفس الفترة التي كانت القوات البريطانية تقتحم فلسطين كانت المفاوضات قائمة على قدم وساق بين الساسة البريطانيين وزعماء الحركة الصهيونية حيث تمخضت في الثاني من تشرين الثاني من نفس العام (١٩١٧) عن صدور ما يسمى «بوعهد بلفور» (نسبة إلى بلفور وزير الخارجية البريطاني آنذاك) الذي ينص على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . وبالرغم من أن الوعد استبدل تعبير دولة بتعبير وطن إلا أنه كان واضحاً بأن الدولة ستظهر إلى حيز الوجود في نهاية المطاف . ولقد كان وعد بلفور اعتراف دولي بالصهيونية السياسية ومشاريعها الاستيطانية^(١) .

ونجد الإشارة إلى أن العامل الجوهري في إصدار وعد بلفور هو مصلحة الامبريالية البريطانية التي دفعتهما للتحالف مع الحركة الصهيونية وتسخيرها لخدمة أهدافها ومصالحها في المشرق العربي ، وللمحافظة على خطوط مواصلات الإمبراطورية مع مستعمراتها شرقي السويس ، وتعبير أدق استخدم الساسة

١ - أمين عبد الله محمود، ١٩٧٨ ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

البريطانيون الصهاينة وسيلة لخدمة مآرب الامبراطورية التي كانوا في صدد بنائها وتثبيت دعائمها .

وخلاصة القول إن فكرة الدولة اليهودية وتوطين اليهود في فلسطين كانت بمثابة امتداد لسياسة التوسع الإمبريالي الغربي بعد الثورة الصناعية ، لتصبح فيما بعد أداة من أدواته في المشرق العربي تؤمن مصالحه وتحرمس مواقعه . وكانت بريطانيا هي التي فازت بهذه الأدلة حتى عام ١٩١٧ ، وبقيت محافظة عليها حتى قيام الدولة عام ١٩٤٨^(١) برحيل الانجليز عن القدس وفلسطين في ١٤ أيار من نفس العام . وفي نفس اليوم تمكن اليهود من احتلال المسكوية . وفي ٣/٤/١٩٤٩ وقعت اتفاقية الهدنة بين الأردن والاعلاء فقسمت مدينة القدس إلى الأقسام التالية^(٢) :

آ - القدس المحتلة (القطاع اليهودي) ومساحته ٤٠٦٥ فداناً أي ما يعادل ٨٤٪ من مساحة القدس .

ب - القدس العربية (القطاع العربي) ومساحته ٥٥٥ فداناً أي ما يعادل ١١,٥٪ من مساحة القدس .

ج - قطاع هيئة الأمم المتحدة والأراضي الحرام ومساحتها ٢١٤ فداناً أي ما يعادل ٤,٩٪ من مساحة القدس وتشمل ما كان مقراً للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبر . وقد شغلته فيما بعد هيئة الرقابة الدولية على الهدنة ، ومنطقة مستشفى هداسا والجامعة العبرية على جبل سزيس ، وقطعة أرض تفصل القطاعين الإسرائيل والعربي من المدينة . وكانت بوابة مندلبوم تصل بين القطاعين .

وبقيت معظم الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة في القطاع العربي الذي كان يحتوي المدينة القديمة بأكملها .

وفي حزيران من عام ١٩٦٧ استولى الصهاينة على القطاع العربي من القدس يوم الأربعاء الموافق ٧ حزيران . وفي اليوم التالي أي الخميس تم احتلال كل الضفة الغربية من الاردن ، لتبدأ مرحلة جيوبوليتيكية جديدة لبيت المقدس ، وهي مرحلة التصفية الحضارية والتهويد .

٢ - أمين عبد الله محمود، المرجع السابق، ص ٣٨ .

٣ - مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

الفصل الثالث

البيئة الجغرافية

آ - الموقع والموضع :

شيدت النواة الأولى للقدس أو المدينة اليوسية في موضع طوبوغرافي من جبال القدس، يمثل رابية أرضية بارزة بين منحدرات سحيقة على الفاصل المائي الذي يفرق أودية الغور عن أودية البحر المتوسط^(١) وبخاصة وادي الصرار. ويمثل هذا الموضع سرجاً أرضياً (فجوة) يمتد بين كتلي جبال نابلس في الشمال، وجبال الخليل في الجنوب. وتقع المدينة على خط طول ٣٥ درجة و ١٣ دقيقة شرقاً، ودائرة عرض ٣١ درجة و ٥٢ دقيقة شمالاً. ويرتفع وسط المدينة ٧٥٠ م عن سطح البحر المتوسط، ونحو ١٥٠ م عن سطح البحر الميت. ومن الناحية الجغرافية فإن الموضع الطوبوغرافي للمدينة مشرف ومسيطر، ومشهدي ومثير. ويمثل هذا الموقع الحد الفاصل بين الأراضي الجافة المجاورة باتجاه الغور (برية القدس) شرقاً، والأراضي الرطبة المنزرعة طوال التاريخ غرباً. وبعد بضعة كيلومترات شرقي القدس، أي باتجاه البرية، تقترب المدينة من الحافة الصدعية المطلّة على غور الأردن. وتتضمن تلك الحافة مواضع طوبوغرافية ممتازة للدفاع العسكري والسيطرة العسكرية. ونظراً لعظم تعقد الوضع الطوبوغرافي هنا بالمقارنة مع الجزء الشرقي المقابل (الحافة الصدعية للضفة الشرقية) فإنه يعطي فرصة أكبر للدفاع بعمق^(٢).

ومن هنا فقد اختير موقع القدس الجغرافي لأنه يجمع بين ميزة الاعتصام

١ - صلاح بحيري، ١٩٧٣، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

٢ - Harris, 1980, Op. cit., p. 7-8.

والانغلاق وما يعطيه من حماية للمدينة، وميزة الانفتاح وما يعطيه من إمكانيه الاتصال بالمناطق المجاورة. ليكون هذا الموقع نقطة نشوء الديانتين اليهودية والمسيحية ومركز إشعاع لهما. وجاء الإسلام بعدئذ ليربط بين مكة والقدس روحياً ومادياً^(١).

وفوق ذلك كله فإن خصائص الموقع الجغرافي والموضع للمدينة المقدسة أهلتها لأن تصبح المدينة المركزية في فلسطين، وعقد اتصال في بلاد الشام، وإذا كانت فلسطين عقدة الاتصال بين المشرق العربي ومغربه والمغرب البري الأساسي بين الشرق والغرب، فإن مدينة القدس تمثل البؤرة التي تتجمع عندها أو بالقرب منها خطوط الاتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.

ومن المغالطات المرفوضة ما ذهب إليه سميث^(٢) Smith وكارمون^(٣) Karmon في أن المدينة المقدسة لا تحظى بموقع جغرافي يؤهلها للمكانة المرموقة التي احتلتها عبر التاريخ ولا تزال. ويزيد على ذلك سميث بقوله أن مدينة القدس تقوم على شبه فراغ مادي (جغرافي) استعاضت عنه بمنزلتها الروحية التي جذبت الناس إليها حتى أصبح الحجيج والسياحة أهم مواردها. ويرى في البيئة الجغرافية المتواضعة (حسب رأيه) للمدينة المقدسة تكراراً للبيئة الجغرافية لمدينة مكة المكرمة. وفي الحقيقة إن المقارنة هنا مرفوضة علمياً، فالفرق واضح بين اليبس من الناحية الجغرافية، وكلاهما تنفرد بخصائص جغرافية متميزة. وبالرغم من وقوع مكة بواد غير ذي زرع أي في شبه الجزيرة في الماضي والحاضر والذي جعلها تتميز عن غيرها من المواقع. بينما تقع القدس فوق أراض رطبة (المعدل السنوي ٥٥١ ملميمتر سنوياً)، وبالرغم من ارتفاع معدل المطر السنوي فوق القدس، إلا أنها تقع أيضاً على الحد الفاصل بين البرية أو القفار وبين الأراضي للزراعة وكأنها تنتمي إلى بيئات فلسطين جميعها (شكل ١).

ولا شك أن تلك المغالطات الجغرافية التي تقلل من شأن أقدس مدينتين

١- الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ٥٠٨.

٢- Smith, G.A., 1907, The Historical Geography of the Holy Land, London, p. 317-319.

٣- Karmon, Y., 1971, Israel: A Regional Geography, London, p. 249.

عربيتين وإسلاميتين، ليست إلا جزءاً من الجيوبونوتية - الشريعة التي صورت أقدس المواقع والمواضع العربية والإسلامية وكأنها أراضٍ جرداء معدومة لا يمكن لها قيمة عبر التاريخ.



شكل - ١ - الأقاليم الفيزيوجرافية لمنطقة القدس. - عن أورني وايفرات، ١٩٧١.

تبتعد القدس مسافة ٢٢ كم عن البحر الميت، و ٥٢ كم عن البحر المتوسط. وأطول الطرق المعبدة التي تربط بين القدس وكل من العواصم العربية المجاورة هي التالية: القدس - عمان ٨٨ كم، القدس - دمشق ٢٩٠ كم، القدس - بيروت ٣٨٨ كم، القدس - القاهرة ٥٢٨ كم. وهناك خط للسكة الحديدية يربط القدس ببيافا. وترتبط القدس بالعالم الخارجي جواً عن طريق مطار كلندية الواقع إلى الشمال منها على طريق رام الله.

ولا يقل موضع المدينة أهمية عن موقعها، فهو موضع ديني لمدينة مقدسة، وموضع دفاعي يجمع بين الطهارة والقدسية للمكان وسهولة الدفاع عنه والتمسك به. وقد تعاقبت كثير من الأمم على هذا المكان منذ فجر التاريخ وحتى اليوم. وشهد هذا الموضع معارك كثيرة أسفرت عن تعاقب بناء وهدم المدينة. وقد نشأت

النواة الأولى لمدينة القدس على تلال الضهور (الطور أو تل أوفل) المطلّة على بلدة سلوان إلى الجنوب الشرقي من المسجد الأقصى . وقد اختير هذا الموضع الدفاعي لتوفير أسباب الحماية والأمن لها . وأسهمت مياه عين أم الدرج في الجانب الشرقي من الضهور في توفير المياه للسكان . ويحيط وادي جهنم (قدرون) بالمدينة القديمة من الناحية الشرقية ، في حين يحيط وادي الربابة (هتوم) بها من الجهة الجنوبية ، ووادي الزيل من الجهة الغربية (شكل ٢) . وقد كونت هذه الأودية الثلاثة خطوطاً دفاعية طبيعية جعلت اقتحام القدس القديمة أمراً صعباً إلا من الجهتين الشمالية والشمالية الغربية . وقد لاحظ جميع المؤرخين أن جميع الجيوش التي فتحت القدس قديماً وحديثاً دخلتها من الشمال^١ .

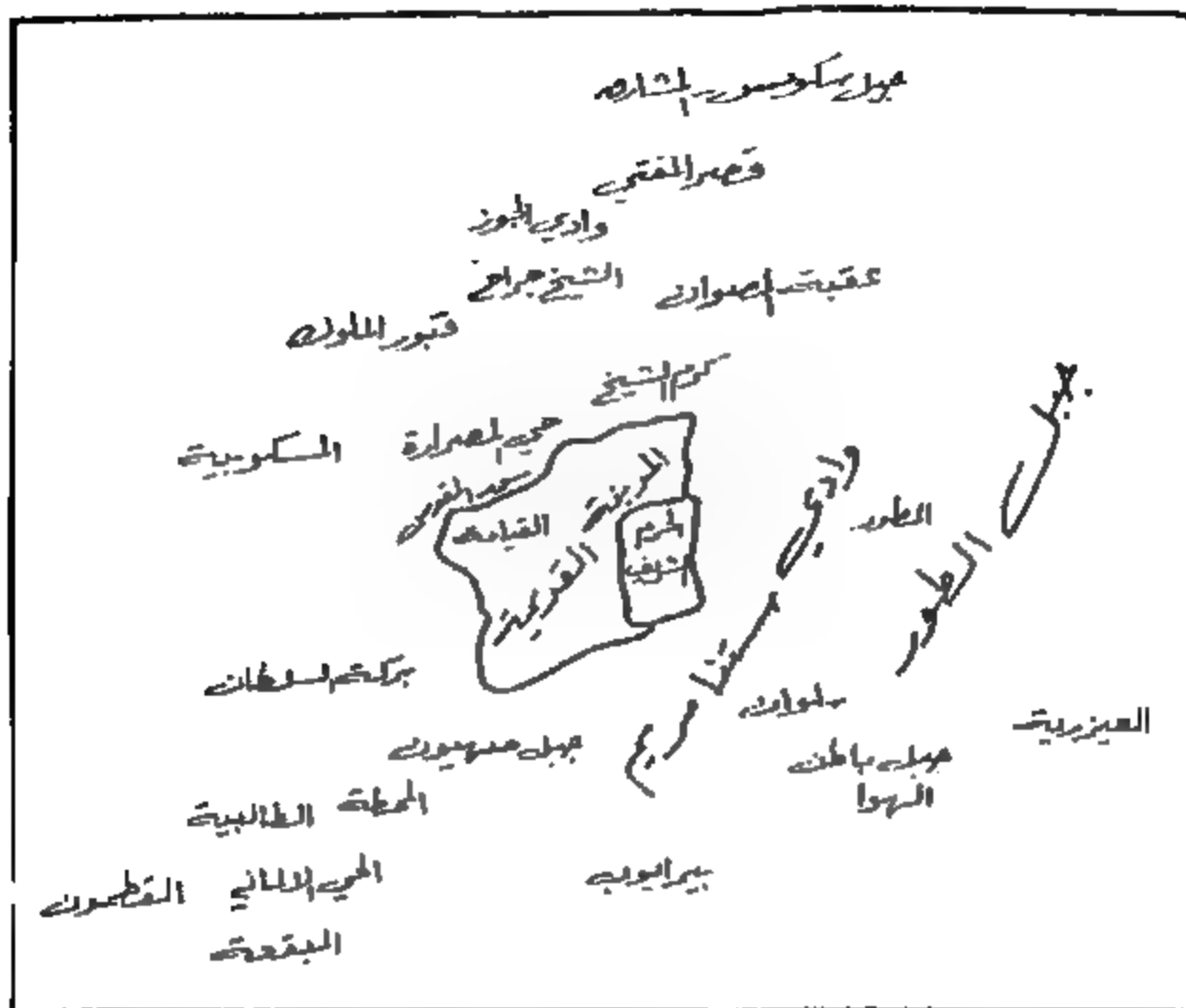


جانب من سور القدس

وقد هجرت النواة الأولى للمدينة بمرور الزمن وحلت محلها نواة رئيسة تقوم على تلال أخرى غير تلال الطور، مثل مرتفع بيت الزيتون (بزيوتا) في الشمال الشرقي للمدينة بين باب الساهرة وباب حطة، ومرتفع ساحة الحرم (مدرية) في الشرق، ومرتفع صهيون في الجنوب الغربي، وهي المرتفعات التي تقع داخل السور

١ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٠٩ .

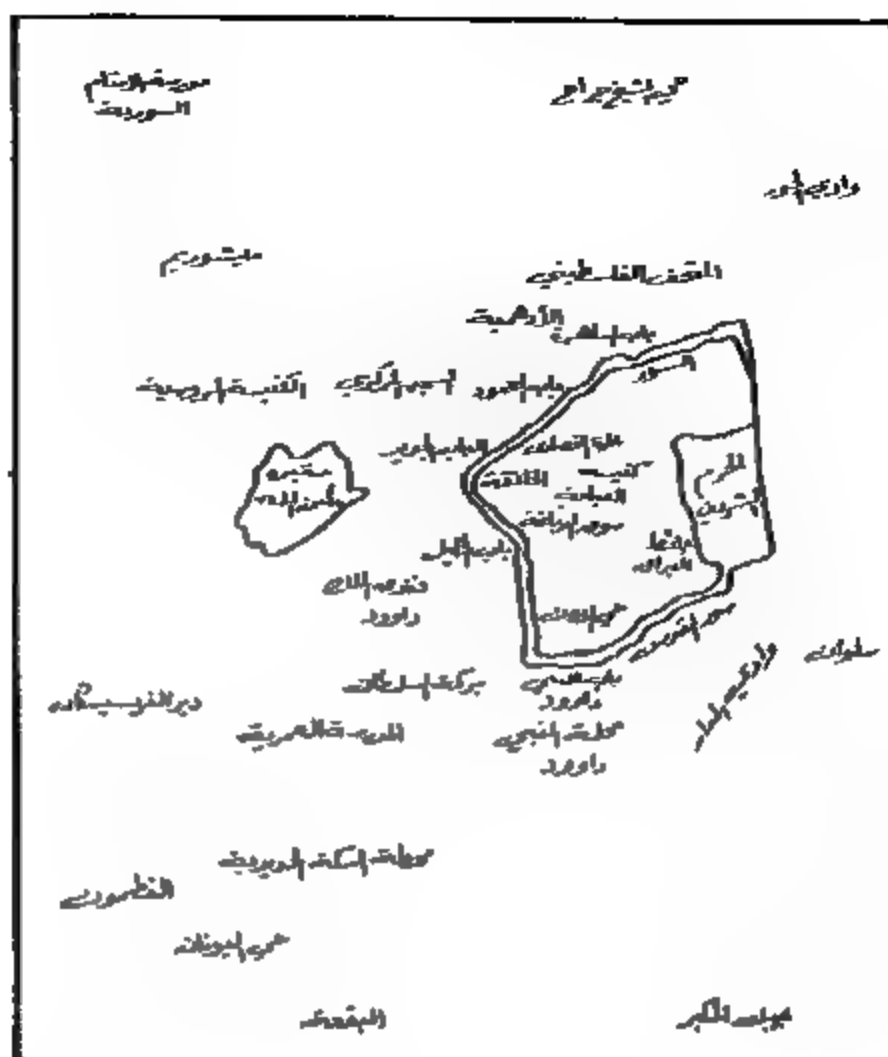
فما يعرف اليوم «بالقدس القديمة». وقد شيد السلطان العثماني سليمان القانوني عام ١٥٤٢م سوراً عظيماً يحيط بالقدس ويبلغ محيطه أربعة كيلومترات وله سبعة أبواب هي (شكل ٣)



شكل - ٢ - القدس في أواخر العهد العثماني .

عن الدباغ، ١٩٧٦م

- ١ - باب العمود
- ٢ - باب الساهرة
- ٣ - باب الأسباط
- ٤ - باب المغاربة
- ٥ - باب النبي داود
- ٦ - باب الخليل
- ٧ - باب الجديد



شكل - ٣ - القدس قبل التقسيم. وعن الديار، ١٩٧٦ -

باب العمود: ويعرف في الخارج باسم باب دمشق ويقع في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس تقريباً، ويعود تاريخه إلى عهد السلطان سليمان القانوني العثماني. وتعلو هذا الباب قوس مستديرة قائمة بين برجين. ويؤدي بممر متعرج إلى داخل المدينة. وقد أقيم فوق أنقاض باب يرقى إلى العهد الصليبي. ووجدت أثناء حفريات سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٦٦ بقايا بابين يعود أحدهما إلى زمن الإمبراطور هادريانوس الذي أسس مدينة إيليا كبيتولينا بين سنتي ١٣٣ و ١٣٧م على أنقاض المدينة التي دمرها الإمبراطور طيطلوس. والثاني هو الذي بناه هيرودوس أغريباس في منتصف القرن الأول الميلادي. وكتب فوق باب هادريانوس اسم المدينة الجديدة. والباب قوس ضخمة يرتكز على دعائمتين من الحجارة القديمة المنحوتة والمزودة بإطار أنعم نحتاً. وقد



باب العمود



باب الساعة

أضيف عمود داخل الباب في أيام
الامبراطور هادريانوس نفسه . ويظهر
العمود في خريطة الفسيفساء التي عثر
عليها في كنيسة البيزنطية في ملدبا .

وقد بقي هذا العمود حتى الفتح
الإسلامي ، ولذلك سعى العرب
الباب باب العمود وكان يدعى من قبل
باب دمشق لأنه مخرج القوافل إليها .

٢ - باب الساعة : المعروف عند
الغربيين باسم باب هير ودوس . وهو
مثل سابقه يقع إلى الجانب الشمالي من
سور القدس على بعد نصف كيلومتر
شرقي باب العمود . وباب الساعة
بسيط بني ضمن برج مربع ، وهو يرقى
إلى عهد السلطان سليمان العثماني .

٣ - باب الأسباط : أو كما يسميه
الغريون باب القديس أسطفان ، يقع
في الحائط الشرقي ، وهو مثل باب
الساعة في شكله ، ويعود تاريخه أيضاً
إلى عهد السلطان سليمان نفسه .

٤ و ٥ - باب المغاربة ، وباب النبي داود : في الحائط الجنوبي لسور القدس ، وباب
المغاربة أصغر أبواب القدس . وهو قوس قائمة ضمن برج مربع . وأما باب
النبي داود الذي يعرفه الأجانب باسم باب صهيون فهو باب كبير متفرج
يؤدي إلى ساحة داخل السور . وقد أنشئ في عهد السلطان سليمان
عندما أعاد بناء سور المدينة .

٦ - باب الخليل : وهو الذي يسميه الغربيون باب يافا ، ويقع في الحائط الغربي .

٧- الباب الجديد: فتح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيلومتر تقريباً غربي باب العمود. وهو حديث العهد يعود إلى أيام زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني لمدينة القدس سنة ١٨٩٨م.



باب الحليل

وأبرز الأبواب الأربعة المغلقة باب الرحمة الذي يسميه الأجانب الباب الذهبي لجماله ورونقه. ويقع على بعد ٢٠٠ م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور. ويعود هذا الباب إلى العصر الأموي. وهو باب مزدوج تعلوه قوسان ويؤدي إلى باحة مسقوفة بعقود ترتكز على أقواس قائمة فوق أعمدة

كورنثية ضخمة. وقد أغلق هذا الباب في أيام العثمانيين بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك مآلها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب. وهو من أجمل أبواب المدينة ويؤدي مباشرة إلى داخل الحرم. والأبواب الثلاثة المغلقة الأخرى تقع في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية وتؤدي جميعها إلى داخل الحرم مباشرة. وأولها ابتداء من زاوية السور الباب الواحد وتعلوه قوس. وثانيها الباب المثلث وهو مؤلف من ثلاثة أبواب تعلوكلها منها قوس. والثالث المدرج وهو من بابين تعلوكلها منها سور. وتشير الأدلة إلى أن هذه الأبواب الثلاثة أنشئت في العهد الأموي عندما بنى الخليفة عبد الملك بن مروان قبة الصخرة.

إن ما عثر عليه من آثار أبواب قديمة تحت باب العمود يدل على أن تحت الأبواب الحالية أبواباً أخرى قديمة ترقى إلى عهود سابقة^(١) ومع تزايد عدد سكان المدينة باستمرار، لم يعد موضع المدينة القديم يستوعب

١ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥١٧-٥١٩.

السكان والمباني السكنية داخل السور، فانتشر العمران خارج السور في جميع الجهات، وظهرت الأحياء الحديثة التي تعرف بالقدس الجديدة، إضافة إلى الضواحي التي التحقت بالمدينة وكانت في القديم قرى تابعة لها. ولا تنمو المدينة عمرانياً بنفس المعدلات في جميع الاتجاهات بسبب العوائق الطبوغرافية التي تتحكم في معدلات الامتداد العمراني ومساحات الأراضي المبنية. ومن أهم القرى التي التحقت بالمدينة وأصبحت جزءاً منها قرى شعفاط، وبيت حنينا، وسلوان، وعين كارم (شكل ٤)، كما زحف العمران على الجبال المجاورة، وأقيمت عليها أحياء جميلة مثل حي المشارف على جبل المشارف شمالي المدينة، وحي القطمون على جبل القطمون، وحي المكبر على جبل المكبر جنوبي المدينة^١.

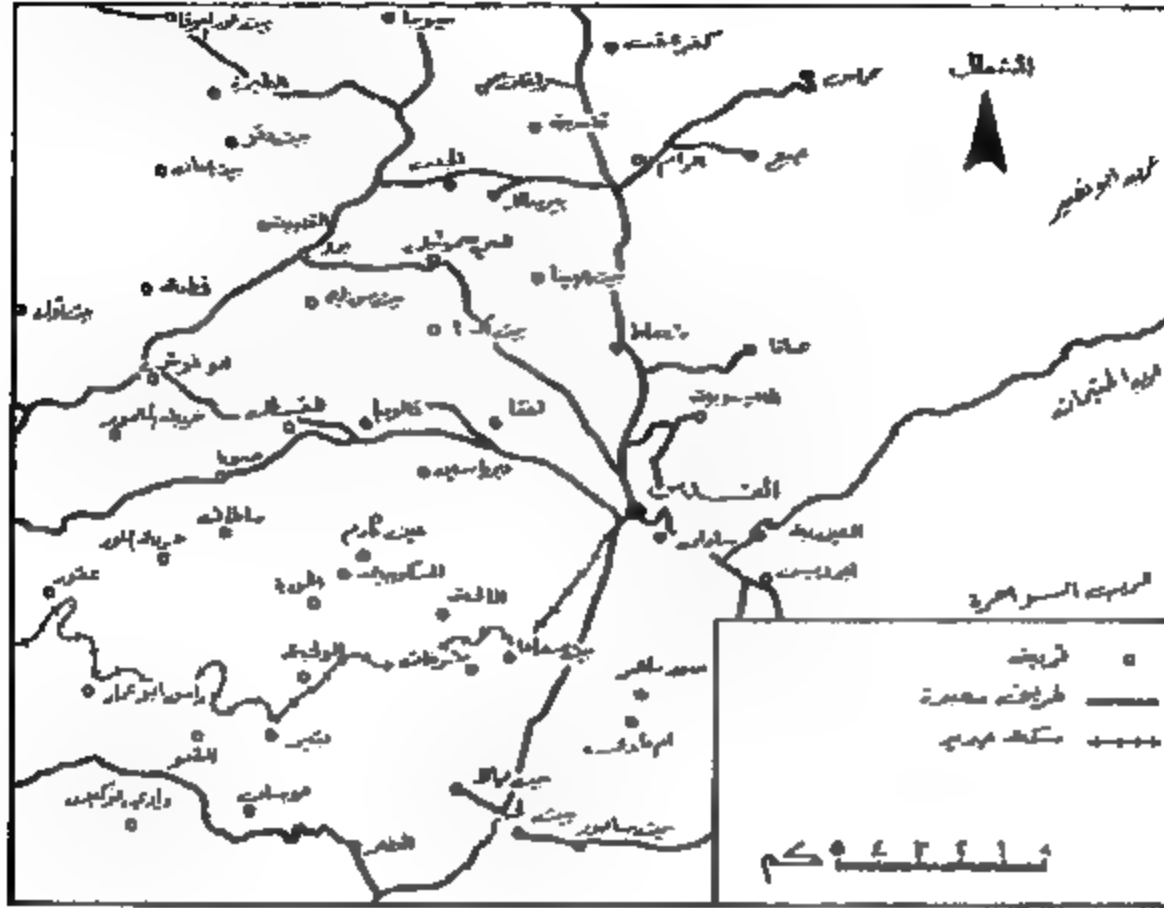
ب - التكوين الجيولوجي وأشكال سطح الأرض والتضاريس:

تعد جبال القدس نجداً نافرماً يتكون من عدد من الطيات المكدبة والصدوع. وتشكل منطقة القدس الفجوة بين محدب الخليل الإقليمي في الجنوب، وطيات نابلس في الشمال، حيث يزيد ارتفاع جبال الخليل ونابلس عن جبال القدس بين ١٠٠ - ٢٠٠ متراً. وقد سهلت الفجوة الأرضية التي تشغلها المدينة المقدسة الإتصال بين البحر والداخل قديماً وحديثاً. من جهة ثانية سهلت مناطق تقسيم المياه (التي تفصل بين الأودية الغورية والأودية والأنهار التي تصب في البحر المتوسط) والتي تشغلها منطقة القدس عمليات العبور بين الشمال والجنوب. وبعد الوضع الطبوغرافي الأنف الذكر سر مركزية القدس وأهميتها التاريخية.

وقد تعرضت الطيات الصخرية في الجانب الشرقي للقدس إلى التصدع بعدة من الصدوع السلمية، التي ترتب عليها ظهور عدة من الحافات الصدعية، حيث تهبط الأرض تباعاً من منسوب ٨٠٠ متر فوق سطح البحر إلى دون سطح البحر في الغور.

١ - الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق، ص ٥٠٩.

أما الأشكال الأرضية في الجانب الغربي فتشمل في سفوح الحضيض والتي يطلق عليها اسم «الشقيلة»، إذ تهبط الأرض تدريجياً باتجاه الساحل. ولا يزيد ارتفاع سفوح الحضيض عن ٣٠٠ متراً فوق سطح البحر.



شكل - ٤ - القرى العربية وطرق المواصلات في منطقة القدس حتى عام ١٩٤٨. ويظهر على التكوينات الصخرية هنا الكلس والدولومايت (شكل ٥) الذي يرجع إلى العصر الكريتاسي الأعلى (السينوماني والتوروني)، ويتخلل طبقاتها، تكوينات الطباشير والمارل. وتعد طبقات الكلس والدولومايت من التكوينات الصلبة المقاومة لعمليات التعرية. إلا أنها تتأثر بالإذابة الكيميائية على نطاق واسع. وتشكل طبقات الطباشير والمارل بالرغم من تأثرها بالإذابة الكيميائية، تكوينات لينة سهلة الحت. ولذلك تتعرض التكوينات الخصرية بمجموعها وبسبب تفاوت

صلاتها إلى التجوية المتغايرة التي أعطت السفوح المظهر السلمي^١. ولذلك استغل هذا الوضع في إنشاء المصاطب الزراعية لحماية التربة من الانجراف، وقيام زراعة مطرية ومروية منذ القدم، حيث تزرع تلك السفوح بالكرمة والزيتون والحبوب واللوزيات والخضروات.

وأثناء دورة التعرية المائية تعرضت جبال القدس إلى التقطع بفعل الأودية المتجهة إلى البحر مثل وادي الصرار ونهر روبين، والأودية المتجهة إلى الغور مثل وادي النار ووادي القطة وغيرهما. وأثناء الحركات التكوينية في البليستوسين تجدد النشاط الحثي لشبكات التصريف المائي، مما زاد في تقطع الحافات الصاعدة المائلة على الغور، وتزايد وعمورتها. وكذلك تمزيق جبال القدس المواجهة للساحل مما أعطاهم المظهر الجبلي والتلال، مثل جبل الزيتون وجبل المشارف (سوكيس) شرقي المدينة المقدسة، وجبل المكبر جنوبها. وقد انجرفت كميات كبيرة من التربة من السفوح وتوضعت في بطون الأودية وروافدها، بحيث وفرت تلك الترب مناطق زراعية استغلت منذ فجر التاريخ.

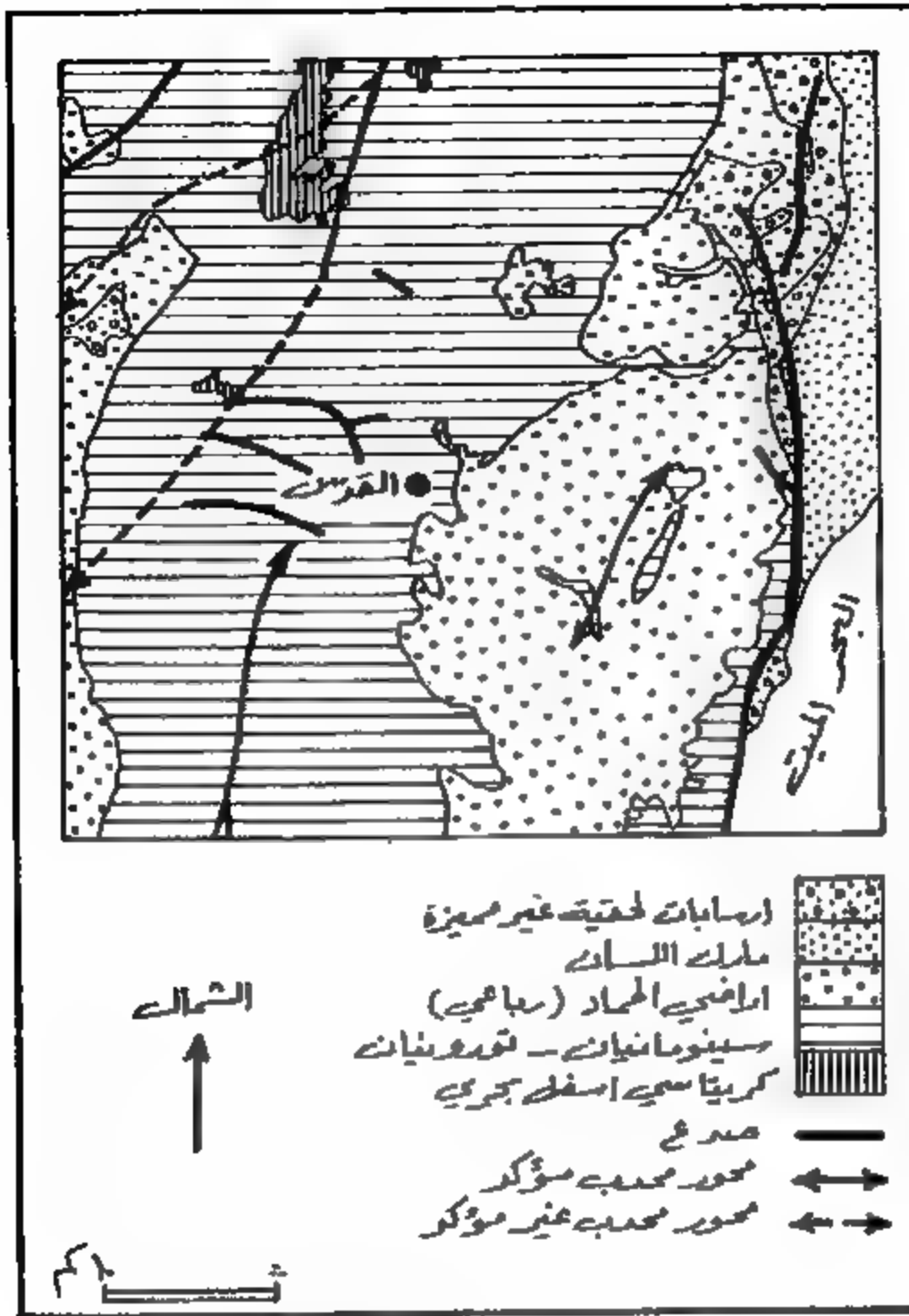


نفق عين سلوان جنوب - شرق القدس.

هذا وقد عمقت المجاري المائية أوديتها دون مستوى الطبقات الحاملة للمياه، مما أدى إلى تفجر الينابيع على جانبي جبال القدس. وقد استغلت مياه تلك الينابيع في الأغراض المنزلية وزراعة الحدائق في القرى والزراعة المروية على سفوح الجبال منذ قدم التاريخ. وقد نشطت عمليات التجوية الكيميائية خلال العصر المطير

(البليستوسين)، مما أدى إلى تكوّن الجيوب (الدولينات) الكارستية واتصالها معاً، مما نتج عنها سهل الجيب بين القدس ورام الله والذي شيد عليه مطار قلندية. ويؤكد توافق مستويات القمم (النري) لجبال منطقة القدس على أنها تشكل بقايا سطح تحاتي قديم.

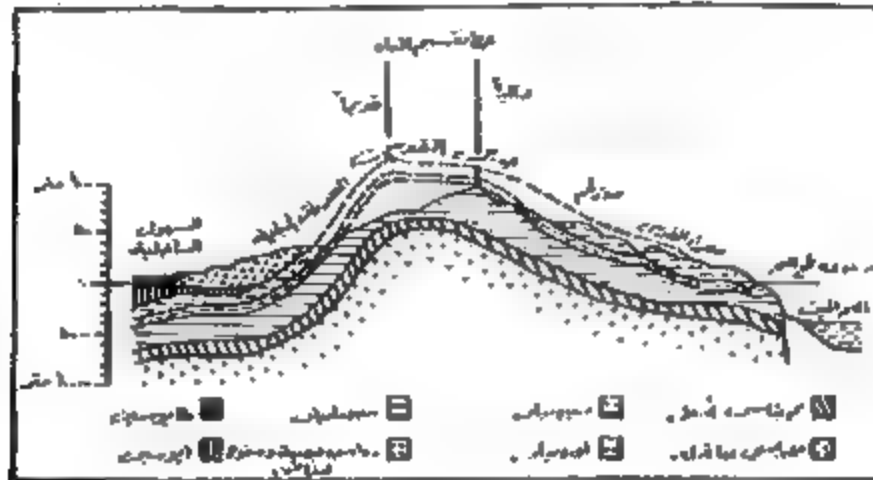
١ - Oni and Eilat, 1971, Op. Cit., p. 53-66.



شكل - ٥ - الوضع الجيولوجي والتكتوني لمنطقة القدس.

وقد أدى النحت التراجعي الصاعد، لحوض وادي الصرار ونهر روبين، في منطقة القدس، بسبب وفرة الأمطار في العصر المطير والوقت الحالي، إلى تراجع الفاصل المائي الأصلي (الذي يفصل بين الأودية الغورية وأودية البحر المتوسط) بمعدل ١٠ - ١٢ كيلومتر شرقاً (شكل ٦) على حساب أحواض الأودية الغورية التي تقطع الحافة الصدعية وتنصرف إلى الغور، مع بقاء الفاصل المائي الجوفي في

موضعه^(١). إلا أن توسع حوض التصريف السطحي لوادي الصرار ونهر روبين، أعطى الخزان المائي الجوي الشرقي مساحة تغذية سطحية أكبر من مساحة تغذية الخزان الجوي الغربي. ولذلك تتوافر الينابيع بكثرة في بركة القدس (مثل عين القلظ وغيرها)، كما أن مياهها أغزر وأوفر من نظيراته على السفوح الغربية وسفوح الحضيض. وقد استفاد الصهاينة من هذه الحقيقة الجيومورفولوجية والمناخية، وقاموا بعد الاحتلال بتركيز الاستيطان في المناطق التي تتلقى الأمطار الوفيرة بهدف السيطرة



شكل - ٦ - زحزحة خط تقسيم المياه باتجاه الشرق في جبال القدس «عن اورني وإفريت، ١٩٧١»

على الموارد المائية السطحية، وكذلك قاموا بنحفر الآبار بكثرة في بركة القدس (أي على مناطق الخزان المائي الجوي الشرقي) مما أدى إلى تدهور الموارد المائية الجوفية وجفاف عدد كبير من آبار العرب في تلك المنطقة، وفي الأغوار الغربية. وبعد هذا الوضع نموذجاً من نماذج استنزاف الموارد الطبيعية واستغلالها لصالحهم، وحرمان العرب من استغلال مواردهم، وتدميرهم اقتصادياً لدفعهم إلى هجرة الأرض.

جـ - المناخ:

يصنف مناخ مدينة القدس من النوع المتوسطي الجبلي، إذ ترتفع معدلات

١ - Orl and Elrel, 1971, Op. Cit, 60-63.



شكل - ٧ - خارطة جيومورفولوجية لمنطقة القدس . وعن دوق نير ، ١٩٧٨

الأمطار السنوية والرطوبة في مدينة القدس ، وبسبب ارتفاعها عما يجاورها من الوحدات الأرضية مثل سفوح الحضيض الغربية التي تنحدر باتجاه الساحل الفلسطيني ، وأراضي البرية الواقعة في ظل المطر (جدول ١) ، والتي تنحدر باتجاه غور الاردن . كذلك يقل معدل المطر السنوي في القدس عن معدلات الأمطار السنوية في جبال الجليل (يصل مثلاً المعدل السنوي للمطر في مدينة الناصرة ٧٢٨ ملليمتر) نظراً لموقع جبال الجليل في شمالي فلسطين وزيادة ارتفاعها عن مستوى سطح البحر.

وتصل درجات الحرارة أدناها في شهر كانون الثاني (٧، ٩ درجة مئوية)، وأقصاها في شهر آب (١٧° مئوية). أما المعدل السنوي للحرارة لمنطقة القدس، فتصل أدناها في أعالي الجبال، وأقصاها في سفوح البرية. أما المعدل السنوي للحرارة في سفوح الحضيض فيتراوح بين ١٩° و ٢٠° مئوية. وقد تنخفض درجات الحرارة في الشتاء إلى ما دون الصفر ولذلك تساقط الثلوج في أعالي الجبال. ويبلغ المعدل السنوي للمطر في مدينة القدس ٥٥١ ملميمتر^١. ويسقط أعلى معدل شهري للمطر في كانون الثاني (١٥٣) ملميمتر) وأقل معدل شهري في أيار (٧، ٢ ملميمتر). ويتراوح معدل المطر السنوي على سفوح الحضيض الغربية بين ٤٥٠ - ٥٠٠ ملميمتراً، ويهبط إلى معدل يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٥٠ ملميمتراً في برية القدس على أعالي السفوح المظلة على الغور. وترتفع معدلات التبخر في القدس إلى ١٦٠٠ ملميمتراً في أشهر الصيف، وتهبط إلى ٥٥٠ ملميمتراً في الشتاء. وذلك تكون الموازنة المائية إيجابية في الشتاء مما يساعد على تكوين الجريان السطحي والفيضانات في الأودية التي تصب في البحر المتوسط، وكذلك الأودية المتجهة إلى الغور. ولكن الجريان السطحي لا يستمر طوال السنة نظراً لارتفاع نفاذية الصخور الكلسية، وتسرب المياه لتغذية الخزانات الجوفية، التي تنبثق منها الينابيع سواء في سفوح الحضيض الغربية، أو سفوح وسطه الأودية الشرقية في البرية.



القدس في الشتاء

ويتركز نحو ٧٠٪ من المطر السنوي في القدس في فصل الشتاء الحقيقي (كانون ١، كانون ٢، شباط)، ولا يزيد عدد الأيام للمطر عن ٦٠ يوماً في السنة، مما يؤكد طبيعة التركيز الواضحة في توزيع الأمطار. ويمتاز نظام هطول الأمطار على القدس بعدم انتظامه. فالفترات الممتدة من عام ١٨٥٤ إلى عام ١٨٧٣، ومن عام ١٩٢٤ إلى

عام ١٩٣٦ فترات جفاف، وكان عام ١٩٥٠/١٩٥١ من أكثر الأعوام جفافاً منذ بداية رصد كميات الأمطار في القدس عام ١٨٤٦ م حتى الوقت الحاضر^(١).

جدول (١) المتوسطات الشهرية للمطر والحرارة والرطوبة النسبية لمدينة القدس

العنصر المناخي	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	أيار
المطر (مليمتر)	١٥٣	١٤٣,٣	٦٨,٠	٢٢,٨	٢,٧
الحرارة (درجة مئوية)	٩,٧	١١,٦	١٣,٨	١٧,٧	٢١,٣
الرطوبة النسبية (%)	٧٢	٥٨	٤٧	٣٨	٥٤

حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين ١	تشرين ٢	كانون ١
-	-	-	٠,٨	٩,٢	٦١,٨	٨٩,٤
٢٣,٧	٢٤,٤	٢٥	٢٣,٩	٢١,٨	١٧,٢	١٢,٣
٤٥	٥٣	٤٩	٦٠	٦١	٤٢	٦٣

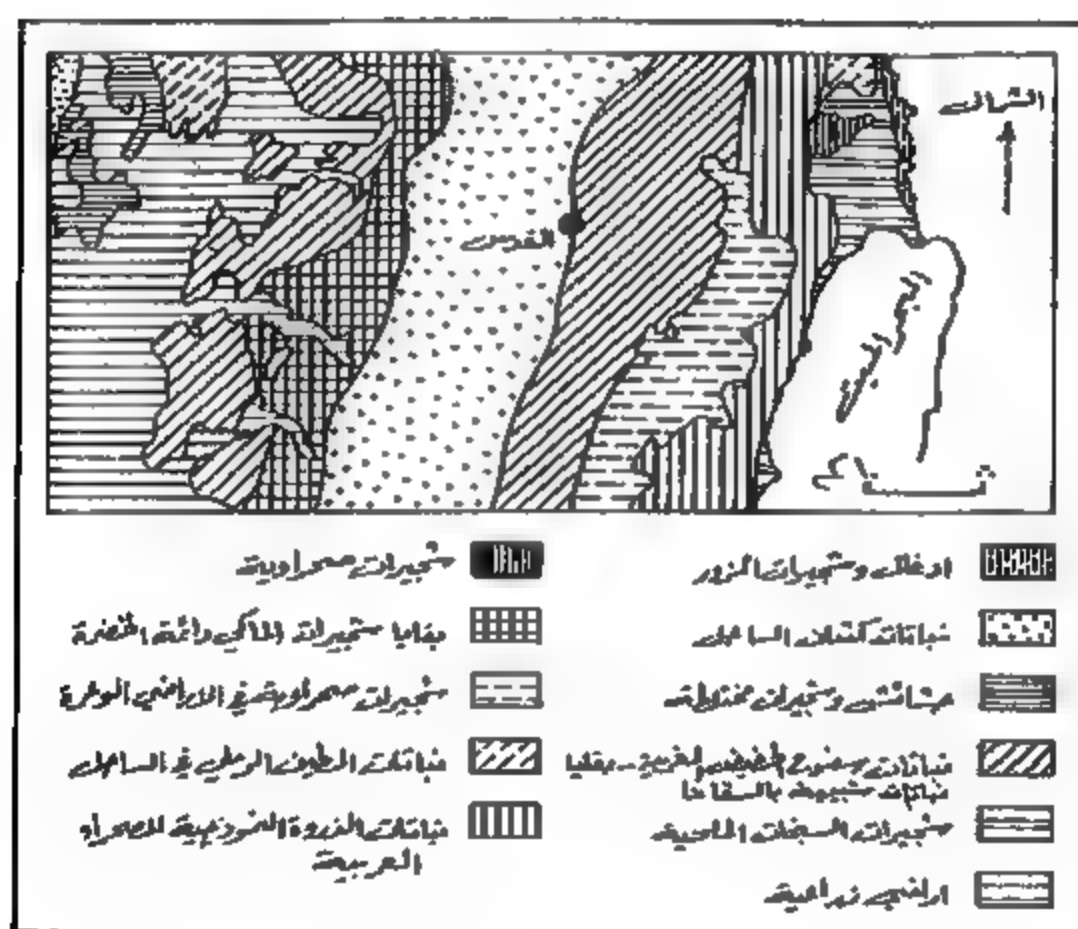
المعدل السنوي للمطر = ٥٥١ مليمتر (عن اورني وايفرا، ١٩٧١)

د- التربة والنبات الطبيعي :

تتباين التربة وخصائصها في منطقة القدس حسب الصخر الأصلي الذي اشتقت منه. فحيث يسود الكلس ترتفع مركبات كربونات الكالسيوم في التربة، وحيث يسود الدولومايت ترتفع مركبات المغنيسيوم إضافة إلى كربونات الكالسيوم في

١ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥١٠، ٥٢٩.

مرتفعة لا تتفجر بجوانبها الينابيع . وأقرب نبع لها هو عين أم الدرج بالقرب من سلوان . ولذلك اعتمدت القدس من عهودها الغابرة على جمع مياه الأمطار في برك وآبار، وعلى الينابيع (العيون) القليلة القريبة منها مثل نبع عين أم الدرج وبئر أيوب، لتوفير الموارد المائية . والبرك هي صهاريج أرضية تساق إليها مياه الأمطار لحزنها . وإلى جوار البرك المنزلية والآبار توجد برك عامة ظل بعضها كمعالم حضارية بارزة منذ آلاف السنين مثل بركة حاملا وبركة السلطان وبركة حزقيا وغيرها



شكل - ٨ - النبات الطبيعي في منطقة القلمس. «عن المجلس ثيوتيجن، ١٩٨١»

إلا أن نمو السكان المضطرد كان يستدعي الاستعانة بموارد مائية إضافية ، مما دفع الرومان لجلب مياه العيون النائية في قنوات مائية شيدت في الصخر. وقد استمر استعمال هذه الأقنية وترميمها على يد العرب والمهاليك والأتراك والإنجليز. وقد

التربة. ويظهر في المنطقة نموذجاً مميزاً للتربة المتوسطة الحمراء (Terra Rossa). وتشكل السليكا حوالي ٥٠٪ من مكونات التربة، و ١٠ - ١٥٪ من الحديد والالمنيوم. ويعطي الحديد التربة لونها الأحمر. هذا وتذوب مركبات الكالسيوم في مياه الأمطار وتغسل باتجاه السفوح الدنيا، أو تسرب مع المياه في الشقوق. وتبقى مواد السليكا والحديد والالمنيوم وتتجمع على شكل مواد صخرية للتحول إلى تربة حية لاحقاً، ويحتاج تكون ١ سم من التربة المتوسطة الحمراء إلى ١٠٠٠ سنة تقريباً.

وتسود تربة الرندزينا (Rendzina) ذات اللون الكستنائي (اللون البني المصفر، أو الأبيض الرمادي) على سفوح الحضيض الغربية حيث تظهر الصخور الطباشيرية وتعد هذه التربة غنية بالكالسيوم والمواد العضوية. ولذلك فهي خصبة الحراثة. ونظراً لقلة تعرضها في سفوح الحضيض لعمليات التعرية المائية والانجراف فإنها سميكة نسبياً. وتغلب الأراضي الحجرية على تربة بركة القدس وسفوح الحافات الصاعدة. ولذلك تستغل هذه الأراضي في الرعي منذ عهد طويل^(١)

أما النباتات الطبيعية في المنطقة (شكل ٨)، فتعد نموذجاً لأحراج البحر المتوسط، بأشجارها دائمة الخضرة كالبلوط والبطم الفلسطيني وذلك حيث ترتفع مناسب الأرض عن ٣٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر. وفي الأراضي التي يقل منسوبها عن ذلك مثل سفوح الحضيض، أو بركة القدس، تسود أشجار الخروب وشجيرات كثيفة من اللب يد Rockrose والحفير Leaved sage، والنباتات الشوكية مثل البلان Lumet^(٢).

هـ - الموارد المائية ومشكلة المياه:

تواجه المدينة المقدسة مشكلة التزود بالمياه منذ القدم، نظراً لوقوعها على تلال

١ - Omi and Eilat, 1971, Op. Cit., p. 57-58.

٢ - Omi and Eilat, 1971, Op. Cit., p. 167-169.

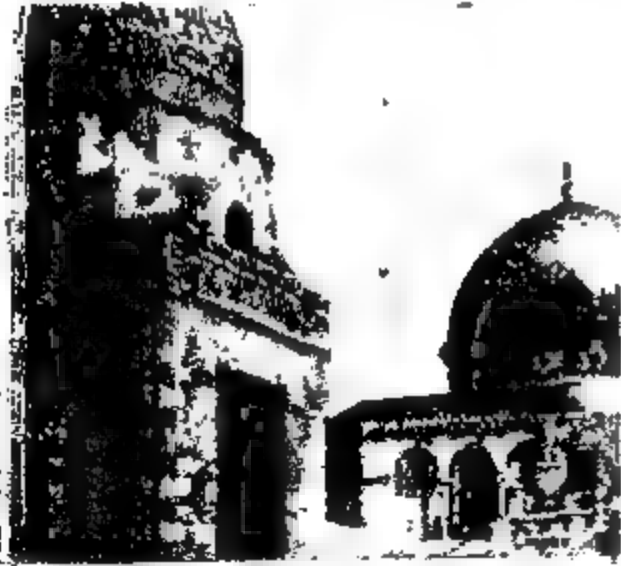
جلب الإنجليز أثناء الانتداب مياه العروب إلى القدس في أنابيب. وظلت القدس تستقي الماء عن طريق برك سليمان حتى عام ١٩٢٦. ويعملها سحب الماء من عين قارة على بعد ١٤ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من القدس. وفي عام ١٩٣١



سجل باب السلسلة

أخذت المدينة تزود بمياه عين الغوار (على بعد ستة كيلومترات من عين قارة إلى الشرق)، وعين القلط في الوادي نفسه (بلغ معدل تصريفه السنوي ٦ مليون متر مكعب) عام ١٩٣٤. وفي عام ١٩٣٥ تحولت المدينة إلى التزود بالمياه من نبع ريش وهو رأس العين (على بعد ٥٠ كيلومتراً إلى الشمال الغربي من القدس). وقد

بلغ معدل تصريفه اليومي عام ١٩٤٥ ١,٧ مليون جالون. واستمر هذا



سجل قيطبي

الوضع حتى عام ١٩٤٨ عندما أغلق الأنبوب، وبعد تقسيم المدينة تم ربط القدس المحتلة بشبكة الماء الإسرائيلية من خلال أنبوبين. وبعد ضم الصهاينة القدس العربية عقب حزيران ١٩٦٧، قاموا بحفر تسعة آبار في منطقة القدس لتزويد المستوطنات اليهودية المحيطة بالقدس العربية بالمياه، وكذلك تم ربط القدس العربية بشبكة المياه الإسرائيلية^(١).

١ - صلاح بحيري، ١٩٧٣، مرجع سابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢.
عارف العارف، ١٩٥١، تاريخ القدس، القاهرة، ص ١٨٥.
مصطفى الدباغ، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ١٨٨.

Orni and Eilat, 1971, Op. Cit., P. 324.

الطابع الاسلامي العالمي للمدينة المقدسة

آ - المركز العلمي الاسلامي للقدس :

كما حاول الصهاينة التقليل من أهمية البيئة الجغرافية والموقع الجغرافي أو (المكان) للمدينة المقدسة ، وكما حاولوا أيضاً تزييف الحقائق فيما يتعلق بالمعمور الفلسطيني لإظهار فلسطين وأرضها بلا شعب ، حاولوا أيضاً التقليل من مكانة بيت المقدس في الإسلام كمركز هام للعلوم الإسلامية تشد إليه الرحال من جميع البلدان . ولذلك يدعي تيدي كوليك أن (القدس لم تصبح أبداً مركزاً لعلم الدين الإسلامي) . كما يدعي ع . سيفان أيضاً (أن القدس لم تحظ بمكانة عالية في وعي العالم الإسلامي) (١) .

والحقيقة أن المدينة المقدسة كانت مركز إشعاع للعلم الإسلامي يسطع على بلدان المسلمين . ففيها ولد وعاش المثات من علماء الإسلام . واستقبلت المدينة المثات بل الآلاف من علماء المسلمين الذين قدموا من بلدان عديدة من المشرق والمغرب ، وعلموا وتعلموا في المسجد الأقصى ومدارس بيت المقدس .

وقد استعان الأستاذ كامل العسلي (٢) ، بمنهج إحصائي للتحقق من الطابع الإسلامي العالمي للعلماء الذين أقاموا مدينة القدس وعاشوا فيها زمناً طويلاً أو قصيراً . واختار عينة عشوائية تضم ثمانين عالماً من العلماء الذين عاشوا في القدس

١ - كامل العسلي ، ١٩٨٥ ، الطابع الاسلامي الدولي للعلماء الذين أقاموا القدس وعاشوا فيها ، مجلة القدس الشريف .

٢ - كامل العسلي ، ١٩٨٥ ، المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٥٠ .

وعملوا فيها خلال خمسة قرون (من أوائل القرن الخامس الهجري وحتى أواخر القرن التاسع) وتعتمد ألا يكون بين هؤلاء العلماء الثمانين أي عالم من أهل القدس وفلسطين بمفهومها الجغرافي الحديث. وتمثلت العينة:

٩ علماء من القرن الخامس الهجري.

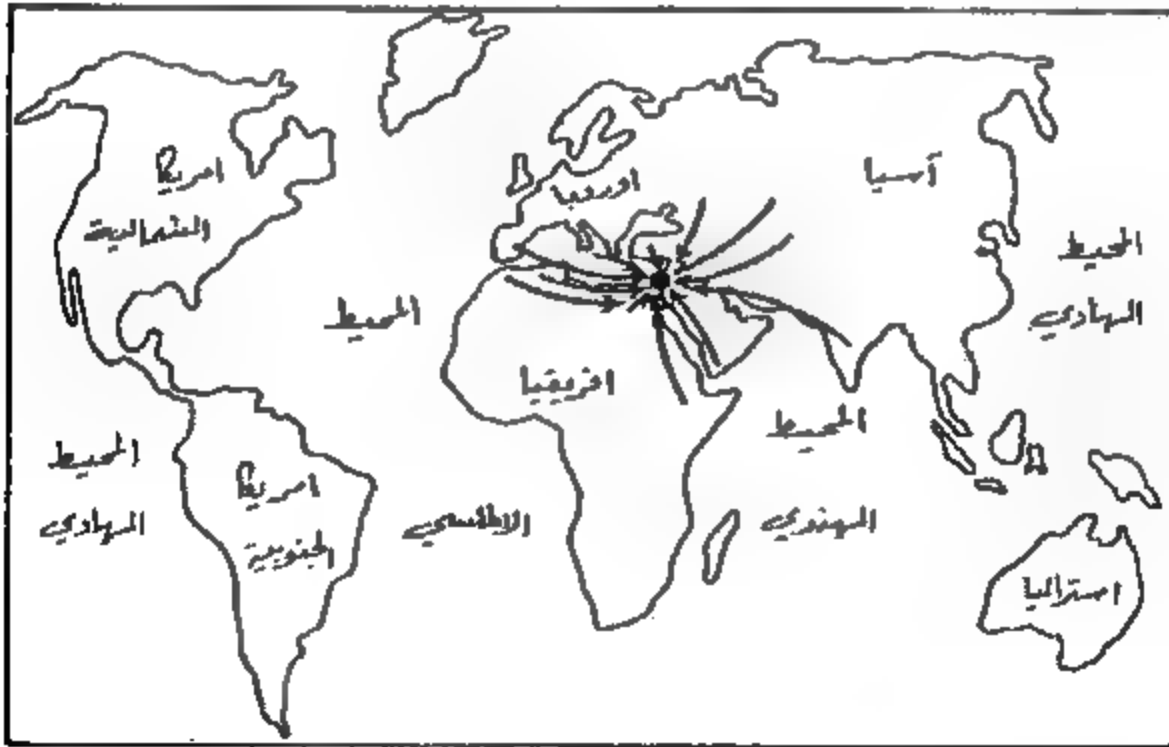
١٤ عالماً من القرن السادس.

٩ علماء من القرن السابع

٢٢ عالماً من القرن الثامن.

٢٥ عالماً من القرن التاسع.

وقام بتحليل المعلومات الواردة في العينة، وبخاصة فيما يتعلق بأسماء المدن والبلدان التي قدم منها هؤلاء العلماء إلى القدس، وذلك للتحقق من مدى إقبال علماء المسلمين على القدس وقصدهم إياها بوصفها مركزاً علمياً يدرسون ويدرسون ويجتمعون للمناظرة فيه. وتبين الجداول (٢ - ٦) العينة المختارة من العلماء والمدن والبلدان التي جاءوا منها وسنوات وفاتهم. كما يبين الشكل ٩ - البلدان التي قدموا منها إلى القدس.



شكل ٩ - توزيع عينة من علماء المسلمين الذين وفدوا إلى القدس من البلدان الإسلامية المختلفة في القرون الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع الهجرية.

جدول - ٢ - من علماء القرن الخامس

اسم العالم	المدينة والبلاد.
محمد بن الكازروني	كازرون، مدينة بفارس بين البحر وشيراز (في خراسان القديمة) وايران اليوم.
الصاغاني	صاغان، قرية بمرز خراسان القديمة في جمهورية تركمانستان السوفيتية اليوم.
الزنجاني	زنجان، مدينة شمالي ايران عند بحر قزوين (خراسان القديمة).
اسماعيل بن علي الحسن الاسترابادي	استراباد، فارس/ ايران (اسمها القديم جرجان).
احمد بن عقيل الشهرزوري	شهرزور/ كردستان.
بن احمد الشيرازي	الري، مدينة قديمة جنوبي شرقي طهران
عبد الجابر بن احمد	فارس/ ايران.
بن يوسف الرازي	شيراز/ فارس ايران اليوم.
ابوالفرج عبد الواحد	جرجان، اقليم بفارس في شرقي ايران، على بعد ٤٠ كم شرقي بحر قزوين/ اسمها القديم
ابراهيم الجرجاني	استراباد.
ابوالحسن البصري	البصرة، العراق.

جدول - ٣ - من علماء القرن السادس الهجري

الاسم	المدينة والبلاد.
محمد بن الوليد الطرطوشي	طرطوشة - الأندلس .
أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي	شاش ما وراء النهر، طشقند اليوم عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفييتية حالياً .
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي	طوس، من مدن خراسان قديماً، وتقع اليوم في جمهورية اوزبكستان .
محمد بن علي بن أبو بكر بن العربي	الكوفة - العراق اشيلية، الاندلس .
أبو عبد الله الديباجي العشاني	مكة، الحجاز/ السعودية .
درباس الهكاري	قرية الهكارية قرب الموصل بالعراق .
ضياء الدين بن عيسى الهكاري	الهكارية بالعراق .
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم القرشي الهاشمي	الجزيرة الخضراء بالأندلس .
مجد الدين طاهر بن جهيل محمد بن حسن بن موسى	حلب / سوريا .
البلاسغوني	بلاسغون، ثغر عظيم من ثغور الترك وراء نهر سيحون وقرب كاشغر تركستان قديماً جمهورية اوزبكستان اليوم .
ياسين بن سهل القابسي الحشابي	قابس، تونس .
أبو بكر الجرجاني، محمد بن أحمد	جرجان، من عمل نيسابور بفارس / ايران اليوم .
أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي	اسمها القديم استراباذ . مالقة / الأندلس ..

جدول - ٤ - من علماء القرن السابع

الاسم	المدينة والبلاد.
برهان الدين ابراهيم بن سعد الله بن جماعة علوان بن ابراهيم أبو عبد الله محمد العبدري عبد الرحيم بن عمر الباجرقي شهاب الدين محمد بن خليل الخوي	حماة/سوريا. رندة (حصن) الاندلس. بلاد حماة (وحاحة قبيلة بربرية) المغرب. باجريق (قرية من قرى بين النهرين، وايضاً اقليم شرقي دجلة قاعدته الرئيسية كركوك) العراق. خوى، مدينة في اذربيجان/ ايران.
محمد بن سليمان بن الحسن البلخي (ابن النقيب) أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري (رشيد الدين الصوري) عبد الرحيم محمد بن الحسين بن عساكر تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح	بلخ، خراسان سابقاً - اليوم قرية صغيرة في افغانستان. صور/ لبنان. دمشق /سوريا. شهرزور، كردستان.

جدول - ٥ - من علماء القرن الثامن

الاسم	المدينة والبلاد.
عز الدين أبو محمد عبد العزیز العجمي الأردبيلي عبد الله بن خليل الاسد محمد بهاء الدين نقشبند الجاربي سراج الدين أبو حفص عمر الزيلجي ابراهيم بن عمر الجعبري	أردبيل / أذربيجان إيران. اسد اباد (مدينة بفارس قرب همذان) إيران. بخاري (من بلاد ماوراء النهر) أوزبكستان السوفيتية اليوم. زيلع، بلاد الحبشة (اثيوبيا). جعبر (قلعة على الفرات بين بالس والرقه) سوريا. الموصل / العراق کردستان (وهي مقسمة اليوم بين إيران والعراق وتركية). تلمسان / الجزائر.
أبو الفتح عبد الله بن محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني شمس الدين محمد بن أحمد القرمي شهاب الدين بادارين، عبد الله القونري نقي الدين اسماعيل بن علي القرقشندي صالح بن محمد بن صالح الصلخدي	مدينة القرم، في شبه جزيرة القرم / تركستان القديمة، أوكرانيا، الاتحاد السوفيتي. قونية، بلاد الروم / تركيا اليوم. قرقشند، مصر. صلخد، من أعمال دمشق سوريا.

عمر بن عبد الله المصمودي

عبد الله الهندي

خير الدين أبو المواهب

خليل بن مقبل العلقمي

محمد بن عطا الله الرازي

الهروي

صلاح الدين أبو سعيد

خليل كيكدي العلّاتي

عبد الله بن علي بن سليمان

الجمال الغرناطي

محمد بن علي بن محمد بن

بن محمد مثبت الخولاني

الاندلسي

محمد بن جابر الوادي آشي

عثمان الخطّاب

الشيخ الختني.

المغرب.

الهند.

بابرت (في أرمينيا سابقاً) تركيا.

علقمة جزيرة صقلية / إيطاليا اليوم.

هراة، أفغانستان اليوم.

دمشق، سوريا.

غرناطة الاندلس.

احدى قرى الاندلس.

وادي آش (قرية شرقي غرناطة) الاندلس.

القاهرة/ مصر.

ختن (بضم الخاء وفتح التاء) مدينة في تركستان

بلاد ما وراء النهر/ جمهورية أوزبكستان (في الاتحاد

السوفيتي اليوم).

جدول - ٦ - من علماء القرن التاسع

الاسم	للمدينة والبلاد.
خليفة بن مسعود المغربي الجابري المالكي عبد المؤمن بن عمر الرهاوي الخلبي عمر بن عبد الله البلخي شمس الدين محمد بن علي ابن الازرق شهاب الدين احمد المعروف الرومي شمس الدين محمد بن محسن اليمني شمس الدين أبو اللطف محمد بن علي الحصكفي سراج الدين مسافر بن زكريا علاء الدين ابوالحسن، علي ابن صدر الدين الاردبيلي ابراهيم بن محمد بن مبارك السبرتي سعد الدين سعد الله بن حسن الفارسي زين الدين عبد السلام بن أبي بكر الكركي	بلاد قبيلة بني جابر، المغرب. الرها (بالجزيرة قرب الموصل) اسمها اليوم اورقة - تركيا. بلخ (خراسان) في افغانستان اليوم. غورناطة / الاندلس. بلاد الروم، تركيا اليوم. بلاد اليمن. حصن كيفا، ولاية ماردين بتركيا اليوم. بلاد الروم، تركيا اليوم اردبيل، بلاد فارس / ايران اليوم. سبرت، مدينة قديمة في افريقيا (لعلها صبراتة الحديثة) ليبيا اليوم. (فارس) - ايران اليوم. الكرك، الاردن اليوم.

محمد فولاد بن عبد الله المغربي	المغرب .
لحسن بن حامد التبريزي	تبريز ، فارس / ايران اليوم .
سوفق الدين الياس بن سعيد	كاشغر ، قرب سمرقند وسط بلاد الترك / جمهورية
بن علي الكاشغري	ازبكستان اليوم .
عبد الواحد بن جباوة المغربي	المغرب .
عز الدين بن داود بن عثمان	قرية كفر الماء عجلون / الاردن اليوم .
بن عبد السلام القدسي	
شمس الدين محمد بن حمزة	بورصة ، تركيا .
الفناري	
عبد الله بن احمد بن عبد	مدينة مراكش ، المغرب .
الله المراكشي	
ابو الصفا ابراهيم بن علي	أسعد (اليوم سعرت) تركيا .
الاسعدي	
شمس الدين محمد العسقلاني	القاهرة ، مصر .
زين الدين أبو بكر بن عمر القمني	قمن ، ريف مصر .
محمد بن الدين القرقيشي	قرقيشة ، مصر .
ابو البقاء احمد الزيري	الصعيد ، مصر .
ابو العباس احمد بن الهاشم	القاهرة ، مصر .

وقد ظهر من الدراسة ان العلماء الذين جاءوا إلى القدس من اثنين وعشرين
قطراً (بالمفهوم الحديث للأقطار) ومن المدن يتراوح بين ستين وسبعين
مدينة في هذه الأقطار (ولم يكن ممكناً تحديد أسماء المدن التي جاء منها العلماء في بعض

الحالات) . ويعد هذا العدد كافياً تماماً لإظهار المكانة السامية التي كانت تحظى بها المدينة المقدسة في وعي العالم الإسلامي ، وليبيان منزلتها الرفيعة مقصداً للعلماء المسلمين من كل حذب وصوب ومن كل فج عميق .

ونجدر الإشارة إلى أنه من الممكن زيادة عدد العلماء الذين جاءوا إلى القدس في القرون الخمسة الآتية الذكر ، وكذلك زيادة عدد الاقطار والمدن ، وزيادة عدد القرون أيضاً . ولكن تبقى العينة المختارة دليلاً واضحاً على مكانة القدس عند علماء المسلمين ، بوصفها مركزاً علمياً كبيراً ، وكذلك توضيح الطابع الإسلامي الشامل للعلماء الذين كانوا يقصدونها لمكانة المدينة العلمية . ولم يتبع هؤلاء العلماء بعد ذلك كله أي أجبر ، وفي هذا الميدان كانت تتجلى عظمة هؤلاء العلماء ، وبه استحقوا الخلود على الزمان ورحمهم الله .

وينفس القدر الذي كانت فيه القدس مقصد علماء المسلمين من كل حذب وصوب ، كانت تمثل المدينة بحد ذاتها خلية علمية تعج بالعلماء المقدسين من أهل البلاد ، ولتأكيد دور العلماء المقدسين في العلم الإسلامي ، أورد الاستاذ مصطفى الدباغ^(١) قائمة بالتراجم المقدسية (بعضهم وليس جميعهم) من القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر من الهجرة ، وتضم مئة وثلاثين عالماً مقدسياً ممن ولدوا وشأوا في القدس ، ودرسوا في المسجد الأقصى ، ودارس بيت المقدس والأزهر واستنبول وغيرها . وقد أرخّل عدد منهم إلى الديار الإسلامية للتدريس ونشر الوعي الإسلامي . وتوفى هؤلاء العلماء أما في بيت المقدس أو في المدن الإسلامية الأخرى مثل دمشق أو استنبول أو المدينة المنورة وغيرها .

ب - المكتبات ودور العلم .

بعد دخول صلاح الدين الأيوبي «مدينة القدس» سنة ٥٨٣ هـ / ١٨٧ م بداية مميزة للحياة العلمية التي عمت الديار الشامية وبخاصة فلسطين . فقد أعاد بناء ما حربه المغول والتار والصليبيون من دور علم ، وما أحرقوه من خزائن كتب ، وما

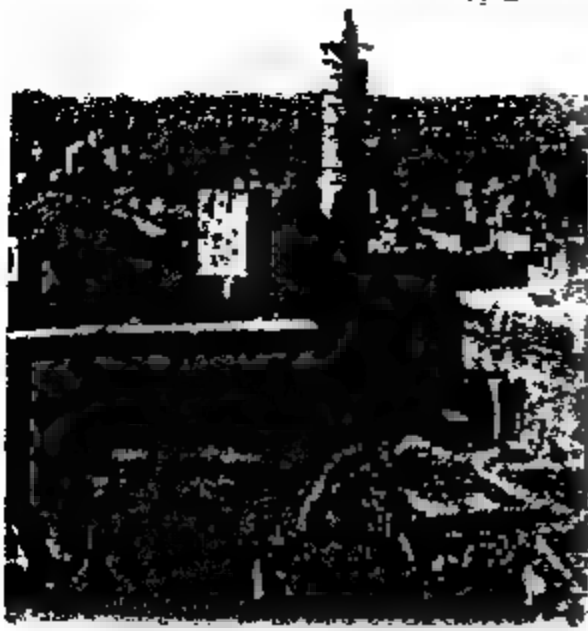
١ - مصطفى مراد الدباغ ١٩٧٦ ، مرجع سابق ، ص ٩٥ - ١٢٣ .

هدموه من مدارس وجوامع ومنشآت حضارية تمثل الوجه الناصع للحضارة العربية الإسلامية^(١). ولكي تستمر المدينة المقدمة بدورها العلمي الاسلامي، استهل صلاح الدين عهده في فلسطين بعملين جليلين هما انشاء المدارس والعمل على تزويد المسجد الأقصى بالكتب الدينية والعلمية. فقد عمد إلى تحويل الدار التي بناها فرسان المنظمة الصليبية العسكرية المسماة «الاستبارية» إلى مدرسة كبرى (هي المدرسة الصلاحية) يدرس فيها الفقه الشافعي. ويقول العماد الأصفهاني (فاوض السلطان جلساؤه من العلماء والأبرار والأتقياء الأخيار، في مدرسة للفقه الشافعية ورباط للعلماء الصوفية، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنة عند باب الأسباط، وعين دار البطريرك للرباط ووقف عليها وقفاً). ويقول مجير الدين العلمي مشيراً إلى حرص صلاح الدين على تزويد هذه المدارس بالكتب: (إن السلطان صلاح الدين أمر بهدم البناء الذي أقامه الصليبيون في الصخرة، وأعادها كما كانت ورتب لها إماماً حسن القراءة، ووقف عليها داراً وأرضاً، وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختبات وربعات شريفة).

وقد سار الأيوبيون على سنة صلاح الدين في تأسيس المعاهد العلمية وتزويدها بالمدرسين والكتب المخطوطة. فقد جدد الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب بناء المدرسة الناصرية، أو الغزالية، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً في جملتها «أصلاح المنطق» لابن السكيت وهو بخط الإمام النحوي ابن الخشاب. ويقول العلمي أنه وقف على كراسة من هذا الكتاب وعلى ظهرها الوقف وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م.

وفي القدس خزائن كتب عامة وخاصة كثيرة. فأما العامة فأشهرها خزانة المسجد الأقصى في القدس. ويبدو من مراجعة فهرسها أنها تحوي كتباً دينية مخطوطة قدر عددها بألف مخطوط، كالمصاحف والربعات وكتب أكثرها في العصرين المملوكي والعثماني. وفي الخزانة أيضاً كتب متفرقة في الأدب والفقه على المذاهب الأربعة والتفسير والحديث. ولعل أنفس ما حوته الخزانة المذكورة وأشار إليه فهرسوها مخطوط كتاب «نشق الأزهار في عجائب الأقطار» للمؤرخ المصري ابن

١ - الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، المجلد الرابع، فصل للكتبات، ص ٢٨٦ - ٢٨٨.



داخل قلعة القدس .

اباس (٨٥٢ - ٩٣٠ هـ)، وخطوط
«تلخيص التشابه في الرسم وحماية ما
اشكل منه عن بواذر التصحيف والوهم»
لأبي بكر الخطيب علي بن ثابت البغلاني
المتوفي سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م، وخطوط
«طبقات الشافعية» لتقي الدين ابن قاضي
شهبة الدمشقي المتوفي سنة
٨٥١ هـ / ١٤٤٨ م، وخطوط «كتاب
الأقاليم» للأصطخري المتوفي سنة
٣٤٠ هـ / ٩٥٢ م ويقال ان المخطوط يرجع
إلى القرن الخامس وأوائل السادس.

وفي الخزانة نحو عشرة آلاف كتاب أما خزائن الكتب الخاصة فكثيرة منها:

- ١ - خزانة آل أبي اللطف بالقدس .
- ٢ - خزانة آل البديري بالقدس، واسرة البديري أسرة عريقة كانت لديها خزائن
كتب مخطوطة تبذرت بعد ان اقتسموها . وآل قسم من مخطوطاتها إلى الشيخ
محمد البديري فجعلها في جناح من أجنحة المسجد الأقصى .
- ٣ - خزانة آل الترجمان بالقدس .
- ٤ - خزانة آل الجوهري بنابلس .
- ٥ - خزانة آل الحسيني بالقدس .
- ٦ - خزانة آل الخالدي بالقدس .
- ٧ - خزانة آل الخليلي بالقدس . وقد وقفها الشيخ محمد بن محمد الخليلي مفتي
الشافعية المتوفي سنة ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م . ويقال ان الشيخ الخليلي اول من
حقق فكرة ايجاد مكتبة عامة في القدس استناداً إلى وقفية كتبه . وقد حفظت
الكتب المذكورة في المدرسة البلدية التي كان انشاؤها يباب السلسلة نائب
السلطان الأمير سيف الدين . منكلي بنا الأحمدي المتوفي سنة
٧٨٢ هـ / ١٣٨١ م .
- ٨ - خزانة آل الداودي بالقدس .

٩ - خزانة عبد الله مخلص (١٨٧٨ - ١٩٤٧م) بالقدس في حي الشيخ جراح ، وقد حوت نقائس المخطوطات . ويبدو ان المكتبة نقلت بعد حوادث ١٩٤٨ إلى بعض الأديرة الموجودة قرب سور المدينة من داخل . وقيل ان الصهيونيين نهبوا ابان معارك ١٩٤٨ .

١٠ - خزانة آل قطينة بالقدس بباب العمود . آل قطينة اسرة حنبلية يقال أن أبناءها هم الحسابلة الوحيدون في القدس ، وفي الخزانة مخطوطات نفيسة في الرياضيات والفلك والتنجيم لم يبق منها اليوم شيء .

١١ - خزانة محمد اسعاف النشاشيبي بالقدس .

١٢ - خزانة محمود اللحام بضاحية سلوان (شرقي القدس) وفيها أربعة آلاف مصنف .

١٣ - خزانة آل فخري وقد وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل ناظر الجيوش الاسلامية المتوفي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م . وهذه الخزانة قسم من الخانقاه الفخرية المجاورة لجامع المغاربة . ويقال انها كانت تحتوي على عشرة آلاف مجلد اقتسمها افراد الاسرة ففرقت كتبها .

١٤ - خزانة آل الموقت بالقدس .

وتضم القدس أيضاً خزائن كتب مسيحية عربية واجنية أكثرها تابع للطوائف الدينية والبعثات الأثرية والتبشيرية الفرنسية والانكليزية والامريكية ومنها :

١ - مكتبة القبر المقدس .

٢ - مكتبة دير الروم ، وفيها ٢٧٣٣ مجلداً باليونانية وغيرها بينها مخطوطات يونانية مؤرخة في القرن العاشر للميلاد .

٣ - مكتبة دير الدومينيكان .

٤ - مكتبة الآباء البيض .

٥ - مكتبة دير الفرنسيسكان .

٦ - مكتبة دير الأرمن .

٧ - خزانة الآثار الامريكية .

٨ - خزانة الآثار الانكليزية .

٩ - مكتبة المجمع العلمي الأثري البروتستانتي .

وتعد المكتبة الخالدية في القدس أهم دور الكتب الخاصة في فلسطين وأغناها . وكانت المكتبة مدرسة آلت ملكيتها إلى السيدة خديجة الخالدي ابنة القاضي موسى افندي الخالدي قاضي عسكري الاناضول ، فأوصت ولدها الحاج راغب الخالدي رئيس المحكمة الشرعية بيافا (المتوفي سنة ١٩٥١) ، ان يقفها وينقل اليها كتب الاسرة الخالدية . فنفذ وصيتها سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م بمشورة ومعرفة الشيخ ظاهر الجرائري مؤسس المكتبة الظاهرية بدمشق ، والشيخ ابي الخير محمد ابن الحبال الدمشقي ، فوضعاً فهرساً بأسماء كتبها . وقد جاء في «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» وصف للظرف التي تم بها تأسيس المكتبة وجعلها دار كتب عامة : (وفق الله جناب الفاضل راغب افندي الخالدي بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة ، وهما ياسين افندي الخالدي وموسى شفيق افندي الخالدي ، إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة في القدس الشريف ، وضعوا فيها كمية وافرة مما وجد عندهم من بقية كتب آبائهم وأجدادهم ، و اضافوا إليها بعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً ، وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أي فرد ، و شرطوا ان لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامة ، وهي مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء ، وعينوا لها محافظاً أميناً) .

وتحتوي المكتبة على عشرة آلاف كتاب ثلثها مخطوط والثلث من نواذر المطبوعات القديمة في العلوم العربية والاسلامية . وقد ضمت إليها خزانة الشيخ يوسف ضياء باشا الخالدي ومحمد روجي الخالدي ، وضمت بعدئذ إليها خزانة الشيخ احمد بدوي الخالدي بالإضافة إلى ما أهدي إليها من نفائس مطبوعات المستشرقين . وتبين من مطالعة فهرست المكتبة إنها تحوي كتباً في التفسير والتجويد والقراءات والرسم والحديث والاصول والفتاوي والفقه الحنفي والفقه على المذاهب الأربعة والفرائض والتوحيد والتصوف والمواعظ والحكم والنحو واللغة والأدب والسياسة والقوانين والدواوين والمدائح النبوية والسيرة النبوية والمناقب والتراجم والفلك والطب والروحانيات . وفيها عدد كبير من المجاميع في مختلف العلوم الدينية والدينية . إلا ان مصير الخزان والمكتبات التي ذكرت كان مصير المعالم الحاضرة الأخرى في المدينة المقدسة .

جـ - المعالم الأثرية والتاريخية العربية الإسلامية في المدينة المقدسة^(١) :

مدينة القدس حافلة بالمباني الأثرية الإسلامية النفيسة . ففيها ما يقرب من مئة بناء أثري منها المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والربط والترب والتحصينات وغيرها من المباني الكثيرة المذكورة في كتب التاريخ وقد زالت معالمها . وقد انتشت هذه المخلفات الحضارية في مدينة القدس بالرغم من أنها لم تكن المركز السياسي في عصر من العصور الإسلامية . ولا غرابة فالإسلام أظهر تعلقه واهتمامه بهذه المدينة منذ نشأته فكانت قبلة المسلمين الأولى حتى السنة الثانية من الهجرة ، وإليها كان اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها كان معرجه إلى السماء ، وفيها ثالث المساجد التي تختص برتبة القداسة والفضل على سواها كما رواه المحدث المعروف ابن شهاب الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد للمسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس » . ولهذا اهتم الملوك والأمراء والولاة على مر الأزمان بأقامة المباني العامة الفخمة الجميلة الحافلة بأنواع النقوش والزخارف ، قاصدين بذلك فعل الخير ونيل الأجر والتعبير عما تفيض



الصخرة



قبة الصخرة

١ - الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص ٥٣٣ - ٥٤٢ .

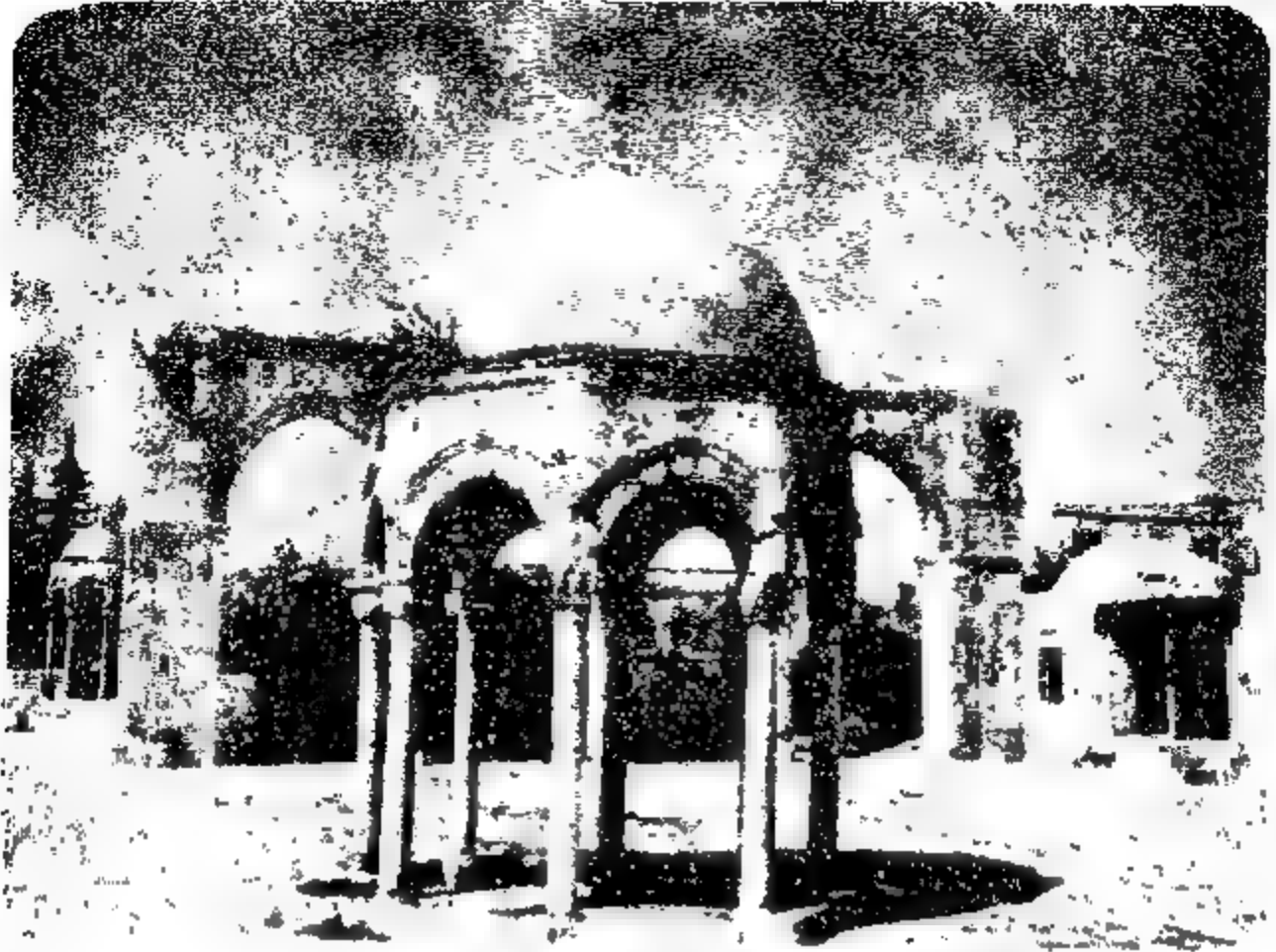
به قلوبهم ومشاعرهم من المحبة والتقديس لهذا البلد، ولتوفير المسكن والمأكل للوافدين لزيارة هذه المدينة المقدسة من جميع أقطار العالم الاسلامي، ولاسيما بعد ادائهم فريضة الحج بمكة المكرمة، وللمتصوفين الزاهدين والمتعبدين الراغبين في الاقامة بجوار المسجد الأقصى المبارك.



قبة الصخرة من الداخل

إن قبة الصخرة المشرفة هي أقدم هذه المباني وأنفسها وأكثرها جمالاً وبهاء، بناها عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس سنة ٧٢هـ/٦٩١م. وهي من أروع ما وصل إليه المجهود الانساني في العمارة. ولعلها الأثر الأموي الوحيد الباقي إلى اليوم في القدس لأن المسجد الأقصى الذي بناه الوليد الأول (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) لم يبق من هيئته الأصلية إلا أجزاء قليلة بسبب تأثره بالهزات الأرضية وغيرها من عوامل الطبيعة، مما أدى إلى إعادة بناء أقسامه في العهد

العباسية والفاطمية والصليبية والأيوبية والمملوكية. فالقسم الأعظم من هيئة المشاهدة اليوم هو من عمل الخليفة الفاطمي الظاهر. ولا يوجد من آثار العباسيين ما يظهر مدنتهم الزاهرة لأن سيطرتهم الفعلية على هذه البلاد زالت في أواخر القرن الثالث الهجري، وانتقل سلطان الحكم بالتتابع إلى ولاية مصر من الطولونيين والاختشيديين والفاطميين. وهؤلاء أيضاً لم يبق من آثارهم شيء بسبب غارات القرامطة في القرن الرابع الهجري، وغزوات التركمان والصلبيين في أواخر القرن الخامس الهجري وي بعده، حيث أدت هذه الغزوات وتلك الغارات بلا شك إلى ضياع الآثار الطولونية والاختشيدية والفاطمية من هذه البلاد. ولذلك فإنه لن يكون من أثر للمباني الاسلامية - عدا بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى - إلا بعد معركة



قبة الأرواح



قبة الخضر

حطين (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) وتحرير
السلطان صلاح الدين القدس
واخراجه الصليبيين منها . وقد سجل
المقدسي الذي عاش في أواخر القرن
الرابع الهجري في كتابه المعروف
«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»
وصفاً ممتعاً للقدس - وهو من ابنائها -
عدد فيه مناقبها وفضائلها وما امتازت
به من جيل المباني والنظافة وحسن
التنظيم ومن كان فيها من أهل العلم
والفضل فقال: «بيت المقدس ليس في
مدائن الكون أكبر منها، وقصبات
كبيرة أصغر منها كاصطخر وقاين
والفرما . لا شديدة

البرد وليس فيها حر. وقل ما يقع فيها الثلج. بنيانهم حجر لا ترى احسن منه. ولا أنظم من أسواقها ولا أكبر من مسجدها. ولا أكثر من مشاهدتها، وفيها كل حائق وطبيب. وإليها قلب كل لبيب». وهذا الوصف الذي أورده المقدسي بصور حالة بيت المقدس وثبت أنها كانت مدينة كبيرة مزدهرة وعامرة بالمباني الجميلة التي زال أكثر آثارها.



قبة سليمان.

١- اثار الدولة الايوبية (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م - ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م):

ان أول عمل قام به السلطان صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية عند فتحة بيت المقدس، استرجاعه الأماكن الاسلامية التي كان قد استولى عليها

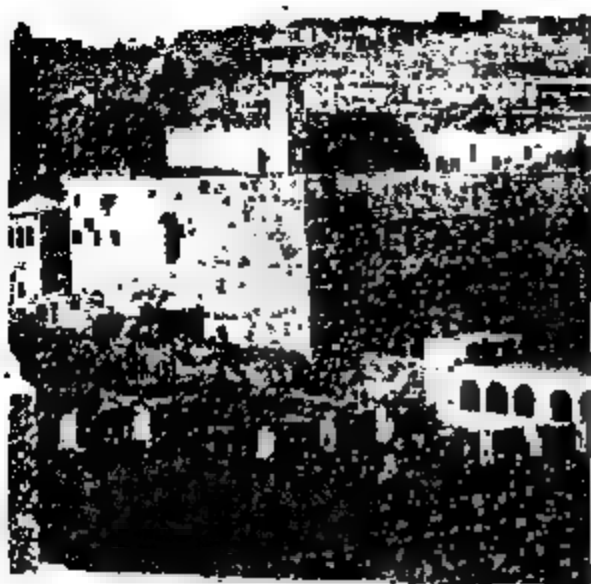
المصليين . وقد جدد محراب المسجد الأقصى وبناه بالرخام ، وأرخ ذكرى فتح بيت المقدس في سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٧م . وهذه الكتابة موجودة الآن فوق المحراب المذكور . وحضر المنبر الذي أمر بصلته الشهيد نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م خصيصاً لينقل إلى المسجد الأقصى عند فتح بيت المقدس . والمنبر مصنوع من الخشب ومرصع بالعاج والأبنوس ، وتشاهد فيه دقة الصناعة الإسلامية التي كانت شائعة في تلك الأيام . وقد أضرمت النار فيه صهيوني صباح يوم ١٩٦٩/٩/٢١ محاولاً بذلك حرق المسجد الأقصى .

وبنى السلطان صلاح الدين أسوار المدينة وإبراجها التي كانت تهدمت ، ولا يزال جزء كبير منها موجوداً إلى الآن ، وحفر الخندق الذي يحيط بسور المدينة من باب العمود إلى القلعة في باب الخليل .

وفي سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م جدد قبة الصخرة وزين داخلها بالزخرفة العربية بهاء الذهب على ما يرى في وقتنا الحاضر . وأسس الخانقاه الصلاحية الواقعة في



الواجهة الرئيسية للمسجد الأقصى .



متلذنة الأقصى.



محراب الأقصى

الشمال الغربي من كنيسة القيامة في حارة النصارى وجعلها رباطاً للصوفية وعين عليها الشيخ غانم بن علي. وأسس المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية مكان الكنيسة المعروفة بكنيسة القديسة حنة عند باب الأسباط ووقف عليها وعلى مصالح المسجد الأقصى المبارك، أوقافاً حسنة منها الأسواق المتحاذية المعروفة اليوم بسوق العطارين واللحامين والصياغ.

ومن الآثار الأيوبية في القدس:

١ - الزاوية الخشنية: وقد أسسها السلطان صلاح الدين بظاهر سور المسجد الأقصى الجنوبي خلف المنبر، ووقفها على الشيخ الأجل الزاهد العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد جلال الدين الشاسي المجاور في بيت المقدس، ثم من بعده على من يحملو حنوه. وكان تاريخ وقفها في ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ/١١٩٢م.

٢ - ماء العروب: أجليها إلى القدس في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م الملك العادل أبو بكر. وتبعد عن العروب قرابة ٢٢ كم إلى الجنوب من القدس بالقرب من برك سليمان. وقد بنى العادل سقاية، أي حوضاً، لحفظ الماء في الجهة الجنوبية بالقرب من باب المتوضأ بباب المطهرة، وهو أحد ابواب الحرم الشريف الغربية. ومدخل السقاية القديم لا يزال قائماً فوقه كتابة تشير إلى عمل الملك

العادل . وهذا الأثر يسجل المحلولة الأولى لتموين القلنس بالماء من الخارج في مدة الحكم الاسلامي ، مما يدل على ازدهار العمران وكثرة السكان في تلك الأيام .

٣ - الجامع العمري : بناء في سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن صلاح الدين أثناء سلطته على دمشق . وهو معروف اليوم بجامع عمر ، ويقع بالقرب من كنيسة القيامة في الجهة الجنوبية الغربية . وقد وقف الملك الأفضل المدرسة الأفضلية الواقعة في حارة المغاربة على طائفة المغاربة .

٤ - المدرسة الميمونة : تبعد حوالي ٢٠٠ م إلى جنوب شرقي باب الساهرة داخل سور المدينة . وقد ذكر مجير الدين الحنبلي ان اصلها كنيسة من بناء الروم وقفها الأمير فارس الدين أبوسعيد ميمون بن عبد الله القصبري خازن دار الملك صلاح الدين ، وان تاريخ وقفها كان في جمادي الأولى سنة ٩٥٣هـ / ١١٩٧م .

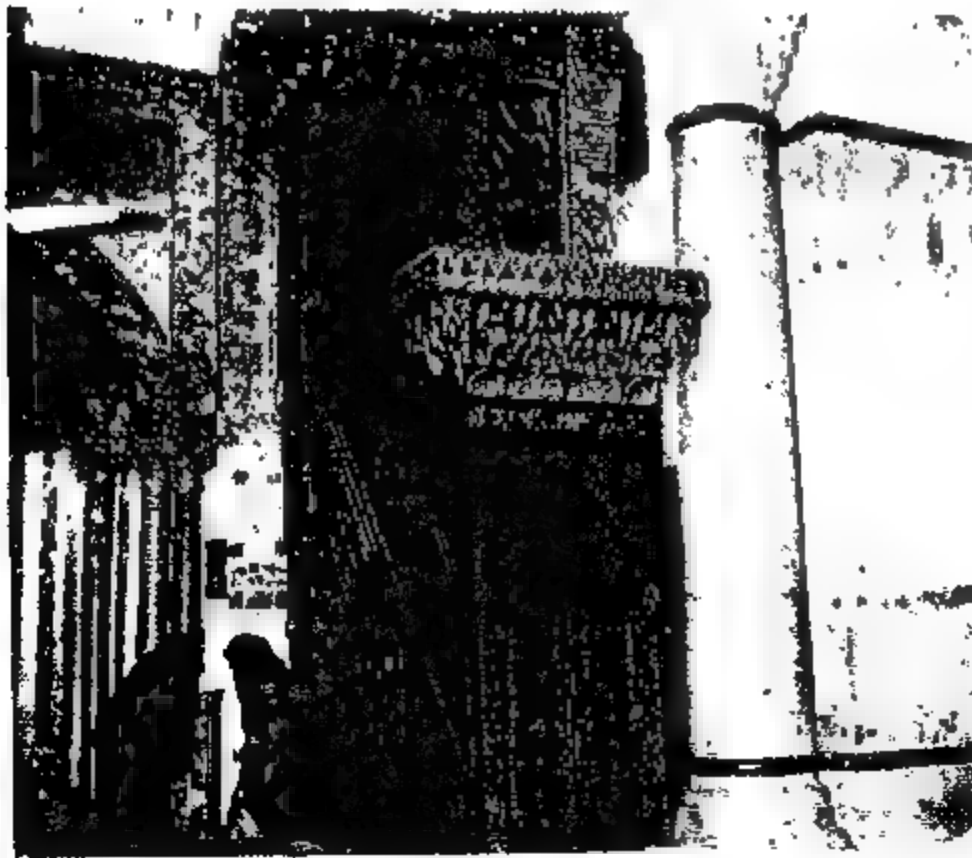
٥ - قبة المعراج : انشأها في سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م الأمير عز الدين أبو عمر وعثمان الزنجلي متولي القدس الشريف وهي بناء مشمن الشكل ، جدرانها مبنية بالواح الرخام الأبيض ، وعليه قبة لطيفة مغطاة بصفائح الرصاص . وتقع القبة بالقرب من الصخرة المشرفة في الجهة الشمالية - الغربية .

٦ - قبة سليمان : بداخل ساحة الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (أي باب الملك فيصل) إلى الغرب منه . والقبة تقوم على بناء مشمن الشكل محكم التكوين بداخله صخرة ثابتة . ويذكر مجير الدين الحنبلي ان البناء من عهد بني أمية ، إلا ان طراز بناء القبة والأقواس يدل على انه يرجع إلى أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

٧ - الزاوية الجراحية : بظاهرة القدس القديمة من جهة الشمال ، وتعرف بزاوية الشيخ جراح وتقع على جانب طريق نابلس ، ولها وقف ووظائف مرتبة ونسبتها إلى واقفها الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين ، وكانت وفاته في صفر سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م وهو مدفون في زاويته هذه .

٨ - المدرسة الناصرية : كانت على برج من باب الرحمة الملاصق لباب التوبة ، وكلاهما واقعان في منتصف سور الحرم الشرقي . وهذان البابان مغلقان منذ زمن قديم . وقد عرفت المدرسة بالناصرية نسبة إلى أبي حامد الغزالي الذي اعتكف فيها مدة . وقد جدد عمارتها الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب ٦١٠هـ / ١٢١٤م وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو وآداب اللغة العربية ووقف عليها كتباً من جملتها اصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت . وذكر مجير الدين الحنبلي ان المدرسة كانت مندثرة في أيامه .

٩ - زاوية الدركاء : بجوار البهراستان الصلاحي . ويقول مجير الدين الحنبلي انها كانت في زمن الفرنج دار الاستتار ، وانه كان عليها منارة هدم بعضها . وكان قديماً ينزل بها نواب القدس ، واقفها هو الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك المعادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين في سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م وهي اليوم مندثرة .

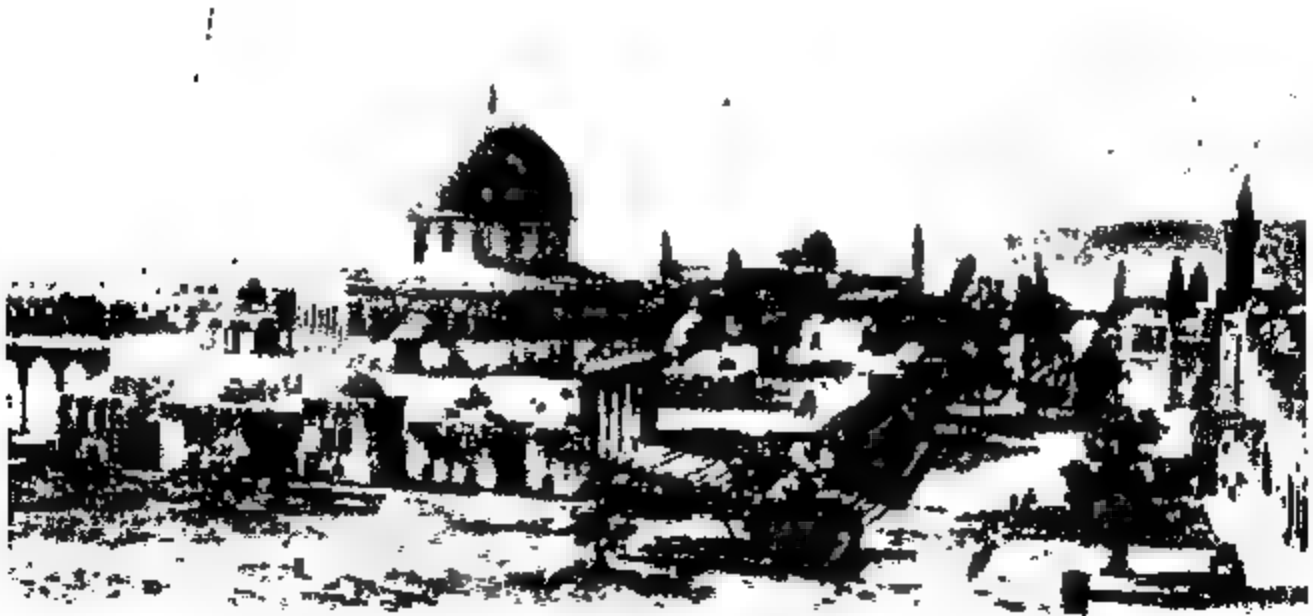


محراب الأقصى

١٠ - تربة الملك حسام الدين بركة خان: في الجهة الجنوبية من طريق باب السلسلة، وتعرف اليوم بالمكتبة الخبالدية. وقد تم بناؤها في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، وبنى محمد بن احمد بن يمن العلائي النافذة المطلّة على طريق باب السلسلة سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م. وعلى عتبة النافذة العليا كتابة تشير إلى عمله هذا.

١١ - زاوية المنود: بداخل سور المدينة، وتبعد قرابة ١٠٠ م إلى جنوب باب الساهرة. ويذكر مجير الدين الحنبلي انها كانت للفقراء الرفاعية، ثم نزل بها طائفة المنود فعرفت بهم. وترجع إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

١٢ - منشآت الملك عيسى ابن الملك العادل اخي السلطان صلاح الدين: اقام هذا الملك منشآت أيام سلطنته على الشام. ففي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م بنى القبة النحوية للدراسة الآداب العربية، وهي بناء جميل يقع عند الزاوية الجنوبية الغربية من صحن قبة الصخرة. وفي سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م أنشأ البرج الذي تقف عليه مئذنة جامع القلعة في الجهة الجنوبية الغربية من بناء



Umar Mosque

Mosque of Umar

Jerusalem, Jordan

جامع عمر

القلعة في باب الخليل . وبنى فيه سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م سيلاً يعرف بسيل مشعلان ، وهو سيل لطيف واقع في داخل ساحة الحرم بالقرب من المرقى الذي يصل اليه الداخل من باب الناظر . وفي سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م بنى مدرسة للحنفية تعرف بالمدرسة المعظمية ، وموقعها مقابل باب شرف الأنبياء المعروف اليوم بباب الملك فيصل ، وهو أحد المداخل الشمالية للحرم . ويرجع تجديد هذا الباب والرواق لما تمتد منه لجهة الغرب إلى أيام الملك المعظم أبي العزائم عيسى بن أبي بكر بن أيوب في سنة ٦١٠هـ / ١٢١٤م .

ب - آثار دولة المهاليك البحرية (٦٥٠هـ - ٧٨٤هـ / ١٢٥٣م - ١٣٨٣م) :

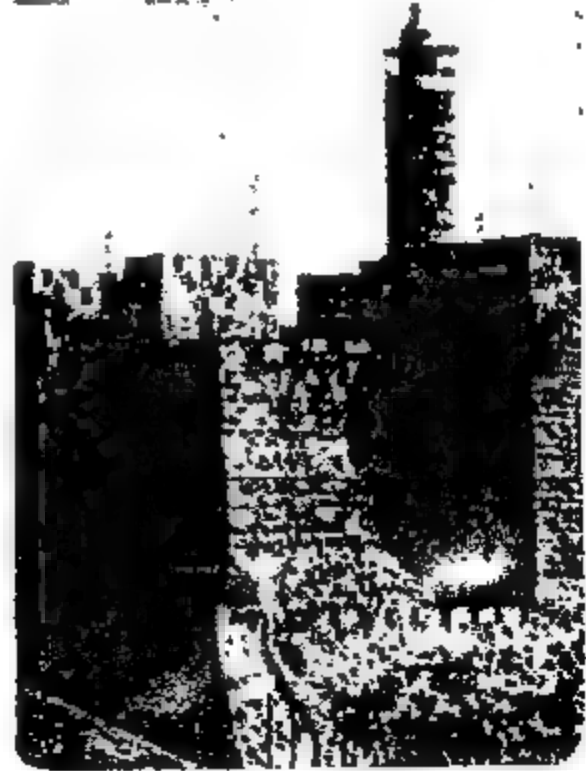
- ١ - رباط علاء الدين البصير : في الجهة الشمالية من الطريق الموصلة إلى حرم المسجد الأقصى المبارك من مدخل باب الناظر قرب دوائر المجلس الاسلامي الأعلى سابقاً ، وهو تجاه الرباط المنصوري أوقفه الأمير علاء الدين ابدغدي بن عبد الله الصالح النجمي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م . وكان الأمير علاء الدين من أكابر الأمراء ولي قبل مجيئه إلى القدس نظارة الحرمين الشريفين في أيام الملك الظاهر بيبرس وأيام الملك المنصور قلاوون ، وفي سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م جدد باب المظهرة وهو أحد ابواب الحرم الغربية ويقع جنوب باب القطانين . وفي أيامه بلط صحن قبة الصخرة الشريفة .
- ٢ - دار الحديث : بجوار التربة والمدرسة الطازية من جهة الغرب . واقفها هو الأمير شرف الدين عيسى بن بدر الدين أبي القاسم الهكاري . وتاريخ وقفها في ٢٥ رجب سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م .
- ٣ - الرباط المنصوري : في الجهة الجنوبية من طريق باب الناظر تجاه رباط علاء الدين البصير . وقد بناء السلطان الملك المنصور قلاوون الصالح سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م وأوقفه على الفقراء وزوار بيت المقدس .
- ٤ - الزاوية الكبكية : في مقبرة مأمّن الله . ونسبتها إلى منشئها الأمير علاء الدين ابدغدي بن عبد الله الكبكي المدفون فيها سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م .

- ٥ - رباط كرد: في الجانب الشمالي من طريق باب الحديد تجاه المدرسة الأرغونية .
وواقفه هو المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م .
- ٦ - المدرسة الدوادارية: وتعرف اليوم بمدرسة الإناث الإسلامية، ومكانها على
يعين الخارج من الحرم من باب شرف الأنبياء، وواقفها هو الأمير علم الدين
أبوموسى سنجر عبد الله الدوادار الصالحى النجمي، وعمارتها في سنة
٦٩٥هـ / ١٢٩٥م .
- ٧ - التربة الأوحديّة: وتقع على يسرة الخارج من الحرم من باب حطة . وواقفها هو
الملك الأوحّد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك
المعظم عيسى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م .
- ٨ - المدرسة الإسلامية: بجوار المدرسة الدوادارية لجهة الشمال بالقرب من باب
الملك فيصل . وواقفها هو الخواجه محمد الدين ابوالفدا اسماعيل السلامي بعد
سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م .
- ٩ - زاوية المغاربة: تقع بأعلى حاراتهم في الجهة الغربية خارج الحرم . وواقفها هو
الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد . ويذكر مجير
الدين الحنبلي انه كان رجلاً صالحاً عمّر الزاوية وانشأها من ماله ووقفها على
الفقراء والمساكين في ٣ ربيع الآخر سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م . وتوفي بالقدس
ودفن بمقبرة مامن الله عند حوش البسطامية .
- ١٠ - التربة الجالقية: وتعرف اليوم بدار الخالدي . وموقعها بالزاوية الشمالية الغربية
عند ملتقى طريق الواد بطريق باب السلسلة . وواقفها هو ركن الدين بيبرس
بن عبد الله الصالحى النجمي المعروف بالجالق، ومعناه الحصان القوي
الشديد المراس . وكان من جملة الأمراء بالشام في دولة الملك المنصور قلاوون
وبعده . وقد توفي في الرملة سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م ودفن بتربته في القلنس .
- ١١ - جامع قلعة القدس: بداخل القلعة عند زاويتها القبليّة الغربية . وقد كتب
على عتبة بابه العليا ان الجامع انشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة
٧١٠هـ / ١٣١٠م .
- ١٢ - الأروقة في المسجد الأقصى: في حرم المسجد الأقصى من جهة الغرب اروقة
مبنية بالبناء المحكم . وهي ممتدة من جهة القبلة إلى جهة الشمال . وأولها عند

باب الحرم المعروف بباب المغاربة وآخرها عند باب الغوانمة ، وكلها عمرت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في مدد مختلفة . فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة عمر في سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م ، والرواق الممتد مما يلي منارة باب السلسلة إلى قرب باب الناظر عمر في سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م ، والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة عمر سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م . وعمر السور القبلي عند محراب داود ، وهو جزء من سور المدينة الممتد من المسجد الأقصى إلى زاوية السور الجنوبية الشرقية عند مهد عيسى عليه السلام . ورخم صدر المسجد الأقصى ، أي حائط المسجد الجنوبي ، وفتح بالمسجد المذكور الشباك الذي كان على يمين المحراب وشماله في سنة ٧٣١هـ / ١٣٣١م . وجلد تذهيب قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة حوالي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م ، وعمرت القناطر التي تسمى اليوم بالميازين على رأس المرقبين الشماليين بصحن قبة الصخرة ، أحدهما مقابل باب حطة والآخر مقابل باب شرف الأنبياء . وكانت عمارة الأول سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م والثاني في سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م . وجددت عمارة باب القطانين في سنة



داخل المسجد الأقصى .



القلعة وجامعها .

٧٣٦هـ / ١٣٣٥م ، وهو أحد ابواب الحرم الغربية . وفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م عمرت قناة السيل التي عند بركة السلطان بظاهر القدس القديمة من جهة الغرب . وهي القناة الواصلة للقدس من عين العروب . الواقعة على بعد قرابة ٢٢ كم إلى جنوب مدينة القدس . وللملك الناصر محمد بن قلاوون غير ذلك من المباني المختلفة الكثيرة في فلسطين وسورية والقاهرة .

١٣ - التربة السعدية : بطريق باب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية بالقرب من باب الحرم الرئيسي المعروف بباب السلسلة لجهة الغرب . وواقفها هو الأمير سعد الدين مسعود بن بدر سنقر عبد الله الرومي الحاجب بالشام في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١هـ / ١٣١١م .

١٤ - المدرسة الكريمة : بالقرب من باب حطة لجهة الشرق . وواقفها هو كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكاس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية سنة ٧١٨هـ / ١٣١٩م .

١٥ - المدرسة الجاولية : وتعرف بكلية روضة المعارف الوطنية سابقاً . وهي واقعة في الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم الشريف . وواقفها هو الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة . وقد صارت المدرسة في تلك الأزمنة سكناً لنواب القدس ، وفيها مدفن الشيخ الصالح دوباس الكردي الهكاري .

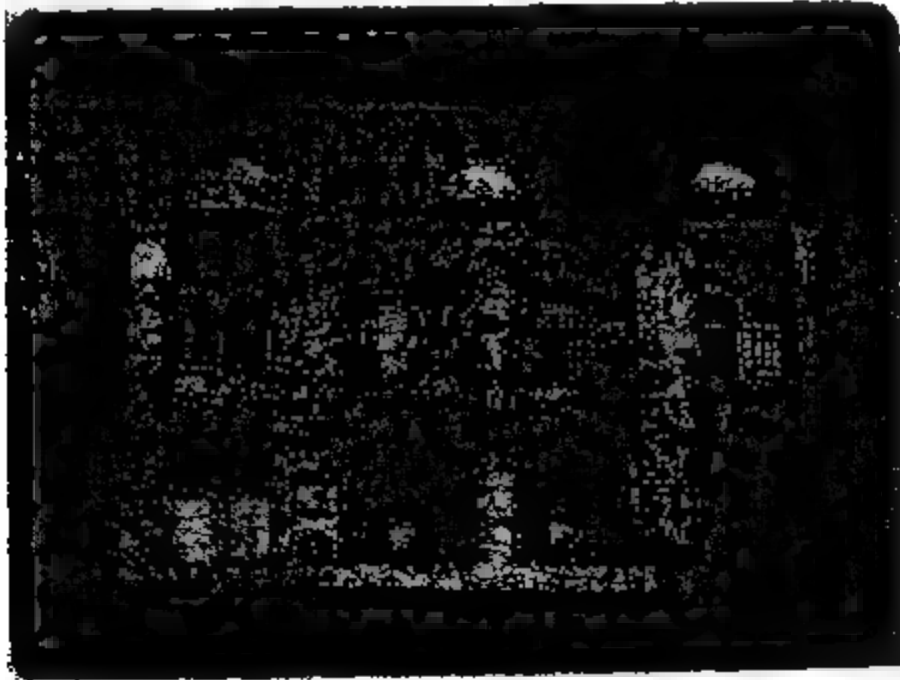
١٦ - المدرسة التنكزية : واقفها هو الأمير تنكز الناصري نائب الشام . وهي مدرسة عظيمة متقنة البناء . وموقع البناء على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة ، وهو باب الحرم الرئيس . وعلى باب المدرسة نقش يفيد بناء تنكز للمدرسة سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م . ومن آثار تنكز أيضاً الرخام المبني في حائط المسجد الأقصى الجنوبي عند المحراب لجهة الشرق . وقد بني أيضاً جانب الجامع الأقصى الغربي وجدد قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس من العروب . وقد ابتدأ بعمارتهما سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م ووصلت إلى القدس ودخلت وسط الحرم سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م . وبني تنكز البركة الرخام التي

بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، وله سوق القطانين والحمام الواقع على
يمين الدخول إلى السوق المذكورة من طريق الواد ويعرف اليوم بحمام العين .
وله أيضاً الحان الواقع في الجهة الجنوبية من سوق القطانين بين حمام الشفي
وحمام العين . وقد أعاد بناء مثناة باب السلسلة .

١٧ - المدرسة الأمينية : على الجانب الغربي من الطريق المؤدي إلى باب الحرم
المعروف بباب شرف الأنبياء . وواقفها هو صاحب أيمن الدين عبد الله في
سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م .

١٨ - الخاتمة الفخرية : مجاور لجامع المغاربة بداخل سور للمسجد الأقصى ، وبابها
عند الباب الذي يخرج منه إلى حارة المغاربة . وواقفها هو المقر العالي القاضي
فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الإسلامية . وقد ذكر
عبد الدين الحنبلي أن أصله قبلي وأنه أسلم وحسن إسلامه وكانت له أوقاف
كثيرة ورواحسان لأهل العلم ، وكان صدراً كبيراً معظماً . وكانت وفاته في
منتصف رجب سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .

١٩ - المدرسة الملكية : في الجهة الشمالية من الحرم بين الفارسية والاسعودية .
ومنشأ المدرسة الملكية هو الحاج آل ملك الجوكندار في أيام الناصر محمد بن
قلاوون سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م .



المدرسة الملكية

٢٠ - الزاوية المهازية : بحارة باب حطة شمال غرب المدرسة الصلاحية . وقد ذكر
عجير الدين الحنبلي إنها منسوبة إلى الشيخ كمال الدين المهازي وإن الملك
الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وقف على المشايخ المقيمين فيها
قرية بيت لقيما من عمل القدس بتاريخ سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م ، وهي خراب
في الوقت الحاضر .

٢١ - تربة ترکان خاتون : في الجهة الشمالية من طريق باب السلسلة . وبانياتها هي
ترکان خاتون بنت طقطبای بن سلجوقطای الأربکی سنة
٧٥٣هـ / ١٣٥٢م .

٢٢ - التربة الكيلانية : وتعرف اليوم بدار الدنف ، وموقعها في الجهة الشمالية من
طريق باب السلسلة تجاه المكتبة الخالدية لجهة الغرب . وواقفها هو الحاج
جمال الدين بهلوي ابن الأمير شمس الدين محمد الكيلاني سنة
٧٥٣هـ / ١٣٥٢م .

٢٣ - المدرسة الفارسية : في الجهة الشمالية من الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء
لجهة الغرب وواقفها هو الأمير فارس الدين البكي بن الأمير قطلوملك بن
عبد الله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية ونائب غزة سنة
٧٥٥هـ / ١٣٥٤م . وقد وقف عليها حصته من طولكرم .

٢٤ - المدرسة والتربة الأرغونية : بالقرب من باب الحديد وهي على ميسرة الخارج
من الحرم من باب الحديد ، وقد دفن فيها مؤخرًا الملك حسين بن علي .
وواقفها هو الأمير ارغون الكامل نائب الشام الذي جدد باب الحديد احد
ابواب الحرم الغربية . والأمير سيف الدين ارغون بن عبد الله الكامل
المعروف بأرغون الصغير كان خصياً ، أي مملوكاً عند الملك الكامل ، ثم عند
اخييه الملك الصالح اسماعيل . وقد ولي نيابة الشام ثم أعيد ثانية إلى نيابة
حلب وطلب فيها بعد إلى القاهرة وقبض عليه واعتقل بالاسكندرية مدة ، ثم
أرسل إلى القدس فمات فيها ودفن بتربته التي اكمل بناؤها بعد وفاته سنة
٧٥٩هـ / ١٣٥٨م .

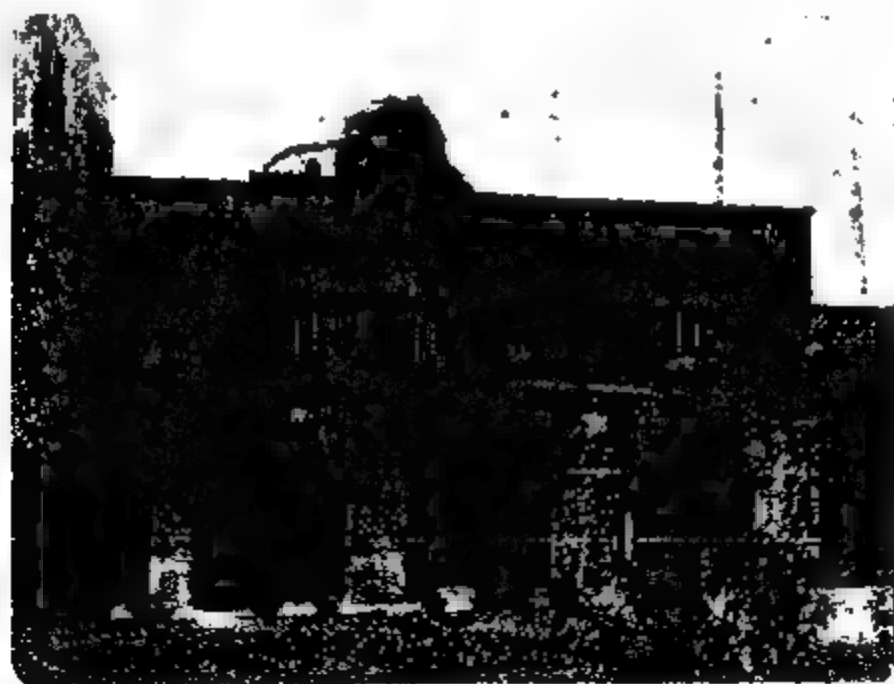
٢٥ - الزاوية المحمدية : بجوار المدرسة البارودية بباب الناظر . وواقفها هو محمد بك
زكريا الناصري سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م .

٢٦ - زاوية الطواشية: ذكر مجير الدين الحنبلي انها تقع بحارة الشريف التي تعرف قديماً بحارة الأكراد. وواقفها هو الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب فخر الدين احمد المجاور بالقدس سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م.

٢٧ - المدرسة الطشتمرية: بباب النار بالقرب من المدرسة الحسنية. وواقفها هو الأمير طشتمر من امراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م.

٢٨ - المدرسة المنجكية: بالقرب من مدخل الحرم الغربي المعروف بباب الناظر. وكان يشغل البناء دوائر المجلس الاسلامي الأعلى سابقاً. وواقفها هو الأمير منجك نائب الشام. وقد جاء ان الملك الناصر حسن ارسله للقدس ليبتني المدرسة له، فلما قتل السلطان سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م بنى الأمير منجك المدرسة لنفسه فنسبت إليه ووقف عليها ورتب لها الفقهاء وارباب الوظائف.

٢٩ - المدرسة الطازية: بطريق باب السلسلة لجهة الشمال تجاه المكتبة الخالدية. ومنشئها هو الأمير سيف الدين طاز بن قطفاج سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م، وكان من خواص الملك الناصر محمد ثم رقي بعد موته إلى ان صار مدير الديار المصرية. ثم جاء إلى القدس وعاش فيها وتوفي في أواخر سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م..



المدرسة المنجكية

- ٣٠ - المدرسة الشيخونية : بالقرب من المدرسة الصلاحية عند سوقة باب حطة .
وقد ذكر مجير الدين الحنبلي ان واقفها هو الأمير سيف الدين قطبشان الذي
كان مجاوراً بالقدس ، وانه جعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون
فسميت بالشيخونية نسبة اليه وتاريخ وقفها سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م .
- ٣١ - دار القرآن السلامية : على الجانب الجنوبي من طريق باب السلسلة تجاه
التربة الجالقية . وواقفها هو سراج الدين عمر بن أبي بكر القاسم السلامي ،
وتاريخ وقفها سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م .
- ٣٢ - المدرسة المحدثية : بالقرب من المدرسة الجاولية (كلية روضة المعارف الوطنية)
إلى الغرب منها عند باب الغوانمة . وواقفها هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز
العجمي الأردبيلي سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م .
- ٣٣ - رباط المارديني : مقابل المدرسة الكاملية ، وبجوار التربة الاوحدية . ويذكر
مجير الدين الحنبلي ان وقفه منسوب إلى امرأتين من عتقاء الملك الصالح
صاحب ماردين ، وشرطه ان يكون لمن يرد من ماردين ، وتاريخ وقفه سنة
٧٦٣هـ / ١٣٦٢م .
- ٣٤ - المدرسة الاسعرديّة : في الجهة الشمالية من الحرم شرق المدرسة الجاولية .
واقفها هو مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر يوسف الاسعري
سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م .
- ٣٥ - المدرسة الزلزوية : بالقرب من مقام القرمي لجهة الغرب . وواقفها هو الأمير
لؤلؤ غازي عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٨١هـ / ١٣٨٠م .
- ٣٦ - المدرسة البلدية : في الجهة الشمالية من باب السكينة ، ويسمونه باب السلام .
وهذا الباب بحذاء باب السلسلة لجهة الشمال ، وواقفها هو الأمير منكلي بغا
الاحمدي نائب حلب . وقد توفي فيها ودفن سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م .
- ٣٧ - المدرسة الخاتونية : بالجهة الغربية من الحرم ، وهي على يمين الخارج من باب
القطانين . وقد دفن فيها مؤخراً الزعيم الهندي مولانا محمد علي ، ودفن فيها
أيضاً موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية وابنه الشهيد عبد
القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل في ٨/٤/١٩٤٨م . وواقفتها
هي أوغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية

سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م . وقد أكملت عمارة المدرسة المذكورة ووقفت عليها
المرحومة اصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م .

٣٨ - التربة والمدرسة الطشتيرية : في الجهة الجنوبية من طريق باب السلسلة لجهة
الغرب من المكتبة الخالدية ، وتعرف اليوم بدار الإمام . وقد انشأها الأمير
سيف الدين طشتير العلائي سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م . وكان من أجل الأمراء
واعظهم تنقل في عدة وظائف جليلة وولي الدواديرية الكبرى بالديار
المصرية ، ومات في سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م في القدس ودفن في تربة بجانب
مدرسته .

٣٩ - الزاوية الأدهمية : خارج سور المدينة ، وتبعد قرابة مائة متر إلى غرب باب
السامرة في كهف واسع أسفل جبل من الصخر . ويقول مجير الدين الحنبلي
ان الكهف يعرف بمغارة الكنان ، وان سطح هذا الجبل يستعمل مقبرة لدفن
الأموات (وهو لا يزال كذلك في الوقت الحاضر) ، وان معمر هذه الزاوية
الأمير منجك هو نائب الشام سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م ، وانه وغيره من أهل
الخير قد وقفوا عليها اوقافاً ، وان فيها قبور جماعة من الصالحين .

٤٠ - المدرسة البارودية : بباب الناظر بالقرب من المدرسة الطشتيرية . وواقفتها
هي الست الحاجة سفري خاتون بنت شرف الدين أبي بكر بن محمود
المعروف بالبارودي ، وتاريخ وقفها سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م .

٤١ - مثدنة باب الأسباط : عمرت في أيام السلطان الملك الأشرف شعبان بن
الأمير حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بمباشرة من السيفي
(فطلوبغا) ناظر الحرمين الشريفين سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م . وجددت في أيامه
أيضاً الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد الأقصى ، وعمارة القناطر
على السلام الموصلة إلى صحن قبة الصخرة المقابل لباب الناظر .

٤٢ - الزاوية البسطامية : بحارة المشارفة التي تعرف اليوم بحارة السعدية . ويرجع
بناؤها إلى حوالي سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م . ويذكر مجير الدين الحنبلي ان
واقفها هو الشيخ الصالح عبد الله بن خليل بن علي الأسد آبادي البسطامي ،
وانه كان من أولياء الله تعالى العارفين . وقد توفي بالقدس سنة

٧٩٤هـ / ١٣٩٢م ودهن بحوش البسطامية بمقبرة مأمن الله عند شيخه علي الصيفي .

٤١ - زاوية الأزرق : بظاهر القدس من جهة القبلة شرقي زاوية البلاسي . ونسبتها إلى الشيخ إبراهيم الأزرق ، وبها قبور جماعة منهم الشيخ اسحق ابن الشيخ إبراهيم ، وقد كانت وفاته سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٩م . ويذكر مجير الدين الحنبلي انها تعرف بزاوية السراي ، وهي غير موجودة الآن .

٤٤ - الزاوية اللؤلؤية : بداخل سور المدينة تبعد نحو ١٥٠م إلى جنوب شرق باب العمود ، وواقفها هو بدر الدين لؤلؤ غازي الذي وقف أيضاً المدرسة اللؤلؤية سنة ٧٨١هـ / ١٣٨٠م .

٤٥ - المدرسة الحنبلية : بباب الحديد . وواقفها هو الأمير بيدمر نائب الشام . وقد كان متولياً نيابة دمشق في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين في سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٦م . وكان بنؤها في سنة ٧٨١هـ / ١٣٨٠م . .

٤٦ - المدرسة الجهاركية : بجوار الزاوية اليونسية من جهة الشمال . ويقول مجير الدين الحنبلي ان اصلها ، والزاوية اليونسية ، كنيسة من بناء الروم قسمت نصفين : الأول للمدرسة الجهاركية والثاني للزاوية اليونسية . وواقفها هو الأمير جهاركس الخليلي أمير آخور الملك الظاهر برقوق ، وقد توفي قتيلاً بدمشق سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م . .

ج - آثار دولة المماليك البرجية (٧٨٤ - ٩٢٢هـ / / ١٣٨٢ - ١٥١٦م) :

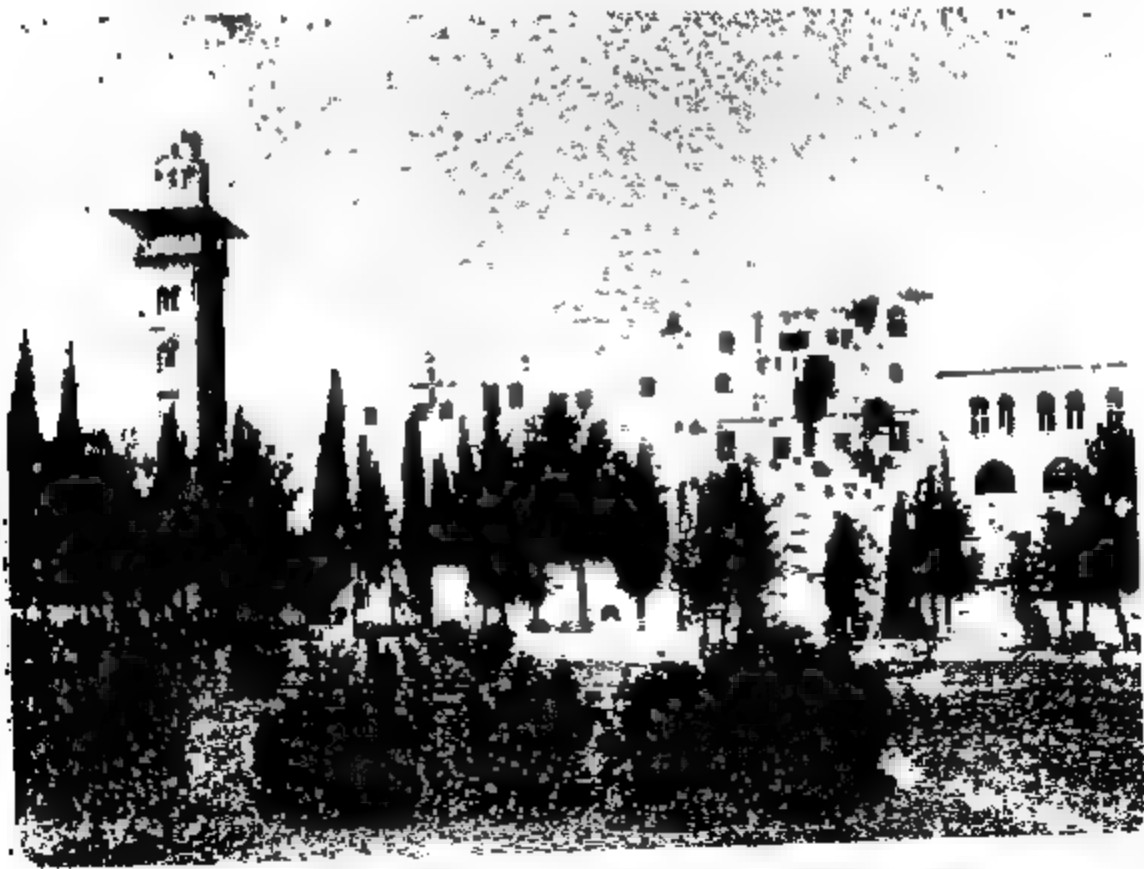
١ - خان السلطان (الوكالة) : في أول طريق باب السلسلة في الجهة الشمالية : وقد بناه الملك الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٧٨٩هـ / ١٣٨٦م . وفي أيامه عُمِّرت دكة المؤذنين بداخل قبة الصخرة تجاه المحراب . وفي سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م عُمِّر أيضاً البركة التي بظاهر المدينة القديمة من جهة الغرب ، وهي المعروفة اليوم ببركة السلطان .

٢ - الزاوية القرمية : يوصل إليها عن طريق السرايا القديمة لجهة الجنوب . ومنشئها هو الشيخ العالم التركستاني الأصل شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد القرمي .

وقد ذكر مجير الدين الحنبلي انه كان مشهورا بالتقى والورع حتى ان الملوك كانت تأتي إلى بابيه للتبرك منه . وقد توفي بالقدس سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م ودفن بزاويته المذكورة .

٣ - منبر برهان الدين : مبني بالواح من الرخام الأبيض على رأس السلم المقابل للباب الجنوبي لقبة الصخرة . وقد عمّره قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة . وإلى جانبه إلى الغرب منه محراب . ويصلي في هذا المكان العيد والاستسقاء . وتوفي القاضي المذكور سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م .

٤ - تربة الست طنسق المظفرية : في الجهة الشمالية بعقبة التكية تجاه الدار الكبرى المعروفة اليوم بدار الأيتام الاسلامية . وقد أنشأتها الست طنسق بنت عبد الله المظفرية في نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي . وقد ذكر مجير الدين إنها كانت معاصرة للشيخ ابراهيم القلندري الذي كان يسكن بالزاوية القلندرية المنسوبة اليه ، وانها كانت تحسن اليه . وقد عمّرت سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م الدار الكبرى المذكورة اعلاه سكناً لها ، وبنت قبة على قبر أخيها بهادر في الزاوية القلندرية بتربة مأمن الله . وكان انشاء هذه المباني خلال سنة ٨٧٩هـ / ١٣٨٧م ، وقد توفيت طنسق بالقدس ودفنت بالتربة التي أنشأتها .



المنارة الجاولية

٥ - الزاوية الوفائية : انشئت في بداية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية (مقر المجلس الإسلامي الأعلى سابقاً) . وقد ذكر مجير الدين ان هناك داراً تعلوها تعرف بدار الشيخ شهاب الدين ابن الهائم المتوفي في القدس سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م . ثم عرفت ببني أبي الوفا لسكناهم فيها ، وكانت تعرف قديماً بدار معاوية .

٦ - زاوية الشيخ يعقوب العجمي : بالقرب من القلعة . وأصلها كنيسة القديس جيمس الصليبية حولت إلى زاوية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . وقال مجير الدين إنها اشتهرت وقتئذ بزاوية الشيخ شمس الدين ابن الشيخ عبد الله البغدادي أحد العدول بالقدس ، وكان سكنه فيها . وليس لها وجود في وقتنا الحاضر .

٧ - المدرسة الصليبية : في الجهة الشمالية من ساحة الحرم غرب المدرسة الاسعدية المتخذة اليوم مكاناً لمحكمة الاستئناف الشرعية . وواقفها هو الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب القلعة الصليبية (قرب بانياس الجولان) . وقد ولي نيابة القدس وعمر فيها المدرسة وتوفي في الشام سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ثم نقل إلى القدس ودفن بمدرسته المذكورة .

٨ - المدرسة الكاملية : بخط باب حطة لجهة الغرب بجوار التربة الأوحدية من جهة الشمال . وواقفها هو الحاج كامل من أهل طرابلس ، ومحضر وقفها مؤرخ في ٨١٦هـ / ١٤١٣م .

٩ - المدرسة الباسطية : تقع شمالي الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل) . ويلاصق بعضها المدرسة الدوادرية التي تشغلها اليوم مدرسة الاناث الاسلامية لجهة الشمال الشرقي . وواقفها هو القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة . وكان أول من اختط اساسها وقصد عمارتها شيخ الاسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين ، إلا ان المنية ادركته قبل اتمام عمارتها فعمرها القاضي زين الدين عبد الباسط المذكور ووقفها على الصوفية سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م . وهي ما تزال عامرة .

١٠ - المدرسة الطولونية : بداخل ساحة المسجد الأقصى عند الرواق الشمالي يصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة باب الأسباط، وهي التي أنشأها شهاب الدين أحمد ابن الناصري محمد الطولوني الظاهري في زمن الملك الظاهر برقوق على يد مملوكه أقبغا قبل ٨٠٠هـ / ١٤٠٠م.

١١ - المدرسة الغادرية : في الجهة الشمالية من ساحة الحرم بين باب شرف الأنبياء ومثناة باب الأسباط. وواقفها هو الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بعد أن عمرتها زوجته مصر خاتون سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٧م، وهي اليوم خراب.



المدرسة الغادرية

١٢ - المدرسة الحسينية : بطريق باب الناظر غربي المدرسة المنجكية (مقر المجلس الاسلامي الأعلى سابقاً). وواقفها هو الأمير حسن الكشكلي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس. وكان بناؤها في سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م. وقد وقف عليها أوقافاً ورتب فيها وظائف من التصوف وغيره. وتوفي الأمير حسن بالقدس بعد انفصاله عن النيابة سنة ٨٤٧هـ / ١٤٣٩م. ودفن بمقبرة ماملا عند الشيخ أبي عبد الله القرشي. وذكر مجير الدين أن مقابل هذه المدرسة تربة بها خريج يقال أنه قبر السيدة فاطمة بنت معاوية.

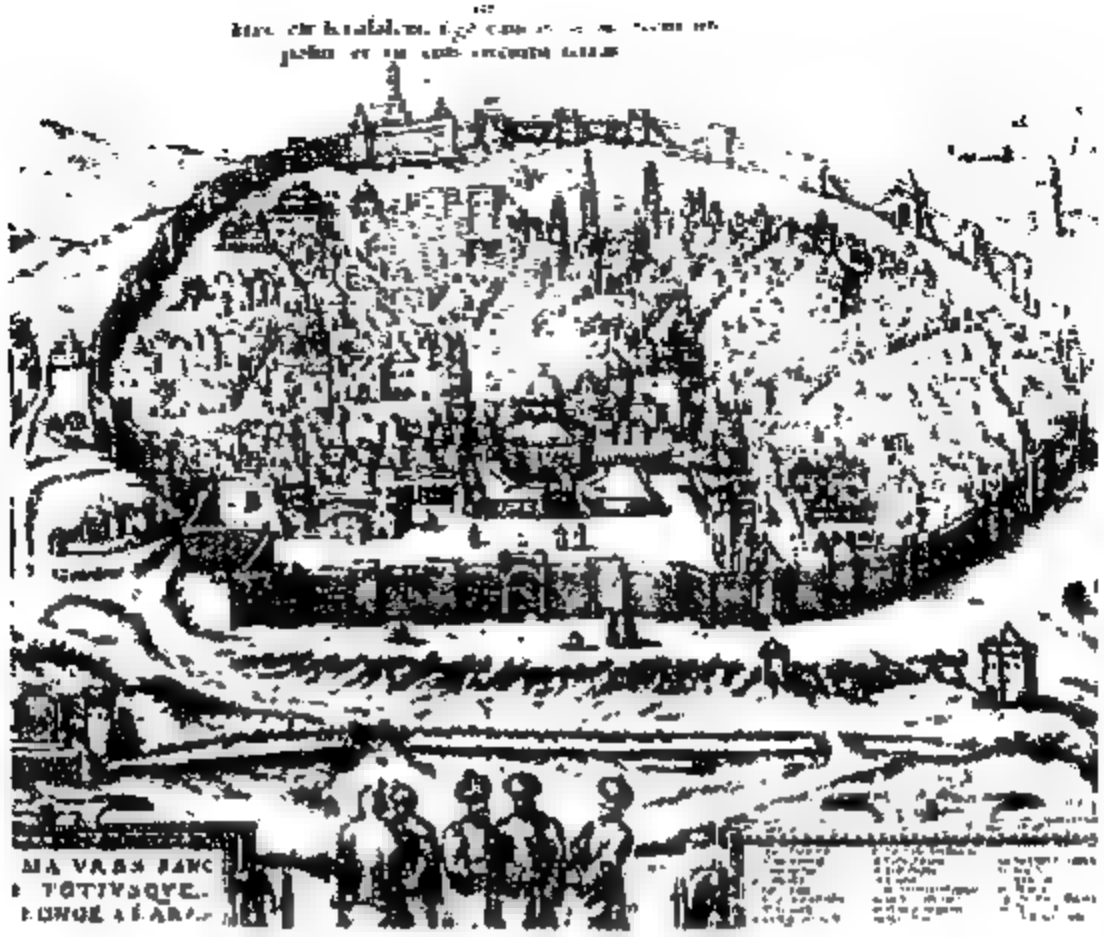
- ١٣ - المدرسة العثمانية: وتعرف اليوم بدار الفتياي: وهي واقعة على يسار الخارج من الحرم من باب المتوضأ المعروف بباب المطهرة. وواقفتها هي اصفهان شاه خاتون. وقد عيّنت لها اوقافاً كثيرة ببلاد الروم وغيرها. وعلى مدخل المدرسة كتابة تفيد ان بناء المدرسة كان سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٧م. وقد توفيت الخاتون بالقدس ودفنت بمقبرة باب الرحمة.
- ١٤ - المدرسة الجوهريّة: بطريق باب الحديد في الجهة الشمالية تجاه المدرسة الأرغونية المدفون فيها الملك حسين بن علي، وتعرف اليوم بدار الخطيب. وواقفها هو جواهر الصفوي القنقباي سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م.
- ١٥ - الرباط الزمّي: يقع على يمين الخارج من الحرم من باب المطهرة قبالة المدرسة العثمانية (سكن آل الفتياي). وقد وقفه الخواجه شمس الدين محمد بن الزمن أحد خواص الملك الأشرف قايتباي، وكان بناؤه في سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م، وكانت وفاة واقفه سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م.
- ١٦ - المدرسة المزهرية: بباب الحديد، وواقفها هو الزيني ابوبكر بن مزهر الأنصاري الشافعي صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية، وبعضها راكب على ظهر المدرسة الأرغونية، ولها مجمع على أروقة المسجد. وكان الفراغ من بنائها سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م.
- ١٧ - المدرسة الأشرفية: وهي على مسيرة الداخل إلى الحرم عند باب السلسلة. وتقف على سطحها مثذنة باب السلسلة. ومدخل المدرسة غاية في الحسن وامامه رواق معقود مبني بالحجارة المحكمة والمزينة بالنقوش الجميلة الدقيقة الصنع، وعلى جانبي المدخل كتابة بالخط النسخي تفيد ان الملك الأشرف سيف الدين أبا النصر قايتباي بني المدرسة سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م. وله أيضاً السبيل المعروف بسبيل قايتباي، وهو قبالة المدرسة لجهة الشرق، بناء سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م. ومن آثاره أيضاً المرقى الموصل إلى صحن قبة الصخرة في الجهة الجنوبية الغربية بالقرب من المدرسة التحوية. وفي سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م بنى مثذنة جامع العمريّة المعروف اليوم بجامع عمر بجوار كنيسة القيامة. وفي أيامه أيضاً تم تعمير قناة الماء الجارية من العروب إلى القدس.

١٨ - دار الخطابة: واقعة بظاهر سور المدينة المحيط بالمسجد الأقصى من جهة الجنوب بجوار الزاوية الخشبية من جهة الغرب. ويرجع بناؤها إلى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس ع: ر الميلادي.

جدير بالذكر أن وجود هذا العدد الكبير من المدارس والزوايا والتكايا والرباطات والخوانق التي يرجع تاريخ انشائها إلى القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة، يدل دلالة واضحة ملموسة على أن مدينة القدس كانت في تلك الأزمنة وما سبقها مركزاً كبيراً للثقافة الإسلامية، فضلاً عن مكانتها الروحية الممتازة. فالمسلمون كانوا يفدون إليها من جميع الأقطار الإسلامية قصد زيارة أماكنها المقدسة والتبرك منها، وكانوا في الوقت نفسه يأتون إليها بدافع نيل العلم والمعرفة. وقد اهتم مؤسس هذه المباني بوقف الأراضي والعقارات لينفق ريعها على هذه الدور والمعاهد والمؤسسات، بما يضمن استمرار بقائها، ويسهل للطلبة والمتفرغين للعلم والعبادة والزهاد الوافدين من البلاد الشاسعة، إقامتهم وأسباب معيشتهم في المدينة المقدسة. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» عدداً من كبار العلماء والأعلام الذين كانوا يقومون بتدريس علوم الدين والفقه وآداب اللغة العبرية في هذه المدارس والمعاهد بالإضافة إلى التدريس الذي كان يقوم به علماء أجلاء في رحاب المسجد الأقصى منذ تأسيسه.

د - آثار العهد العثماني (٩٢٣ - ١٣٣٦ هـ / ١٥١٧ - ١٩١٧ م):

إن أبرز وأهم مخلفات العهد العثماني، السور المحيط بمدينة القدس القديمة الذي قام السلطان سليمان ابن السلطان سليم بإعادة بنائه. وهو يجري في معظم مخطته، ولا سيما في المواقع الهامة في الشمال والجنوب، على خط سور مدينة إيليا كبيثولينا (مدينة القدس) التي أعاد بناءها الإمبراطور الروماني هدریان سنة ١٣٥ م بعد خرابها الثاني وأطلق عليها هذا الاسم. وللسلطان سليمان أيضاً برج لقلق الواقع على زاوية السور الشمالية الشرقية قبالة متحف الآثار الفلسطيني، وبرج الكبريت القريب من باب المغاربة، والأبراج الأخرى البارزة من السور والموزعة على مسافات اقتضاها محيط الأرض، وأبواب المدينة الحالية المفتوحة في السور وهي باب العمود (باب



القدس عام ١٥٨٠م.

دمشق)، وباب الساهرة، وباب ستي مريم، وباب الخليل، (باب يافا)، وباب النبي داود، وباب المغاربة.

وفي زمنه بنيت عدة سبل في الطرق الرئيسية المؤدية إلى المسجد الأقصى بالقرب من مداخله. فهناك سبيل بطريق الواد قرب سوق القطانين، وهو أحد الطرق الرئيسية الموصلة إلى ساحة الحرم، وسبيل آخر عند باب السلسلة المدخل الرئيس لساحة الحرم، وسبيل بالقرب من باب الناظر المؤدي أيضاً إلى الحرم، وسبيل قرب مدخل المدينة الشرقي ويعرف بسبيل باب ستي مريم القريب من مدخل الحرم المعروف بباب الاسباط، وهو واقع عند الزاوية الشمالية الشرقية من ساحة الحرم، وسبيل بالقرب من مدخل الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل)، وسبيل بركة السلطان في جانبها الجنوبي، وتقع البركة خارج القدس القديمة على بعد قرابة ١٥٠ م إلى جنوب باب الخليل.

وفي عهده استبدل بالزخرفة الفسيفسائية التي كانت تكسو ظاهر جدران قبة الصخرة العليا ورقبتها القيشاني الموجود عليها اليوم . وقد اقتضى هذا العمل ما حل من التلف والخراب بالكسوة الفسيفسائية بفعل العوامل الطبيعية ، واصبح استبدال القيشاني بها أمراً ضرورياً لوقاية البناء من نفاذ الرطوبة إلى جدرانه .

ومن آثار العهد العثماني أيضاً :

- ١ - المسجد القيمري : يقع إلى غرب الباب الجديد على مقربة منه . ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .
- ٢ - قبة الأرواح : على سطح صحن قبة الصخرة إلى الشمال منها وهي من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .
- ٣ - قبة الخضر : بالقرب من المرقى المؤدي إلى صحن قبة الصخرة عند زاوية الشمالية الغربية . وهي من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .
- ٤ - حمام السلطان : يقوم على زاوية طريق باب الأسباط عند التقائها بطريق الواد . وهي من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .
- ٥ - قبر النبي داود : يبعد نحو ١٥٠ م جنوب باب النبي داود ، ويرجع بناؤه إلى سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م .
- ٦ - مئذنة القلعة : عند باب الخليل في جانب القلعة الجنوبي الغربي . ويرجع بناؤها إلى عام ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م .
- ٧ - محراب قبة النبي : بين بناء قبة الصخرة وقبة المعراج انشأها محمد بك أحد ولاة القدس سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م .
- ٨ - رباط بيرم : على جنوب طريق عقبة التكية عند التقائه بطريق الواد . وقد بناه بيرم شاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م .
- ٩ - المدرسة الرصاصية : شمال طريق عقبة التكية عند التقائه بطريق الواد . وبانيها هو أيضاً بيرم شاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م .
- ١٠ - تكية خاصكي سلطان : على جنوب عقبة التكية وشرق الدار الكبرى التي أنشأتها الست طنسق المظفرية سكناً لها ، وتعرف اليوم بدار الأيتام الإسلامية . وقد أنشأتها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان وأوقفت عليها املاكاً . وما زالت إلى اليوم تقدم الطعام مجاناً إلى المحتاجين .



٠ منظر على جبل الكبير .

- ١١ - حجرة محمد آغا: عند المرقى الشمالي الغربي المؤدي إلى صحن قبة الصخرة. وقد أنشأها محمد آغا سنة ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م.
- ١٢ - جامع المولوية: بداخل سور المدينة على بعد قرابة ١٥٠م إلى جنوب غرب باب العمود. وقد بني سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م.
- ١٣ - الزاوية الأفغانية (النقشبندية): تبعد نحو ١٠٠م إلى غرب باب الغوانمة. وقد أقيمت سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م. وكان أحد اجنحتها يضم المحكمة الشرعية ومكاتبها في القدس خلال فترة الانتداب البريطاني.
- ١٤ - محراب علي باشا: بداخل ساحة الحرم بالقرب من باب القطارين. وقد انشئ سنة ١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م.
- ١٥ - قبة يوسف: على سطح صحن قبة الصخرة إلى غرب منبر برهان الدين. وقد أنشأها علي آغا سنة ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م.
- ١٦ - قبة يوسف آغا: بداخل ساحة الحرم بين المسجد الأقصى والمتحف الاسلامي. وقد أنشأها علي آغا سنة ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م.

الفصل الخامس

الانقلاب السكاني للمدينة المقدسة

آ - من هم اليهود انثروبولوجيا :

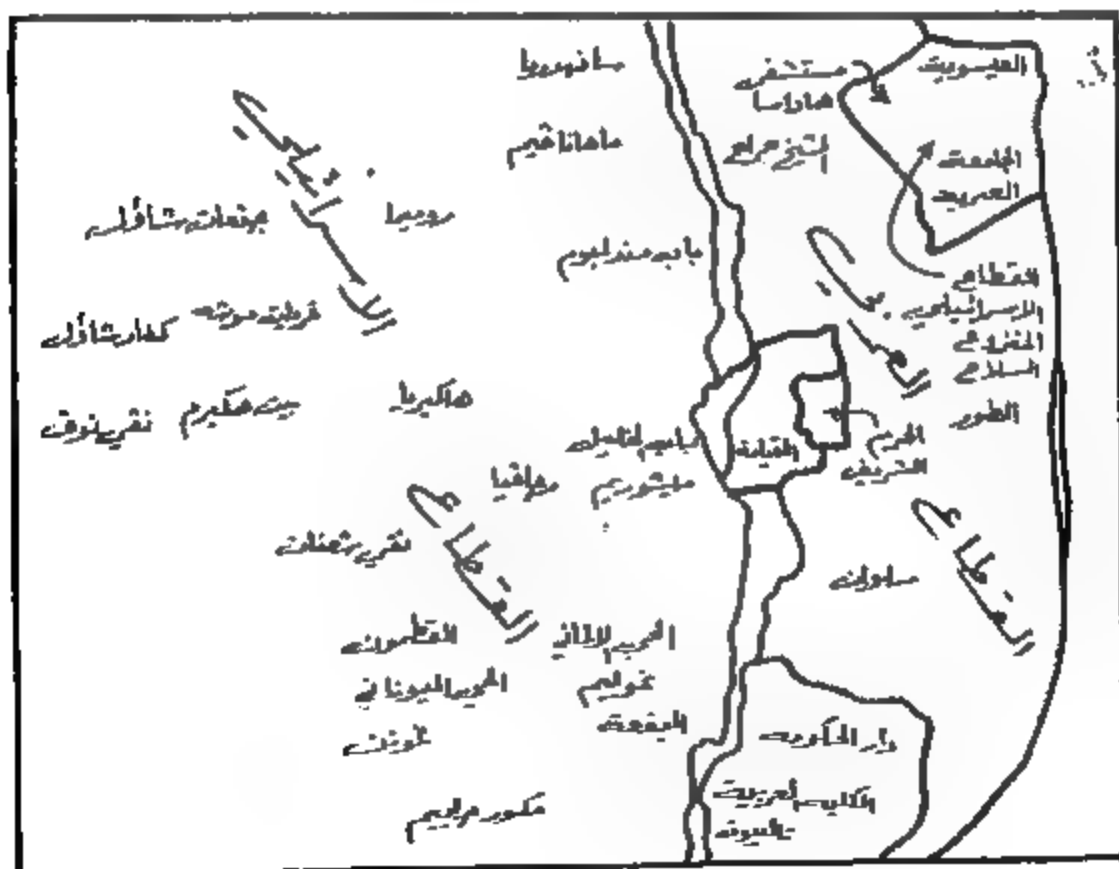
يعد تتبع تطور سكان القدس عديداً وانثروبولوجيا من الادلة الرئيسة التي تؤكد شخصية القدس ببعديها العربي والاسلامي ، وترفض الادعاءات الصهيونية الهادفة لتهويد القدس وتصفيتهما حضارياً . وسيكشف نسق تطور سكان المدينة عديداً وانثروبولوجيا أهمية العامل الديموغرافي والانثروبولوجي في الصراع العربي الصهيوني ، وفي المخططات الصهيونية الهادفة لتحويل السكان العرب في المدينة المقدسة إلى أقلية من خضم الجيتو الصهيوني في المدى القصير ، ثم طرد السكان العرب واخلالهم من المدينة واحلال الصهاينة محلهم في المستقبل .

وبالرغم من ان العامل الديموغرافي قد بدأ التخطيط له منذ بداية القرن التاسع عشر ، إلا انه اخذ نموذجاً مميزاً للمدينة المقدسة بالمقارنة مع بقية فلسطين . وقد بدأ الصراع الديموغرافي بين العرب واليهود - سواء في فلسطين أو في القدس - يستخدم منذ بداية الانتداب البريطاني . . إلا انه وصل ذروته في فترتين : الفترة الأولى كانت في الأربعينات من هذا القرن ، والتي شهدت انشاء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ ونجزة مدينة القدس إلى قطاعين عربي ويهودي (شكل ١٠) . أما الفترة الثانية فقد جاءت مع نهاية الستينات ، أي عقب حرب ١٩٦٧م مباشرة ، وتمخض عنها ضم القطاع العربي من المدينة الى القطاع اليهودي تمهيداً لتصفيته حضارياً وديموغرافياً ولتهويدها في فترة قصيرة .

وقبل الخوض في دراسة الانتداب السكاني للمدينة المقدسة فإنني أود ان أؤكد بان الهدف هنا هو تتبع تطور عدد السكان العرب في مدينة القدس ، والتعرف إلى

وزن اليهود العددي في ذلك التطور ومن منظور تاريخي ، وتحديد الفترات التي حدث فيها الانقلاب الديموغرافي الانثروبولوجي في المدينة والذي هدف إلى تصفية العنصر العربي (سكان المدينة الاصلين) من المدينة لتحويلها إلى مدينة يهودية . . وأين يمكن تصنيف اليهود في القدس وفلسطين؟ . . هل هم من بقايا الشتات الأخير؟ أم من صهاينة أوروبا وأمريكا الذين لا يربطهم بيهود الشتات أية رابطة انثروبولوجية سوى اليهودية السياسية او الجيوبولوتيكية . . . ومن هنا فإن دراستنا لسكان المدينة ستكون أبعد ما يمكن عن الديموغرافية التقليدية المعروفة ، وأقرب إلى الديموغرافيا والانثروبولوجيا الجيوبولوتيكية ، وهو نفس السلاح الذي يجب ان نجابه فيه الصهيونية ، ولكن بأسلوب علمي وموضوعي يكشف التزييف الصهيوني الذي قام على اخضاع الدراسات الانثروبولوجية لتحقيق الأهداف السياسية وهي تكوين دولة صهيونية على أرض فلسطين .

وينبغي أن ننبه القارئ إلى أربع حقائق أساسية سيكون لها مغزى هام في تأكيد هوية القدس العربية - الاسلامية ، وتأكيد الصفة الانثروبولوجية



شكل ١٠٠ - تقسيم القدس عام ١٩٤٨ . ومن اللباغ ، ١٩٧٦

والديموغرافية لليهود القدس وفلسطين، وهي بلا شك صفات خلاسية ودخيلة على البيئة الفلسطينية والعربية، ولا يربطها بها أي رابطة تاريخية أو انثروبولوجية كما تدّعي الصهيونية. وهذه الحقائق هي :

أولاً : ان الدولة اليهودية التي قامت في فلسطين في التاريخ القزمي الغابر لها، تتفق مكانياً إلى حد أو آخر لا مع رقعة اسرائيل الحالية، وإنما مع جبال نابلس والقدس، ولم يكن لليهود أثناء قيام دولتهم موطن، قدم واحد في أقاليم فلسطين الأخرى كالسهل الساحلي والجليل، والنقب. وسيكون لهذه الحقيقة دورها في تفسير تركيز اليهود لاحقاً (أثناء مرحلة التغلغل) في صفد (الجليل) وغزة لتأكيد ارتباطهم التاريخي في الجليل والساحل الفلسطيني. وفي الوقت الذي وضع فيه كمال عبد الفتاح وهيرتوت Hutteroth علامة استفهام عن وجود اليهود في القدس في القرن السادس عشر حينما كان اليهود متواجدين كأقلية لا تذكر في صفد وغزة^(١).

ثانياً : تخض عن الشتات اليهودي الأخير على أيدي الرومان عام ١٣٥ م، تصفية بقايا اليهود في فلسطين بالإبادة والهجرة، ويعلق هتجتون (وهو جغرافي يهودي متعصب) فيقول : استناداً إلى الأدلة التاريخية وإشارات التوراة فإن تعداد اليهود قبل الشتات الأخير لم يتجاوز ثلاثة أرباع المليون كحد أعلى. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد اليهود في الشتات الأخير لا يقل عن ٦٠٠ ألف، فإن هذا يعد انقراض جنسي حقيقي لم يكد يترك منهم شيئاً. وهذا الذي تبقى تكفلت الهجرة القهرية بتصفيته. فقد حرم الرومان على اليهود دخول القدس نهائياً، وطردوهم من فلسطين إلى كل اجزاء الامبراطورية وكان هذا هو التاريخ الذي انتهت فيه وإلى الأبد علاقة اليهود بفلسطين سياسياً ومكانياً وانثروبولوجياً. . . انه الخروج الأخير. . . ولا يزيد عدد يهود الخروج الأخير عن ٤٠ ألف نسمة فقط^(٢). تحول

١ - Hutteroth and K. Abdullatif, 1977, Op. Cit., p. 52-53

٢ - جمال حمدان، ١٩٦٧، اليهود انثروبولوجيا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٢٠ - ٢١.

Huntington, E., 1911, Palestine and its Transformation Boston.

٣ - 1926, The Pulse of Progress, New York.

٤ - 1945, Mainstays of Civilization, New York.

بعض افرادها إلى المسيحية . ولعل أهم بقايا اليهود «السامريون» الذين تحولوا إلى قوقعة مغلقة في نابلس القديمة ، حتى أنها لا تزيد عن مئتين أو ثلاثمائة . ومع منتصف القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود في فلسطين كلها يزيد عن ١٠ آلاف نسمة^(١) .

ثالثاً: يعد اليهود من طفيليات المدن ، لأنهم لا يرغبوا إلا في سكى المدن ، وبالتحديد المدن الكبرى ، أو العواصم . وعندما نتحدث عن التوزيع المكاني لليهود في العالم فإننا نتحدث عن يهود العاصمة ، ومدينة أو اثنتين إلى جوارها . وهذه حقيقة طاغية وأبدية طوال تاريخ اليهود قديماً أو حديثاً ، والأمثلة تغني عن الحصر ، وأوضحها في الذهن المثال الأمريكي^(٢) : «وسيكون لهذه الحقيقة مغزى عند الحديث عن التركيز الصهيوني في القدس . . . عاصمة فلسطين . . . وتكوين الجيتو اليهودي في المدينة منذ منتصف القرن الماضي كخطوة ضرورية وأساسية لتصفية المدينة المقدسة حضارياً ، وهو ما يمارسه الصهاينة في الوقت الحاضر .

رابعاً: ينبغي أن نبه القارئ إلى وجود علاقة حتمية بين الدراسات الانثروبولوجية والجيوبوليتيكا ، وتمثل ذلك في تأكيد الصهيونية السياسية على تسخير البحوث الانثروبولوجية وتنسيق نتائجها مسبقاً لتخدم ادعاءاتهم الاستعمارية في فلسطين ، وبتعبير أدق البحث عن مبرر من الجنس / العقيدة للعودة إلى «أرض الميعاد» يشرع اغتصابهم لفلسطين العربية . ولذلك ركزوا بؤرتهم على إبراز «النقاوة الجنسية» لليهود . إذ بعد خروج بني اسرائيل من فلسطين إلى الشتاء الح الصهاينة على أنهم ظلوا نقاة بمنأى عن الاختلاط الدموي مع الشعوب التي انتشروا بينها ، وأن يهود اليوم اينما كانوا هم بذلك النسل المباشر لبني اسرائيل التوراة . ومن ثم فهم في آن واحد مجموعة جنسية واحدة ، وقومية تاريخية واحدة ، مثلما هم طائفة دينية واحدة . ومن ذلك جميعاً يخلصون إلى تدعيم اسطورة «الشعب المختار» . وانما كذلك وفي الدرجة الأولى إلى تدعيم حق العودة المزعوم واغتصاب فلسطين . وفي هذا الصدد لو اختارت الصهيونية العالمية بلداً آخر لتكوين دولة اليهود . (اوغندا أو الارجنتين

١ - أمين عبد الله محمود ، ١٩٧٨ ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

٢ - جمال حمدان ، ١٩٦٧ ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

مثلاً) لأعد الصهيينة سلفاً دراسات انثروبولوجية تبرر أوغندا أو الأرجنتين كأرض للميعاد، وأنه توجد علاقة جيوبولوتيكية / انثروبولوجية بين اليهود، يهود الشتات الأخير وأوغندا أو الأرجنتين.

ولسنا هنا في مجال لاستعراض المدارس الانثروبولوجية التي أعطت رأياً في اليهود عرقياً، وإنما للتأكيد على أن اليهود في الشتات العالمي يشكلون موزاييكاً عرقياً يكاد يغطي كل ما نعرفه بين البشر من اختلافات في الصفات الجنسية، فثمة اليهود الفلاشة، واليهود الملونين في الهند، واليهود الأصفر أحياناً في التركستان، وأخيراً اليهود الشقر في أوروبا. وكما لاحظ دالبي (Dalby) في أواخر القرن الماضي هناك كل الأنواع والألوان بين اليهود - البيض والصفر والسود -. وبالتالي فإن الحديث عن وحدة جنسية بين اليهود ككل لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق. وإن اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية. ولذلك فإن النقاوة الجنسية المزعومة لهم إنما هي محض خرافة كما يعبر ريبلي (Ripley). وبحسب دالبي القضية فيقول ليس هناك «جنس يهودي على الإطلاق». ويعلق مؤلفوا كتاب (نحن الأوروبيين) وهم جوليان هكسلي، وهادون وكارسونلرز أن اليهود لا يمكن أن يصنفوا لا كأمة ولا حتى كوحدة اثنولوجية.

فالتزاوج والتحول إذن حقائق لا شك فيها، ويجمع عليها جبهة الانثروبولوجيين، حيث يؤكد مؤلفوا كتاب «نحن الأوروبيين» على نقطة جوهرية وهي أن نمو أعداد اليهود بعد الشتات الأخير كان بمعدلات غير معقولة، وهي ترجع في الجزء الأعظم منها إلى التحولات الضخمة إلى اليهودية وانتشارها، أي التحول الديني من الوثنية أو المسيحية، والتزاوج والامتزاج الدموي. ويحفل التاريخ

بالأمثلة على التحولات بالجملة مثال ذلك حالات يهود الخزر، والفلاشة، واليهود السود من التأميل واليهود القرائين في طوروس.

وبعد، يلخص الجغرافي اليهودي هتجستون ميكانيكية العملية الآتفة الذكر عبر التاريخ بحثاً عن الأدلة والشواهد اليقينية على اختلاط وذوبان اليهود فيقول، نلمح ظاهرتين أساسيتين في هذا المجال: أعداداً ضخمة من غير اليهود تدخل

اليهودية، وفي نفس الوقت اعداداً من اليهود لا تقل ضخامة تخرج من اليهودية . وفي النتيجة فإن جسم الطائفة لم يكن ثابتاً جنسياً بل ديناميكياً وفي تغير داخلي مستمر . انه خلاصي بعيد عن الأصول الأولى . وفي النتيجة فان جسم اليهود في آخر المطاف شيء مختلف انثروبولوجياً عن يهود التوراة ولا علاقة له بهم . ويتأكد لك كله إذا تذكرنا بأن تعداد اليهود عندما بدأوا في الشتات كان رقماً هزياً جداً ولكنهم سرعان ما بلغوا الملايين رغم كل المذابح والاضطهادات وبخاصة في أوروبا . ويختتم لومبروزا Lombroso تلك المناقشات التحليلية ليقول بأن اليهود جنسياً آريون وليسوا ساميون . ويتعبّر آخر إنهم أوروبيون تهودوا أكثر منهم يهوداً تأوربوا، وصفوة القول أن يهود الشتات (الذين لم يتجاوزوا الأربعين ألفاً) مع كل من بقوا في العزلة والاضطهاد قد أبوا وانصهروا وضاعوا في محيط البشرية العالمي . وإن يهود العالم اليوم في سوادهم الأعظم هم أجانب متحولون أكثر منهم يهوداً متحولين، وهم ليسوا من بني اسرائيل، وإن هؤلاء شيء وأولئك شيء آخر انثروبولوجياً، ولا توجد رابطة بين الطرفين إلا الدين فقط^(١).

ب - تطور الحجم السكاني للمدينة واختلال التركيب السكاني :

لعل أول ما يلفت النظر من خلال تتبع تطور عدد سكان المدينة المقدسة ، هو عدم وجود حتى أقلية يهودية في المدينة طوال تاريخها (بعد الشتات الأخير) وحتى القرن التاسع عشر - ميلاد الحركة الصهيونية ، ويبين الجدول (٧) تطور عدد السكان اليهود في القدس منذ القرن الحادي عشر وحتى نهاية القرن السابع عشر، كما يبين الجدول (٨) تطور عدد سكان مدينة القدس في القرن السادس عشر . ففي القرن الحادي عشر الميلادي ، لم يكن في القدس سوى يهودي واحد، بينما بلغ عددهم عام ١٦٨٨ م ١٥٠ نسمة فقط . وفي نهاية القرن السادس عشر بلغ عدد سكان المدينة ٨٤٣١ نسمة، في الوقت الذي لم يزد فيه عدد السكان اليهود عن ١١٥ نسمة . وقد بلغ عدد سكان لواء القدس في نفس الفترة ٤٢١٥٥ نسمة، وعدد قرى اللواء ١٦٨

١ - اعتمد الباحث في هذا الموضوع على : جاك حنلان، ١٩٦٧، مرجع سابق، ص ٥١ - ٩٠ .

قرية . وهي نفس القرى التي كانت معمورة واستمرت كذلك حتى تأسيس الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م . وفي هذا رد حاسم على ادعاءات الصهاينة بأن معظم قرى جبل القدس (وبخاصة حوض وادي الصرار) كانت مهجورة قبل تأسيس الكيان الصهيوني بسبب انجراف التربة وندرة الموارد الطبيعية وفقر الأرض

جدول - ٧ - تطور عدد السكان اليهود في القدس من القرن الثاني عشر الميلادي حتى القرن السابع عشر

القرن / السنة	عدد السكان (عائلة/ نسمة)
الثاني عشر الميلادي	يهودي واحد
الثالث عشر الميلادي	عائلتين يهوديتين
١٤٨١ ميلادية	نحو ٥٠٠ يهودي
١٤٩١ ميلادية	نحو ٧٠ عائلة يهودية
١٥٧٢ ميلادية	١١٥ نسمة
١٦٨٨ ميلادية	١٥٠ نسمة

جدول - ٨ - تطور عدد سكان مدينة القدس في القرن السادس عشر الميلادي .

السنة	١٥٢٦	١٥٣٩	١٥٤٩	١٥٩٧
عدد السكان	٢٨٠٧	٥٥١٢	٩١٣٥	٨٤٣١

Source: Hutteroth and Abdulfattah, 1977, op. Cit, p.45.

من جهة اخرى يبين الجدول (٩) تطور عدد سكان المدينة المقدسة من سنة ١٨٣١ وحتى سنة ١٩٨٣ ، وفي الفترات الرئيسة الثلاث التي كانت القدس فيها موحدة وحتى عام ١٩٤٨م ، أو مجزأة إلى قطاعين عربي ويهودي بين عامي ١٩٤٨ و

١٩٦٧م، وبعد ضمها عقب حرب حزيران عام ١٩٦٧ والمباشرة بتصنيفاتها حضارياً وحتى الوقت الحاضر. فقد وصل عدد السكان اليهود في القدس عام ١٨٣١م إلى ٣٠٠٠ نسمة بسبب الهجرة غير الشرعية، بينما بلغ عدد السكان العرب آنذاك ثمانية آلاف نسمة. وبالتالي شكل اليهود ٢٧٪ من سكان المدينة، وعندما سمح لليهود بشراء الأراضي بفرمان من السلطان العثماني عام ١٨٥٥ وعلى يد مونتيوري تزايد عدد السكان اليهود في القدس ليرتفع في نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٠م) إلى (٣٠٢٠٠) نسمة وهي الفترة التي تبلور فيها الجيتو اليهودي (الحي اليهودي) في القدس خارج سور البلدة القديمة، ليكون نقطة الارتكاز الأساسية للانقضااض منها على المدينة لاحقاً لتهودتها.

جدول - ٩ - تطور عدد سكان مدينة القدس من عام ١٨٣١ وحتى عام ١٩٨٣م.

القدس موحدة قبل الاحتلال عام ١٩٤٨

١٨٣١م ^(١)		١٨٩٠م ^(٢)		١٩٢٠م ^(٣)		
العدد	%	العدد	%	العدد	%	
٨٠٠٠	٧٢,٧	١٤٨٠٠	٣٢,٩	٢١٠٠٠	٥٠,٨	العرب
٣٠٠٠	٢٧,٣	٣٠٢٠٠	٦٧,١	٢٠٠٠٠	٤٩,٢	اليهود
١١٠٠٠	١٠٠	٤٥٠٠٠	١٠٠	٦١٠٠٠	١٠٠	المجموع

١٩٣١م ^(١)		١٩٤٥م ^(٢)		نهاية عام ١٩٤٧م ^(٣)	
العدد	%	العدد	%	العدد	%
٣٩٢٢٩	٤٣,٤	٦٠٠٨٠	٣٨,٢	٦٥١٠٠	٣٩,٦
٥١٢٢٢	٥٦,٦	٩٧٠٠٠	٦١,٨	٩٩٤٠٠	٦٠,٤
٩٠٤٥١	١٠٠	١٥٧٠٨٠	١٠٠	١٦٤٥٠٠	١٠٠

القدس في مرحلة التقسيم بعد الاحتلال عام ١٩٤٨.

١٩٦٧م ^(١)		١٩٦١م ^(٢)	
العدد	%	العدد	%
٦٦٠٠٠	١٠٠	٦٠٤٨٨	١٠٠
(القدس العربية)		(القدس العربية)	
٢٠٠,٠٠٠	١٠٠	١٦٦٣٠٠	١٠٠
(القدس المحتلة)		(القدس المحتلة)	
والقطاع اليهودي		القطاع العربي	

القدس بعد الاحتلال عام ١٩٦٧، والضم والتوحيد

١٩٩٢ (الاسقاط)		١٩٨٣ ^(١)		١٩٧٠ ^(٢)	
العدد	%	العدد	%	العدد	%
١٥١٠٠٠	٢٧	١٢٢٥٠٠	٢٧	٨٥٠٠٠	٢٧
٤٠٩٠٠٠	٧٣	٣٣٠٥٠٠	٧٣	٢٢٩٠٠٠	٧٣
٥٦٠٠٠٠	١٠٠	٤٥٣٠٠٠	١٠٠	٣١٤١٠٠	١٠٠

المصدر.

١ - مصطفى مراد الدباغ، ١٩٧٦ مرجع سابق، صفحات ١٨١، ١٨٦، ١٨٧.

٢ - عارف العارف، ١٩٥١، مرجع سابق، ص ١٩٢ - ١٩٣.

٣ - Ellis, E., 1922, Census of Palestine, 1931, Jerusalem 112 pp.

٤ - P.L.O. Research Centre, 1978, Village statistics 1945: A Classification of land and area ownership in Palestine, with explanatory note by Sami Hadawi, Beirut, 178pp.

٥ - دائرة الإحصاءات العامة، التعداد العام الأول للسكان والمساكن، ١٩٦١، عمان، ص ١١.

ومن الملاحظ تزايد عدد السكان اليهود في القدس في أواخر العهد العثماني بسبب تزايد الهجرة، إلا أن عددهم لم يزد تقريباً في المدينة المقدسة حتى عام ١٩٢٠م كنتيجة لاندلاع الحرب العالمية الأولى وتوقف الهجرة اليهودية.

وإثناء الانتداب البريطاني تضاعف بصورة كبيرة عدد المهاجرين إلى فلسطين (ارتفع متوسط عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين من ٣٢٠٠ مهاجراً سنوياً قبل الحرب مباشرة إلى ٧٠٠٠ مهاجراً سنوياً بعد الحرب، واستمر المعدل بالتزايد الأعظم حتى وصل إلى ٥٧١٠٠ مهاجراً سنة ١٩٣٩)^(١). ولذلك ارتفع عدد السكان اليهود في عام ١٩٣١ إلى ٥١٢٢٢ نسمة مقابل ٣١٢٢٩ نسمة من العرب. وبالتالي أصبح السكان اليهود في المدينة يمثلون ٥٦,٦٪ من عدد سكانها البالغ ٩٠٤٥١ نسمة، وفيما بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٥ تضاعف تقريباً عدد السكان اليهود في المدينة ليصل إلى ٩٧٠٠٠ نسمة مقابل ٦٠٠٨٠ نسمة من العرب، وبذلك ارتفعت نسبة السكان اليهود إلى ٦١,٨٪ من عدد سكان المدينة البالغ ١٥٧٠٨٠ نسمة.

يتضح مما سبق أن بداية التغلغل المخطط لليهود في القدس يتفق مع بداية القرن التاسع عشر، ونشط في أواخر عهود الدولة العثمانية وبتدعيم من الامبريالية البريطانية، واخذت أعداد السكان اليهود تصل القمة في المنحنى العددي لسكان المدينة أثناء الانتداب البريطاني، حيث بلغ عدد السكان اليهود مع نهاية عام ١٩٤٧ (٩٩٤٠٠) نسمة يشكلون ٦٠,٤٪ من سكان المدينة البالغ ١٦٤٥٠٠ نسمة، بينما وصل عدد السكان العرب إلى ٦٥١٠٠ نسمة فقط. ويمثل هذا العدد من السكان اليهود «القمة» والتي كانت توطئة ضرورية لاقتطاع جزء من المدينة المقدسة عقب انتهاء حرب ١٩٤٨م، وتأسيس الدولة اليهودي. ويعدّها يأخذ التطور العددي للسكان في القطاعين العربي واليهودي من المدينة نمطاً جديداً يتلخص فيما يلي:

في عام ١٩٦١ وصل عدد سكان القطاع العربي من القدس ٦٠٤٨٨ نسمة، وهو أقل من عدد السكان العرب في المدينة قبل تقسيمها عام ١٩٤٨ والبالغ ٦٥١٠٠

١ - حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٥، سكان فلسطين: ديموغرافيا وجغرافيا، دار الشرق، عمان، ص ١٤٤ - ١٤٥.

نسمة . ويرجع هذا الانخفاض إلى حرب ١٩٤٨م وما ترتب عليه من هجرة سكانية بعد تقسيم القدس واحتلال فلسطين، بينما استمر نمو عدد السكان اليهود في القطاع المحتل من المدينة بسبب عاملي الهجرة والزيادة الطبيعية ليبلغ ١٦٦٣٠٠ نسمة . وقد وصل عدد سكان القطاع العربي من القدس في عام ١٩٦٧م ٦٦٠٠٠ نسمة وهو عدد يقرب من عدد السكان العرب في القدس مع نهاية عام ١٩٤٧م . ووصل عدد سكان القدس المحتلة في عام ١٩٦٧م ٢٠٠٠٠٠ نسمة .

يتضح مما سبق، تراجع عدد سكان القدس العربية بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ بالمقارنة مع عدد سكانها في نهاية عام ١٩٤٧م . بينما كان النمو السكاني للقدس المحتلة متسارعاً . مما أدى إلى تحول اليهود من نمط الجيتو كإقلية (عندما كانت القدس موحدة قبل عام ١٩٤٨)، إلى السيادة الانثروبولوجية في القطاع المحتل من المدينة بعد عام ١٩٤٨ . وقد خطط للقدس المحتلة بعد عام ١٩٤٨ لتصبح من مراكز الثقل السكاني اليهودي في الكيان الصهيوني الدخيل . واثناء حرب ١٩٦٧م تم احتلال القدس العربية، وضمها للقدس المحتلة عام ١٩٤٨ لتصبح القدس جميعها تحت الاحتلال . وبعد عام ١٩٦٧ اتخذ الوضع السكاني العربي واليهودي نمطاً جديداً كبداية لتهويد المدينة وتصفيته حضارياً، إذ خطط الصهاينة كمرحلة أولى ألا يقل عدد السكان اليهود في القدس جميعها عن ٧٣٪ من مجمل عدد السكان بأي حال من الأحوال، والتعويض عن الفرق بين الزيادة الطبيعية للسكان العرب والسكان اليهود (وهو ٢ بالمئة تقريباً) بتكثيف الاستيطان حول المدينة المقدسة والهجرة اليهودية إلى المدينة بعد توسيع حدود بلديتها^١ . ولذلك حرصت السلطات الصهيونية بعد عام ١٩٦٧م ألا يزيد عدد السكان العرب في القدس عن ٢٧٪، مع التخطيط لتقليل هذه النسبة تدريجياً من خلال الضغوط الاقتصادية والقسرية والتفسيمة وأساليب القهر والقمع، وإيقاف جمع شمل العائلات، وتزايد هجرة السكان العرب من القدس وبخاصة بعد حرب عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ وتزايد أسعار النفط، وتوافر فرص العمل في دول الخليج . وقد بلغ عدد السكان العرب في القدس

١ - Abu Ayyash, 1981, Op. Cit., p. 111-124.

Brutzkus, 1972, op. Cit., p. 302-318.

عبد الرحمن أبو عرقه، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

عام ١٩٧٠ حوالي ٨٥٠٠٠ نسمة بينما بلغ عدد السكان اليهود ٢٢٩٠٠٠ نسمة . وارتفع عدد السكان اليهود عام ١٩٨٣ إلى ٣٣٠٥٠٠ نسمة ، وارتفع عدد السكان العرب (بسبب الزيادة الطبيعية فقط وهي ٤ بالمائة تقريباً) إلى ١٢٢٥٠٠ نسمة . ويتوقع ان يصل عدد السكان في المدينة عام ١٩٩٢ إلى ٥٦٠٠٠٠ نسمة بحيث يزيد عدد السكان اليهود فيها عن ٤٠٠ ألف نسمة .

وبلاحظ من خلال تعداد السكان والمساكن في مقاطعة القدس لعام ١٩٨٣ والذي قامت به السلطات الصهيونية (جدول ١٠) ان نسبة التغير في سكان المقاطعة وجبال القدس وسفوح الحضيض تدل على بوجود نسبة تغير عالية في عدد السكان فيها بين ١٩٦١ و ١٩٧٢ . وصلت في جبال القدس إلى ٨٤,٣ ٪ ، و ٨١ ٪ للمقاطعة جميعها ، و ٣٩,١ ٪ لسكان سفوح الحضيض ، وترجع نسب التغير المرتفعة تلك إلى احتلال القدس العربية بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وتكثيف الاستيطان والهجرة اليهودية إلى القدس بعد ضم القطاع العربي للقطاع اليهودي . ويجدر أن ننبه إلى أن نسبة التغير تلك حسبت بين عام ١٩٦١ و ١٩٧٢ تبعاً للأسلوب الصهيوني المخادع المعروف ، لأن القدس عام ١٩٦١ كانت مجزأة إلى قطاعين عربي ويهودي ، ولم تكن القدس جميعها (وكذلك قراها) تحت الاحتلال الصهيوني . ولذلك يعتقد القاريء غير المطلع ان القدس جميعها كانت تحت الاحتلال منذ عام ١٩٦١ .

من جهة اخرى يلاحظ بان نسبة التغير قد انخفضت في الفترة بين ١٩٧٢ - ١٩٨٣ عما كانت عليه بين عامي ١٩٦١ و ١٩٧٢ (بالرغم من بقائها مرتفعة نسبياً مما يؤكد بأن نسبة التغير المرتفعة بين عامي ١٩٦١ ، ١٩٧٢ كانت تتجه مباشرة لضم القدس العربية بعد حرب ١٩٦٧ إلى القدس المحتلة عام ١٩٤٨ ، والاسراع في برامج الاستيطان والهجرة اليهودية في القدس وحولها بعد عملية الضم .

ويمكن ان نستخلص العوامل الجيوبولوتيكية التي شكلت نمط النمو السكاني الديموغرافي والاثروبولوجي (أي للعرب واليهود) في القدس بعد عام ١٩٤٨ ، ويتمثل فيما يلي :

أ - تشكل حروب عام ١٩٤٨ ، وعام ١٩٦٧ ، وعام ١٩٧٣ حروباً تهجيرية بالنسبة للسكان العرب في الأراضي المحتلة والقدس . وقد انعكس ذلك إما على تراجع عدد سكان القدس ، أو نموها نمواً بطيئاً ، ثم انقلاب المعادلة الديموغرافية -

الانثروبولوجية لصالح السكان اليهود بعد ضم القدس العربية عام ١٩٦٧. إذ بعد أن كان اليهود يمثلون الأقلية السكانية في القدس، أصبح العرب يمثلون الأقلية في خضم اليهود، ولا شك أن هذه خطوة هامة لتهويد المدينة وتصنيفها حضارياً.

ب - رافق تزايد أسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣، ارتفاع حاد في معدلات العوائد النفطية لدول الأوبك العربية (من ١٣١٣١ مليون دولار عام ١٩٧٧ إلى ٨١٠٧٥ مليون دولار عام ١٩٧٧) وتصارع عمليات التنمية في دول الخليج العربي مما أدى إلى توافر حوافز اقتصادية دفعت الكثير من العرب الفلسطينيين إلى الانسلاخ إما عن مخيماتهم في الوطن المحتل، أو بالقرب منه في الأردن، ومن قراهم ومدنهم في الوطن المحتل، والهجرة إلى دول الخليج. وبدلاً من أن يصبحوا مطرقة الضغط السياسي على النطاق الدولي كلاجئين وابتداء قضية مشردين، أو عناصر في المقاومة المسلحة (بعضهم على الأقل)، تحولوا إلى الشتات الجديد، الشتات الفلسطيني (بدوافع اقتصادية)، والنتيجة الحتمية كانت الخروج دون أمل في العودة سواء إلى المخيمات أو إلى المدن والقرى. وقد رافق عمليات الهجرة من الوطن المحتل بعد عام ١٩٦٧ تقنين عمليات شمل العائلات ثم وقفها تماماً وبخاصة للسكان العرب من مدينة القدس مما أثر على النمو السكاني للمدينة^١.

ج - أدى تحييد مصر في معادلة الصراع العربي الإسرائيلي بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد، إلى تقليص عدد القوات الإسرائيلية العاملة على خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل، مما أسفر عن عودة عدد كبير من المجندين الإسرائيليين إلى العمل في قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي المختلفة، والتي كان يشغلها العمال الفلسطينيون، رافقه تضيق متسارع لفرص العمل في الأراضي المحتلة (ومنها القدس) مما دفع الكثير من العمال إلى الهجرة إلى

١ - عبد الرحمن أبو عرق، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ٢٢٢.
يقدر العدد بنحو ٨٠٠٠ مواطن حرموا من شمل العائلات حسب ما ورد في القدس «روحي الخطيب».

جدول - ١٠ - خصائص الأسرة والسكان لمقاطعة القدس لعام ١٩٧٢ ، ١٩٨٣ .

خصائص السكان				خصائص الأسرة			
عدد السكان (بالآلاف)	النسبة المئوية من سكان الأراضي المحتلة	نسبة التغير (%)	عدد الأسر (الآلاف)	متوسط حجم الأسرة (فرد)			
١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	
٤٧٦,٤	١١,٧	٣٧,١	٨١,٠	١١٧,٤	٨٠,٢	٣,٩	
٤٥٣,٠	١١,١	٣٨,٢	٨٤,٣	١١٢,٤	٧٩,٩	٣,٨	
٢٣,٤	٠,٦	١٩,٦	٢٩,١	٥,٠	٣,٣	٤,٤	
٤٠٦٤,٧	١٠٠	٢٩,١	٤٤,٤	٠٩٧,٥	٧٧٤,٦	٣,٥	
١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	١٩٧٢	١٩٨٣	
٤٧٦,٤	١١,٧	٣٧,١	٨١,٠	١١٧,٤	٨٠,٢	٣,٩	
٤٥٣,٠	١١,١	٣٨,٢	٨٤,٣	١١٢,٤	٧٩,٩	٣,٨	
٢٣,٤	٠,٦	١٩,٦	٢٩,١	٥,٠	٣,٣	٤,٤	
٤٠٦٤,٧	١٠٠	٢٩,١	٤٤,٤	٠٩٧,٥	٧٧٤,٦	٣,٥	
مقاطعة القدس							
جبال القدس							
سفوح الجليل							
الأراضي المحتلة							
(اسرائيل)							

مقاطعة القدس
جبال القدس
سفوح الخيف
الأراضي المحتلة
(إسرائيل)

المصدر: State of Israel Central Bureau of statistics, 1983, population and Households, Jerusalem, 43 pp.

دول الخليج وغيرها للعمل . ويعني ذلك تفريغ الأراضي المحتلة من عنصر الشباب في سن العمل ، ولم يكن أسلوب الضغط الاقتصادي بهدف التهجير جديداً على الفلسطينيين ، إذ خططت الصهيونية كتفريغ الأرض من سكانها منذ أواخر العهد العثماني ، عندما تدهورت الأوضاع الاقتصادية للمطقة ، وتمثل ذلك في التخطيط السري لتهجير سكان فلسطين وبالذات سكان لواء القدس . وقد تعاضمت هذه المؤامرة أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين . وليس من غريب الصلفة ان نجد اولى تيارات الهجرة الفلسطينية إلى العالم الجديد (الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية) كان مركزه من سكان لواء القدس والمدينة المقدسة بالذات ، ولم نجد هجرات مماثلة من الألوية الأخرى مثل لواء نابلس بالرغم من تشابه البيتين الجغرافية ، والظروف الاقتصادية العامة .

جـ - تطور الكثافة السكانية واختلاها :

تؤكد قيم الكثافة السكانية في المدينة المقدسة بتغيراتها ، اختلال التوازن

جدول - ١١ - كثافة السكان في مدينة القدس بين عامي ١٩٢٢م و ١٩٨٢م .

السنة	الكثافة (نسمة / كم ^٢)
١٩٢٢	١٨٠٣
١٩٣١	٢٥٣٨
١٩٤٤	٣٨٨٣
١٩٥٢	٣١٩٣
١٩٦١	٣٦٣٣
١٩٦٧	٤٧٨٦
١٩٨٢	٤٧٦٤*

عن ابراهيم الزقراطي ، ١٩٨٦

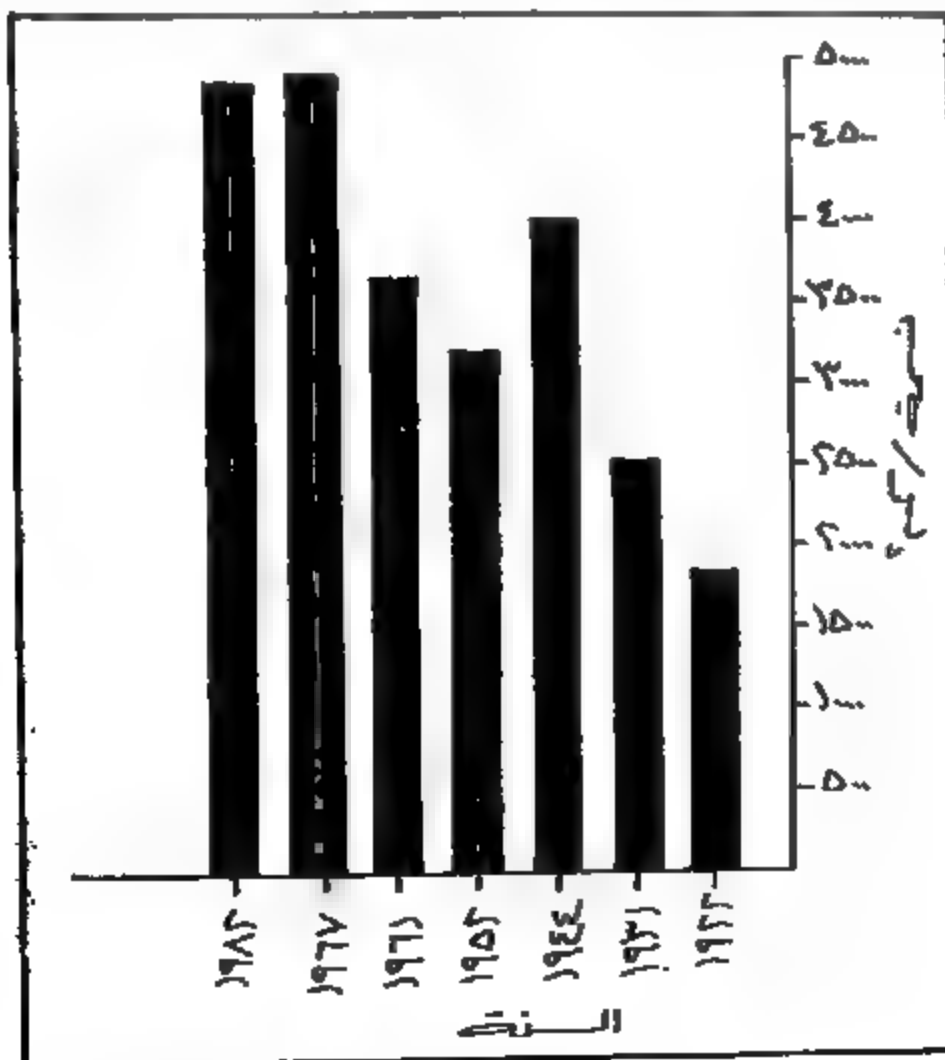
• كثافة السكان في القطاع العربي من القدس بعد تقسيمها عام ١٩٤٨ .

• كثافة السكان في القطاع العربي من القدس والذي ضم إلى القطاع اليهودي بعد حرب

١٩٦٧ ، وتضمن القدس العربية هنا شعقاط .

الديموغرافي / الاثروبولوجي للسكان العرب في المدينة في مراحل تعكس الأوضاع السياسية والحروب التهجيرية التي مرت بها المدينة وفلسطين (جدول ١١) . وبالرغم من ظهور اتجاه عام في ارتفاع معدلات الكثافة السكانية منذ عام ١٩٢٢ (أول تعداد للسكان) وحتى عام ١٩٨٢م، إلا أن هذا الاتجاه تعرض إلى انقطاع واضح يمثل الانخفاض الفجائي في الكثافة السكانية في مرحلتين رئيسيتين وهما:

أ - المرحلة التي تمثل المدينة بعد حرب ١٩٤٨، إذ بلغت كثافة السكان في المدينة عام ١٩٤٤ حوالي ٣٨٨٣ نسمة / كم^٢ مقابل كثافة بلغت ١٨٠٣ نسمة / كم^٢ عام ١٩٢٢. ويرجع ارتفاع الكثافة السكانية بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٤ وبمعدل ٩٥ نسمة / كم^٢ سنوياً إلى ارتفاع معدلات الهجرة اليهودية بعد الانتداب البريطاني (والى القدس بالذات)، وليس إلى النمو الطبيعي للسكان العرب وآل يهود الذين كانوا يعيشون في المدينة عام ١٩٢٢ (شكل ١١) . من



شكل - ١١ - تطور كثافة السكان في مدينة القدس.

جهة اخرى يلاحظ ظهور انخفاض حاد في الكثافة السكانية للقدس العربية بناء على تعداد سنة ١٩٥٢ حيث بلغت ٣١٩٣ نسمة / كم^٢ مقابل ٣٨٨٣ نسمة / كم^٢ للكثافة عام ١٩٤٤ . ويرجع هذا الانخفاض في الكثافة السكانية إلى حرب عام ١٩٤٨ وما ترتب عليها من هجرة قسرية للسكان العرب واحتلال جزء من المدينة في حرب عام ١٩٤٨ (وهو الذي سمي بالقطاع اليهودي) ، واستمرت الكثافة السكانية بعد عام ١٩٥٢ في الارتفاع حتى عام ١٩٦٧ وبمعدل كبير بلغ ١٠٦ نسمة / كم^٢ سنوياً، ويعود ارتفاع معدلات الكثافة السنوية تلك لا إلى الزيادة السكانية للمدينة وإنما إلى فقدان جزء كبير من أراضي المدينة بعد تقسيمها عام ١٩٤٨ ، واضطرار السكان العرب للتركز في مساحة صغيرة من المدينة وهي المدينة القديمة بالدرجة الأولى . لأنه كما اسلفنا سابقاً لم يتزايد عدد سكان المدينة في تلك الفترة بقدر ما كان يتراجع .

ب - أما المرحلة الثانية فتتمثل انخفاضاً حاداً في الكثافة السكانية للمدينة بعد حرب ١٩٦٧ ، إذ بلغت الكثافة السكانية عام ١٩٦٧ حوالي ٤٧٨٦ نسمة / كم^٢ وتمثل هنا الكثافة أكبر معدلات التركيز السكاني في المدينة المقدسة منذ إجراء أول تعداد سكاني لها عام ١٩٢٢ بالمقارنة مع المدن الفلسطينية الأخرى . إلا أنها انخفضت في عام ١٩٨٢ إلى ٤٧٦٤ نسمة / كم^٢ . وقد بلغ معدل الانخفاض السنوي بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨٢ حوالي ٠,٧ نسمة / كم^٢ ، ويعود انخفاض الكثافة المستمر خلال ١٥ سنة بعد الاحتلال والضم عام ١٩٦٧ إلى مصادرة الأراضي العربية في المدينة القديمة والمناطق المجاورة للقدس ، وتكثيف بناء المستوطنات ، واجراءات القهر والتعسف ، والضغط الاقتصادي ، ومنع اصدار رخص للبناء ، ووقف جمع شمل العائلات ، واستمرار الهجرة بين السكان العرب من عام ١٩٦٧ . ولا شك ان قيم الكثافات السكانية (واعداد السكان) في السنوات القادمة ، ستكشف بالتأكيد عن استمرار تناقص عدد السكان العرب والكثافة معاً ، وهو ما تخطط له الصهيونية لتفريغ المدينة من سكانها العرب الأصليين وتحويلها إلى مدينة يهودية انثروبولوجيا .

ومن المؤشرات الهامة، التي تؤكد تركيز السكان اليهود في مدينة القدس بالدرجة الأولى دون سواها من لواء القدس، مقارنة عدد السكان العرب بعدد اليهود في لواء القدس وفي القضاء عام ١٩٣١، إذ بلغ عدد السكان العرب في اللواء ٢١١٥٠٣ نسمة بينما بلغ عدد السكان اليهود ٥٤٩٥٩ نسمة، أي أن السكان العرب كانوا يشكلون ٧٩,٤٪ من مجموع سكان اللواء، بينما كان اليهود يشكلون ٢٠,٦٪ فقط، ثم ترتفع نسبة السكان اليهود إذا ما قورن عددهم بعدد السكان العرب على مستوى القضاء، إذ بلغ عدد اليهود في قضاء القدس عام ١٩٣١ م ٥٤٩٥٩ نسمة مقابل ٧٨٠٧١ نسمة من العرب، ولذلك ترتفع نسبة عدد السكان اليهود إلى العرب لتصل ٤١,٣٪ مقابل ٥٨,٧٪ للعرب مما يعطي دلالة واضحة على تركيز السكان اليهود على مستوى القضاء واللواء في مدينة القدس بالدرجة الأولى. ولم تتغير نسبة السكان العرب واليهود في قضاء القدس تقريباً عام ١٩٤٥، إذ بلغ عدد السكان العرب ١٤٧٧٥٠ نسمة وعدد السكان اليهود ١٠٠٢٠٠ نسمة. وبالتالي كانت نسبة السكان العرب في القضاء ٥٩,٧٪، واليهود ٤٠,٦٪. وتؤكد مساحات الأراضي المملوكة من قبل اليهود والعرب عام ١٩٤٥ م مرة أخرى تركيز اليهود في مساحات صغيرة من قضاء القدس وبالتحديد في مدينة القدس، إذ بلغت مساحة الأراضي التي كان يملكها السكان العرب في القضاء آنذاك ١,٣٨٨,٨٥٤ دونماً، مقابل ٣٣٤٠١ دونماً يمتلكها اليهود. بمعنى أن نسبة ما كان يملكه السكان العرب من الأراضي في القضاة كانت تشكل ٩٧,٧٪ مقابل ٢,٣٪ يمتلكها اليهود فقط^١. وتدل صغر مساحة الأرض التي كان يمتلكها اليهود في القضاء مرة أخرى على ارتفاع معدلات التركيز السكاني الحضري، بحيث كان تركيزهم الأعظمي في المدينة المقدسة بالدرجة الأولى، أي في الحي اليهودي وليس في ريف لواء القدس بين الأغلبية العربية. وتجدر الإشارة إلى أنه حتى عام ١٩٤٨ م لم يكن اليهود يملكون في الحي اليهودي سوى خمسة دونمات، وبقية أراضي الحي كان يملكها السكان العرب، وقد بلغ عدد سكان الحي اليهود عام ١٩٤٨ م ٥٣٠٠ نسمة فقط يسكنون ١٥٠٠ مبنى. وقد هجر اليهود هذا الحي بعد عام ١٩٤٨،

١ - منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٠، ص ٥٨.

وسكنه لاحقاً السكان العرب. وبعد احتلال وضم القدس عام ١٩٦٧، تم تفرغه من السكان العرب بحجة انه من المناطق الدينية^(١)



القدس بين وادي الجوز ووادي سلوان.

١ - سمير جريس، ١٩٨١، القدس: المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص ٥٣.

الفصل السادس

تغير البنية الاقتصادية واستثمارات الأراضي

سنعرض في هذا الفصل إلى أبرز معالم تغير البنية الاقتصادية لمدينة القدس وإقليمها في القطاعات الاقتصادية المختلفة كالزراعة والصناعة والسياحة (وما يرتبط بها من الصناعات الحرفية، والفندقية، والمكاتب السياحية... الخ)، والخدمات الأخرى، وتغير هيكل القوى العاملة، والمواصلات والنقل. إضافة إلى فرض الضرائب العالية على سكان المدينة، وفرض الرسوم الجمركية العالية حتى عن تلك المتوجات التي استوفت الرسوم الجمركية الأردنية قبل الاحتلال، وكذلك وقف التحويلات المالية من الأردن والدول العربية والاجنبية التي كان يرسلها أبناء القدس العاملين في الخارج^(١).

وقد أدى تناقض السيولة النقدية، وانعدام الثقة بالمستقبل، وتوقف الدخول الجارية إلى توقف جميع أنواع الاستثمارات. ويعني هذا الوضع وقوع مدينة القدس (والضفة الغربية ككل) في أزمة اقتصادية خانقة رافقها ارتفاع حاد في الأسعار. وقد وضع الاسرائيليون سياسة خبيثة هدفت إلى السيطرة على الاقتصاد العربي في القدس وإخضاعه للاقتصاد الاسرائيلي، وتجهيلاً لتصفيته تدريجياً^(٢).

وترتكز السياسة الاسرائيلية الاقتصادية تجاه القدس والضفة الغربية على ثلاثة محاور تشكل جوهر القضية الفلسطينية. وهذه المحاور هي:

١ - صير جريس، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ١٥٦.

٢ - المرجع نفسه، ص ١٦٠ - ١٦١.

١ - استمرار الاستيلاء على الموارد الطبيعية للقدس والضفة وبخاصة الأرض والمياه، والحياة البرية والحيوانية^(١)، وذلك لمواجهة التخطيط الاستيطاني الصهيوني وإجرائاته، وحرمان السكان العرب من مواردهم، ومن ثم تدني دخولهم ودفعهم إلى الهجرة.

٢ - ولتحقيق السيطرة على الاقتصاد العربي وتصفيته نهائياً، والاستيلاء على موارد الأرض والمياه، وضع الإسرائيليون سياسة تخطيطية تعرف بسياسة القلب - الهوامش المعروفة في التخطيط (Core & Preiphery) والتي تهدف إلى جعل القلب الاسرائيلي متقدماً دوماً، والهوامش العربية متخلفة وفي خدمة الاقتصاد الاسرائيلي^(٢)، وقاموا بتنفيذها في الضفة الغربية والقدس. وترسم هذه السياسة العلاقة الاقتصادية بين القلب الاسرائيلي والهوامش العربية بالصورة التي تحقق للإسرائيليين مآربهم في تحطيم الاقتصاد العربي وربطه بالاقتصاد الاسرائيلي وترسيخ الاحتلال.

وأبرز خصائص العلاقات الاقتصادية بين القلب والهوامش^(٣) ما يلي :

أ - يمكن وصف العلاقات الوظيفية بين القلب والهوامش بأنها علاقات استعمارية بكل معنى الكلمة (Colonial) وهو تأكيد للوضع الاسرائيلي الذي يمثل أعلى مراتب الإمبريالية التي عرفها العالم. وتقضي هذه الصفة باستغلال المواد الخام والعمالة الرخيصة من الهوامش العربية في القدس والضفة الغربية، وتحويلها إلى المركز للتقدم في القدس المحتلة وغيرها من المدن والمراكز الصناعية الإسرائيلية.

ب - يؤدي تدفق المواد الخام والأيدي العاملة بين الهوامش العربية في القدس والضفة، إلى مراكز الثقل الاقتصادية الإسرائيلية (القلب) حسب العلاقة الأنفة الذكر، إلى تزايد فجوة عدم المساواة بين الهوامش العربية والقلب

١ - The Middle East, 1979 (September), p. 39.

المركز الجغرافي الاردني، ١٩٨٥، الحقوق التراكمية للشعب الفلسطيني، عمان، ص ١٠٧.

٢ - Abu-Ayyash, 1981, Op. Cit., p. 113.

٣ - Abid, p. 113-115.

الاسرائيلي، او بمعنى آخر تزايد التخلف في الهوامش، والتقدم في القلب، ومن ثم استمرارية سيطرة القلب على الهوامش وتحكمه به.

جـ- يؤدي استمرار استغلال الموارد الطبيعية والبشرية في الهوامش لصالح القلب إلى حدوث اختلال اجتماعي واقتصادي في الهوامش المتخلفة، يترتب عليه استمرار الهجرة للهرب من الأوضاع الاقتصادية المتردية وهو ما يخدم السياسة الاسرائيلية.

وقد صرح أبا اييان (وزير الخارجية الاسرائيلي السابق) بأن العلاقة الاقتصادية بين اسرائيل وعرب الأراضي المحتلة، يجب ان تكون مثل تلك التي تسود بين الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية، أي علاقة المسيطر والمنبسطر عليه، المتقدم والمتخلف، السيد والعبد التابع، الغني والفقير، وهي نموذج العلاقة التي تسود بين المستعمر والمستعمر والمعروفة منذ أيام شركة الهند الشرقية.

ومهما كان الأمر فقد خطط الصهاينة لأن يبقى القلب الاسرائيلي هو المتقدم اقتصادياً وتقنياً، ويمتلك عناصر الهيمنة والقوى المنظمة وصناعة القرارات.

ولضمان استمرارية سيطرة القلب على الهوامش أوجد الاسرائيليون نظاماً فرعية في الهوامش العربية، من خلال الاستيطان برتبته المختلفة تضمن السيطرة على الموارد، وتنفيذ القرارات التي تصاغ في القلب، وكذلك ايجاد مؤسسات عسكرية وغيرها، تضمن السيطرة على الهوامش العربية، وإعادة تخطيط شبكة المواصلات وانشاء شبكة مواصلات جديدة، بحيث تضمن تدفق المتوجات الاسرائيلية من القلب إلى الهوامش العربية.

٣- اصدار التشريعات والقوانين بهدف تحطيم البنية الاقتصادية للمدينة وتغيير استعمالات الأراضي فيها. وأبرز هذه التشريعات ما يسمى وقانون التنظيمات الإدارية والقانونية ٥٧٢٨ - ١٩٦٨. وبناء على احكام هذا القانون (المواد ٦ - ١٤) أجبرت الشركات والجمعيات التعاونية العربية المختلفة، على إعادة تسجيلها كشركات أو جمعيات اسرائيلية خلال فترة أقصاها ستة اشهر إذا كان مكتبها الرئيسي موجوداً في القدس، أما تلك التي تحتفظ بمكتب فرعي في المدينة ينبغي عليها خلال الفترة نفسها، اتخاذ الاجراءات الضرورية الكفيلة باستقلالها عن الشركة الأم، وتحويلها إلى شركة منفصلة تسجل في اسرائيل،

على ان يكون نشاطها في منطقة سريان القانون، وان يكون اعضاء مجالس ادارتها من سكان تلك المنطقة. وهذا يعني اجبار الشركات والمؤسسات العربية على حل نفسها، أو طلب تسجيلها كشركات اسرائيلية، وقطع أية علاقة قانونية بالمؤسسات المماثلة في الضفة الغربية وخارجها^١.

أ - الزراعة :

تعود أقدم الاحصاءات المنظمة والمتوافرة عن الزراعة والثروة الحيوانية والضرائب الزراعية وتوزيع الدخل من الزراعة في المناطق الريفية في فلسطين، بها فيها لواء القدس، إلى القرن السادس عشر، وهي تلك المدونة في الدفاتر العثمانية. وقد قام الاستاذان هينروت وكمال عبد الفتاح، بوضع خرائط للإنتاج الزراعي في فلسطين في القرن السادس عشر. وقد تضمنت تلك الخرائط توزيع النسب المثوية للإنتاج الزراعي (للمحج والشعير، والمحاصيل الحقلية الصيفية، والأشجار المثمرة بما فيها الزيتون والكرمة، والسهم، والقطن، والماعز، والأغنام، والنحل وغيرها) في قرى فلسطين جميعها^٢. وقد أضافوا إلى تلك الخرائط فهرساً منظماً يبين الانتاج الزراعي في كل قرية من الوية فلسطين، وذلك حسب التقسيم الإداري الذي كان سائداً آنذاك. وقد كان لواء القدس في تلك الفترة يضم ناحية الخليل.

ويتضح من تلك الدراسة القيمة ان لواء القدس وفلسطين كانا يجمعان بين الزراعة البعلية، والزراعة المروية، والزراعة المختلطة (أي الزراعة والثروة الحيوانية). وفام العثمانيون بوضع نظام احصائي وثيق ومنظم يمكن من معرفة الانتاج الزراعي بأشكاله المختلفة في كل قرية بهدف تحصيل الضرائب المستحقة للدولة.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، أي في عام ١٨٩٥ كانت تشكل متصرفية القدس ٨١٪ من مساحة فلسطين، واتضح بأن ١٠٪ من مساحة المتصرفية كانت

١ - سمير جريس، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ١٦٠ - ١٦١.

٢ - Hellereth and Abdulfattah, 1977, Op. Cit., pp. 225.

مزروعة في تلك السنة، باستثناء الأراضي المتروكة للراحة، لتجلد خصوبتها كنوع من الدورة الزراعية التي تحفظ للبيئة توازنها^(١). وقد انخفضت نسبة المساحة المزروعة عام ١٩٠٩ إلى ٨/٧ (جدول ١٢). ويعود سبب انخفاض المساحة المزروعة إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية عموماً، وسوء أحوال الفلاح الفلسطيني في أواخر العهد العثماني، والمهجرة، ورييا الجفاف^(٢).

جدول - ١١ - المساحة المزروعة في متصرفية القدس (بالدونيات) ونوع المحصول.

نوع المحصول	١٨٩٥	١٩٠٩
حبوب	١٦٠٠ ٠٠٠	١ ١٨٨ ٤٢٠
بقول وخضار	٣٧٠ ٠٠٠	
اشجار مثمرة	٢٢٣ ٤٠٠	٢٢٠ ٠٠٠
حمضيات	٦ ٦٠٠	٣٠ ٠٠٠
المجموع	٢ ٢٠٠ ٠٠٠	١ ٤٣٨ ٢٤٠

عن (العامر، ١٩٧٤، ص ٣١)

بلغت مساحة الأراضي المزروعة في لواء القدس سنة ١٩٣٦ حوالي ١,١٠٩,٧٦٤ دونماً، أما الأراضي القابلة للزراعة فكانت ٣٩٧,٣٤٥ دونماً. ويشير كتاب احصاءات القرى عام ١٩٤٥ بأن جميع الأراضي القابلة للزراعة في فلسطين والبالغ مساحتها ٥٣٨,٢٠٥,٩ دونماً كانت جميعها مزروعة في ذلك العام. وبمعنى آخر كان الفلاح الفلسطيني، يستغل جميع الأراضي القابلة للزراعة. وبين

١ - تحليل أبروجيل، الزراعة العربية في فلسطين المحتلة، شؤون فلسطينية، عدد (١١)، ص ١٣٠ - ١٣١.

عنان العامري، ١٩٧٤، التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ - ١٩٧٠، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٥٥ صفحة.

٢ - عبد العزيز عوض، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٢٧ - ٤٢.

الجدول (١٢) مساحة الأراضي المزروعة (بالدونم) لكل من العرب واليهود في لواء القدس حسب تعداد عام ١٩٤٥ .

جدول - ١٢ -

مجموع الأراضي المزروعة

للغرب	للغربة	مشاع	المجموع	النسبة المئوية
				للكية اليهود
٣٢١٨٢٠	١٣٥١٨	١٠٥٩	٣٤٥٣٩٧	٣,٩%

ومنه يتضح بأن ملكية اليهود للأراضي في لواء القدس حتى عام ١٩٤٥ لم تزد عن ٣,٩% فقط من مساحة الأراضي المزروعة في اللواء. وفي عام ١٩٥٢ أي بعد احتلال ١٩٤٨ بلغت مساحة الأراضي في لواء القدس ٢,٠٢٢,٠٠٢ دونماً وكانت مساحة الأراضي المزروعة ٣٨٧,١٩٩ دونماً حيث بلغت نسبة الأراضي المزروعة إلى المساحة الكلية حوالي ١٩,٣%، ويعود انخفاض المساحة المزروعة إلى احتلال إسرائيل للأراضي الزراعية الجيدة من لواء القدس عام ١٩٤٨، وطفان مساحة الأراضي غير القابلة للزراعة في برية (صحراء القدس) على المساحة الكلية بعد عام ١٩٤٨، ولذلك نجد أن نفس النسبة تقريباً وجدت في الخليل. بينما ارتفعت في لواء نابلس إلى ٤٣,٢% بسبب قلة فقدان اللواء للأراضي الزراعية بالمقارنة مع القدس والخليل. وقد زادت مساحة الأراضي المزروعة في لواء القدس بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٧ حيث بلغت مساحة الأراضي المزروعة عام ١٩٥٧ ٤٦٩,٧٢١ دونماً، وارتفعت نسبة مساحة الأراضي المزروعة من اللواء إلى ٢٣,٥% مقارنة مع ١٩,٣% من مساحة اللواء عام ١٩٥٢^(١).

١ - العاصري، مرجع سابق، ص ١٨ - ٢٧.

وقد تناقصت مساحة الأراضي الزراعية تباعاً في الضفة الغربية بعد احتلال عام ١٩٦٧ بها فيها محافظة القدس. فمثلاً بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب في موسم ١٩٦٥/١٩٦٦ حوالي (١٦٦٣٠٠) دونماً، وانخفضت تلك المساحة تدريجياً لتصل إلى (٩١١٠٠) دونماً فقط في موسم ١٩٨٢/١٩٨٣، كذلك انخفضت المساحة المزروعة بالشعير في نفس الفترة. إلا أنه لوحظ توسع في زراعة المحاصيل الحقلية في المحافظة في نفس الفترة (١٩٦٦ - ١٩٨٣) ولكن كان التوسع في الأراضي الهامشية خارج حدود بلدية القدس بعد توحيد شطريها الشرقي والغربي^(١). من جهة أخرى انخفضت مساحة الأراضي المزروعة بالخضروات والأشجار والحمضيات في نفس الفترة السابقة أي بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٨٣ نظراً لمصادرة الأراضي الجيدة من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني باستثناء مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون، إذ زادت المساحة من ١٣٧٠٦٧ دونماً عام ١٩٦٦ إلى ١٥٧٥٥٧ دونماً عام ١٩٨٣، حيث بلغت الزيادة في المساحة ٩,٣٪. وبالرغم من زيادة المساحة هنا إلا أنها أقل نسب الزيادة في مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون في الضفة الغربية. وتجدر الإشارة إلى أن التوسع في المساحة المزروعة بالزيتون كان يتم في الأراضي الهامشية الوعرة خارج حدود بلدية القدس. أي في الأراضي التي تقع خارج المناطق التي تم مصادرة أراضيها لزراع المستوطنات الصهيونية فيها.

ويعود ارتفاع إنتاج بعض المحاصيل كالحمضيات والكرمة، بالرغم من تناقص مساحتها، إلى استخدام التقنيات الزراعية المتقدمة من عمليات الزراعة من قبل السكان.

وعموماً يمكن إيجاز أسباب تناقص مساحة الأراضي الزراعية في محافظة القدس بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٨٦ بما يلي^(٢):

- ١ - قيام سلطات الاحتلال بالاستيلاء على الأراضي الجيدة، أما لأغراض الاستيطان أو حجزها بحجة الأمن. هذا بالإضافة إلى عدم استطاعة أصحاب الأراضي العربية من المزارعين زراعة أراضيهم القريبة من المستعمرات بسبب قيام المستعمرين اليهود بالاعتداء عليهم.

١ - المركز الجغرافي الأردني، الحقوق التراكمية للشعب الفلسطيني، عمان، ص ١٠٧ - ١١٩.

٢ - المرجع نفسه، ص ١٦٠ - ١٦٤.

٢ - قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على معظم مصادر المياه في الضفة الغربية والقدس، وأبقت على جزء يسير منها بأيدي العرب مع الإشراف التام على استخدامه، إذ حددت كمية المياه المسموح بصرفها ومنعت حفر الآبار أو تعميقها، بينما قامت بحفر الآبار على أعماق أكبر قرب الآبار العربية أو الينابيع مما أثر على ضخ الآبار وخفض تصريف الينابيع وأدى إلى جفافها، بل واستولت على كامل الآبار التي كانت تملكها مؤسسات الحكومة الأردنية .

.. محاربة تقدم وتطور الزراعة العربية عن طريق :

أ - خفض ميزانية الأبحاث الزراعية، إذ انخفضت هذه الميزانية في الضفة الغربية على سبيل المثال من ١١٦٥٨٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٧٢ إلى ما يعادل ٧٥٠٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٨٣ أي ان النقص كان بنسبة ٩٤٪ .

ب - خفض عدد المهندسين الزراعيين العاملين في دوائر الحكومة في الضفة، فحتى عام ١٩٧٣ كان عدد المهندسين الزراعيين العاملين في دائرتي الزراعة والتربية ١٢٥ مهندساً زراعياً، وأصبح عددهم عام (١٩٨٢) ١٢٨ مهندساً أي بزيادة ٣ مهندسين فقط خلال ١٠ سنوات، رغم وجود أعداد كبيرة من الخريجين الحاصلين على الهندسة الزراعية في كافة التخصصات، إذ يوجد ٢٧ مهندساً زراعياً عاطلاً عن العمل، عدداً عن الأعداد التي تعمل خارج الضفة .

وانخفض عدد المرشدين الزراعيين من ١٣٣ مرشداً عام ١٩٧٦ إلى ٦٥ مرشداً عام ١٩٨٢، بنقص مقداره ٥١٪، مع ان الدراسات تشير إلى حاجة الضفة إلى نحو ٨٣ مرشداً آخر. ومن هنا أصبح عدد الوحدات التي يقوم على خدمتها كل مرشد زراعي ٤٤٤ وحدة عام ١٩٨٢ بدلاً من ٢١٧ وحدة عام ١٩٧٢ .

ج - قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على محطات التجارب الزراعية التي كانت موجودة قبل عام ١٩٦٧، وأوقفتها عن ممارسة المهام التي وجدت من أجلها، وحولتها من مهمة البحث والعمل على تحسين الفعاليات الزراعية، إلى مجرد أراضٍ منتجة لبعض أنواع الحبوب، ومن المحطات التي كانت تعمل في محافظة القدس، محطة أريحا، وتبلغ مساحتها ٩٠ دونماً، وكانت محطة لأبحاث البستنة الشجرية (كرمة، حمضيات، زيتون) ومشتلاً لإنتاج اشجار

العنب ومشاهدات تعليمية للمزارعين، اوقفت الأبحاث بها، ويوجد بها موظف واحد بعد أن كان بها ١٥ موظفاً قبل الاحتلال.

د - اقللت دوائر الارشاد الزراعي والبحث العلمي على مستوى الضفة عام ١٩٧٩.

٤ - انخفضت نسبة القوى العاملة في الزراعة في الضفة الغربية والقدس، نتيجة لاستقطاب اعداد كبيرة منها للعمل في الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٤٨، ونتيجة لهجرة اعداد كبيرة من السكان للعمل خارج الضفة أو مغادرتها نهائياً بسبب الظروف السيئة التي تفرضها سلطات الاحتلال، ومن هنا انخفضت نسبة القوى العاملة في الزراعة من ٤٧٪ عام ١٩٦٩ إلى ٣٠٪ عام ١٩٨١. كما أدى ذلك إلى ارتفاع اجور العاملين بالزراعة مما يزيد في كلفة الانتاج.

٥ - مشاكل التسويق:

يعاني الإنتاج الزراعي في الضفة الغربية والقدس من مشاكل تسويقية مختلفة يمكن إجمالها فيما يلي:

أ - غلق اسواق الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٤٨ أمام المنتجات الزراعية للضفة الغربية، إلا في حالات نادرة كعدم توفر منتجات مماثلة في اسرائيل، أو وجود طلبات لدول خارجية لم تستطع اسرائيل تلبيةها من مستوجاتها، في حين ابقت اسرائيل اسواق الضفة الغربية مفتوحة دون قيود أمام المنتجات الاسرائيلية، وهي عادة أقل سعراً من منتجات الضفة نظراً لدعم الحكومة الاسرائيلية للمزارعين لديها، وحرمت مزارعي الضفة من ذلك. وقد برزت هذه الظاهرة بشكل واضح عقب منافسة دول اخرى لاسرائيل في الاسواق الخارجية.

ب - تستوعب اسواق الضفة الغربية على سبيل المثال نحو ١٠٪ من انتاجها من الخضروات ونحو ١٥٪ من انتاجها من الحمضيات، و ٤٣٪ من زيت الزيتون، أي ان الاستهلاك المحلي من الانتاج الزراعي منخفض إذا ما قورن بالانتاج، ودغم انه يسمح بتصدير نحو ٥٠٪ من الانتاج كحد أقصى إلى أسواق الضفة الشرقية ومن ثم يبعه إلى الخارج، إلا أن فائض الانتاج يبقى

مرتفعاً مما يؤدي إلى تدني الأسعار خاصة إذا أخذنا بالاعتبار ما جاء في البند السابق .

جـ - ان الهجرة القسرية لأعداد كبيرة من سكان الضفة الغربية عقب الاحتلال عام ١٩٦٧م ، بالإضافة إلى الهجرة المؤقتة والدائمة لأعداد كبيرة سنوياً وحتى الآن ، أدت وتؤدي إلى تقلص الاستهلاك في الأسواق المحلية .

٦ - ارتفاع كلفة الانتاج بنسبة أعلى من ارتفاع الأسعار . مما أدى إلى خفض الأرباح ، بل وإلى خسائر جسيمة يتحملها المزارعون ، مما أدى إلى تخلي المزارعين عن مهنة الزراعة .

٧ - وتعود اسباب زيادة المساحة المزروعة بالزيتون لعدة أسباب منها :
أ - كونها من الأشجار المعمرة .

ب - صلاحيتها للزراعة في ظروف الضفة الغربية والقدس سواء من حيث المناخ ذو التباين الواضح في كمية الأمطار السنوية أو تضرس المنطقة ووعورتها ، وانجراف تربتها . . الخ .

جـ - الاتجاه العام لسنوات عديدة قبل الاحتلال نحو زيادة المساحة المزروعة زيتوناً .

د - استبدال اشجار اللوزيات والتفاحيات بأشجار الزيتون ، حيث أن اعمار الأولى تعتبر محدودة بالنسبة للزيتون ، كما ان قدرتها على تحمل الظروف الطبيعية والبيئية والأمراض أقل من الزيتون ، عدا عن مشاكل تسويق انتاجها ، وعدم قابليته للتخزين ، بعكس انتاج الزيتون .

هـ - من أجل مقاومة الاحتلال قام المزارعون العرب بتشجير أراضيهم بالأشجار المثمرة وبأشجار الزيتون بصفة خاصة ، لمنع أو عرقلة سلطات الاحتلال من الاستيلاء على أراضيهم .

و - قامت بعض الجمعيات الأجنبية بتقديم دعم لأسعار اشغال الزيتون بالإضافة إلى الكرمة واللوزيات رغم كل القيود التي تفرضها سلطات الاحتلال على هذه الجمعيات .

٨ - إن عدم تزايد مساحة الأشجار المثمرة بنسبة تتوافق مع تطور الزراعة ، يعود إلى عدم سماح سلطات الاحتلال بزراعة الأشجار المثمرة ، بل وتمنع زراعتها إلا

بعد الحصول على تصريح رسمي بذلك كما في الحمضيات والكرمة والبرقوق .
٩ - عدم توفر مؤسسات تقدم قروضاً أو هبات أو تشجيعاً للمزارعين العرب كما هو متوفر للمزارعين الاسرائيليين ، وقامت السلطات بمنع وصول أي دعم للمزارعين العرب من جهات عربية ، بل وقامت وتقوم باتفاق معظم المساعدات الأجنبية التي وردت وترد للضفة على المستعمرات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، ولم تسمح باتفاق القليل المتبقي في رفع كفاءة وسائل الانتاج .

١٠ - تخضع الضفة الغربية والقدس خضوعاً تاماً لمخططات مركز التخطيط الاسرائيلي عند وضع السياسة الزراعية ، ومن هنا تستعد كافة المحاصيل التي يمكن ان تنافس المحاصيل الاسرائيلية من خطة الزراعة في الضفة الغربية .
وفي نفس الوقت انخفضت اعداد الثروة الحيوانية (الأغنام والماعز والأبقار وغيرها) في محافظة القدس في نفس الفترة الى النصف تقريباً . ففي عام ١٩٦٦ بلغ عدد الثروة الحيوانية (٢٨٧٦٠٠) رأساً ، انخفضت في عام ١٩٨٣ الى (١٣٣٩٠٠) رأساً . ويرجع انخفاض الثروة الحيوانية إلى مصادرة الأراضي الرعوية بحجة الأمن وإقامة المستوطنات ، وتدهور المراعي ، والمنافسة الاسرائيلية في هذا المجال . إذ يتلقى مربو الحيوانات الاسرائيليون دعماً من الحكومة ، في الوقت الذي يحرم فيه مربو الحيوانات العرب من أي دعم ، مما جعل المنتجات الحيوانية الاسرائيلية منافساً خطيراً للمنتجات الحيوانية العربية ، مما ترتب عليه خسارة في مشاريع الثروة الحيوانية . أضف إلى ذلك تناقص الأيدي العاملة الرعوية بسبب استقطاب سوق العمل الاسرائيلي لها ، وعدم توفر روس الأموال الكافية ، والخدمات البيطرية ، والدراسات العلمية التي من شأنها رفع كفاءة قطاع الثروة الحيوانية في القدس والضفة الغربية ككل^(١) .

ب - الصناعة :

أسست في القدس خلال الحرب العالمية الثانية ، عدة مصانع للغزل

١ - المركز الجغرافي الاوربي ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ - ١٧٣ .

والنسيج، عربية واجنية، إلى جانب الصناعات السياحية التقليدية التي اشتهرت بها المدينة المقدسة، مثل صناعة الشمع بأشكال جميلة مختلفة والذي يباع في الأعياد. وصناعة النقش والحفر في خشب الزيتون حيث يتم حفر المناظر التاريخية المتقنة، والأدوات المكتيبة الدقيقة ولعب الأطفال. ومن الصناعات التقليدية الأخرى التي اشتهرت بها المدينة المقدسة، تطريز البيض بالرسوم والتعاريج والزهور التي تبهج النظر. ويذكر المقدسي بأن السبح كانت تصنع في بيت المقدس منذ القرن العاشر الميلادي. وفي عام ١٩٦٣ تأسست في القدس شركة سجائر القدس المساهمة المحدودة برأسمال قدره ٢٠٠ ألف دينار^(١). وقد بلغ عدد العاملين في الحرف والصناعة حسب تعداد عام (١٩٦١) ٢٨٣٠٣ فرداً منهم (٢٧٢٩٩) من الذكور و (١٠٠٤) من الإناث. وبعد الاحتلال الاسرائيلي للمدينة عام ١٩٦٧، توقف الكثير من الحرفيين عن العمل بسبب الاضطرابات، ولم يكن احد من مقاولي البناء العرب قادراً على استئناف اعماله، مما تسبب في تعطيل معظم عمال البناء، وكذلك تعطيل الورش المرتبطة بها كالنجارة والحداة ومواد البناء، وهي التي كانت توفر العمل لعدد غير قليل من العمال، مما أدى إلى تفشي البطالة ووقوع المدينة في أزمة اقتصادية خانقة.

جـ - السياحة :

يلاحظ أن الصناعات الحرفية في القدس كان لها السيادة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياحة، وترتبط مهنة الفنادق بالسياحة ايضاً، والتي كانت متطورة حتى عام ١٩٦٧. إذ قامت السلطات الاسرائيلية بعد عام ١٩٦٧، باغلاق جميع فنادق المدينة التي تعتبر احد مصادر الدخل الرئيسة في اقتصادها، وفاق عدد العاطلين عن العمل ثلث القوة العاملة. واستمرت الفنادق مغلقة لفترة طويلة، سواء بسبب استمرار نظام منع التجول، او بسبب امتناع السياح، وخصوصاً اليهود منهم عن النزول فيها. وقد كان عدد اسرة الفنادق في القدس الشرقية ضعف مثيله في القدس

١ - مصطفى الدباغ، ١٩٧٦، مرجع سابق، ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

الغربية . وكانت الفنادق العربية ذات مستوى رفيع وخدمة افضل واسعار اقل . وبعد ضم المدينة قررت وزارة السياحة الاسرائيلية رفع الأسعار بنسبة ٥٠٪ لتلافي حصول المضاربة بينها وبين الفنادق اليهودية . وقد ادى هذا إلى هبوط عام في عدد نزلاء الفنادق العربية حتى في فترة عيدي الميلاد ورأس السنة . ولم يزد عن ثلث عدد الأسر^(١) ، وبقي هذا الوضع المتدهور حتى الآن . وقامت سلطات الاحتلال بمنح رخص للتجار اليهود لفتح مكاتب سياحية ومحلات تجارية للتحف الشرقية ، بهدف السيطرة على قطاع السياحة والخدمات في المدينة ، الذي كان يعمل فيه عدد كبير من السكان العرب في المدينة . وفي الوقت نفسه فرضت القيود على المرشدين السياحيين العرب ، ومنع تسجيل أي مرشد عربي جديد بهدف تصنيفهم واستبدالهم باليهود . وكذلك منعت سلطات الاحتلال عملي المكاتب السياحية العربية من دخول مطار اللد لاستقبال الوفود السياحية بحجة الأمن .

د - المواصلات والنقل :

وبنفس الطريقة السابقة تم تصفية قطاع المواصلات والنقل في المدينة المقدسة بعد ضمها . إذ قبل الضم بأيام حصلت إحدى شركات النقل التعاونية الاسرائيلية (ايغد) على إذن يسمح لها باحتلال نصف مواقف الباصات في المحطة المركزية في القدس الشرقية ، إضافة إلى مكاتب جميع شركات الباصات العربية . وبدأ الاسرائيليون بتشغيل تسعة خطوط للباصات يصل بعضها بين القدس الشرقية والقدس الغربية ، وسير البعض الآخر على خطوط المواصلات العربية العامة ، وبالمقابل منعت شركات الباصات العربية من ممارسة نشاطها السابق في النقل بين القدس والمناطق الأخرى في الضفة ، أو المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . وواجهت سيارات الأجرة نفس مصير شركات الباصات ، وسيطر السائقون اليهود على قطاع النقل بسيارات الأجرة مما أضاف بعداً آخر في جبهة العاطلين عن العمل^(٢) .

١ - سمير جريس ، ١٩٨١ ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ - ١٥٨ .

٢ - سمير جريس ، ١٩٨١ ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

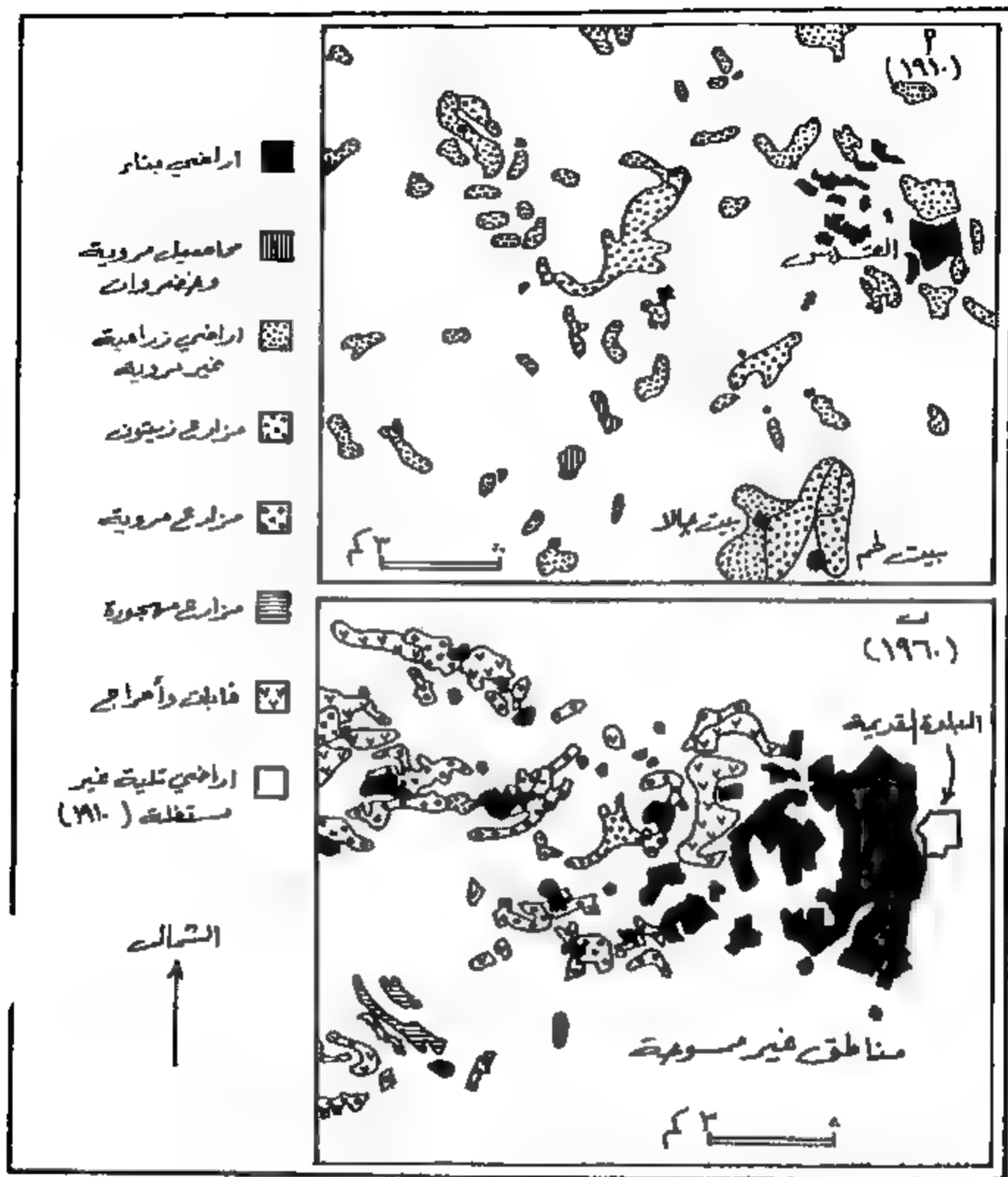
هـ - تغير استعمالات الأراضي :

لقد أدى توحيد القدس بعد حرب عام ١٩٦٧ ، والتغيرات الاقتصادية التي فرضت على المدينة والمحافظة في قطاعات الزراعة والصناعة ، والسياحة ، والنقل إلى أحداث تغيرات جادة في استعمالات الأراضي . وقد خطط الصهاينة لاستعمال الأراضي وتغييرها بعد الاحتلال ، كجزء من برنامج تصفية الطابع العام للمدينة والمناطق المجاورة من جهة ، وتعميم الاقتصاد بقطاعاته المختلفة من جهة أخرى .

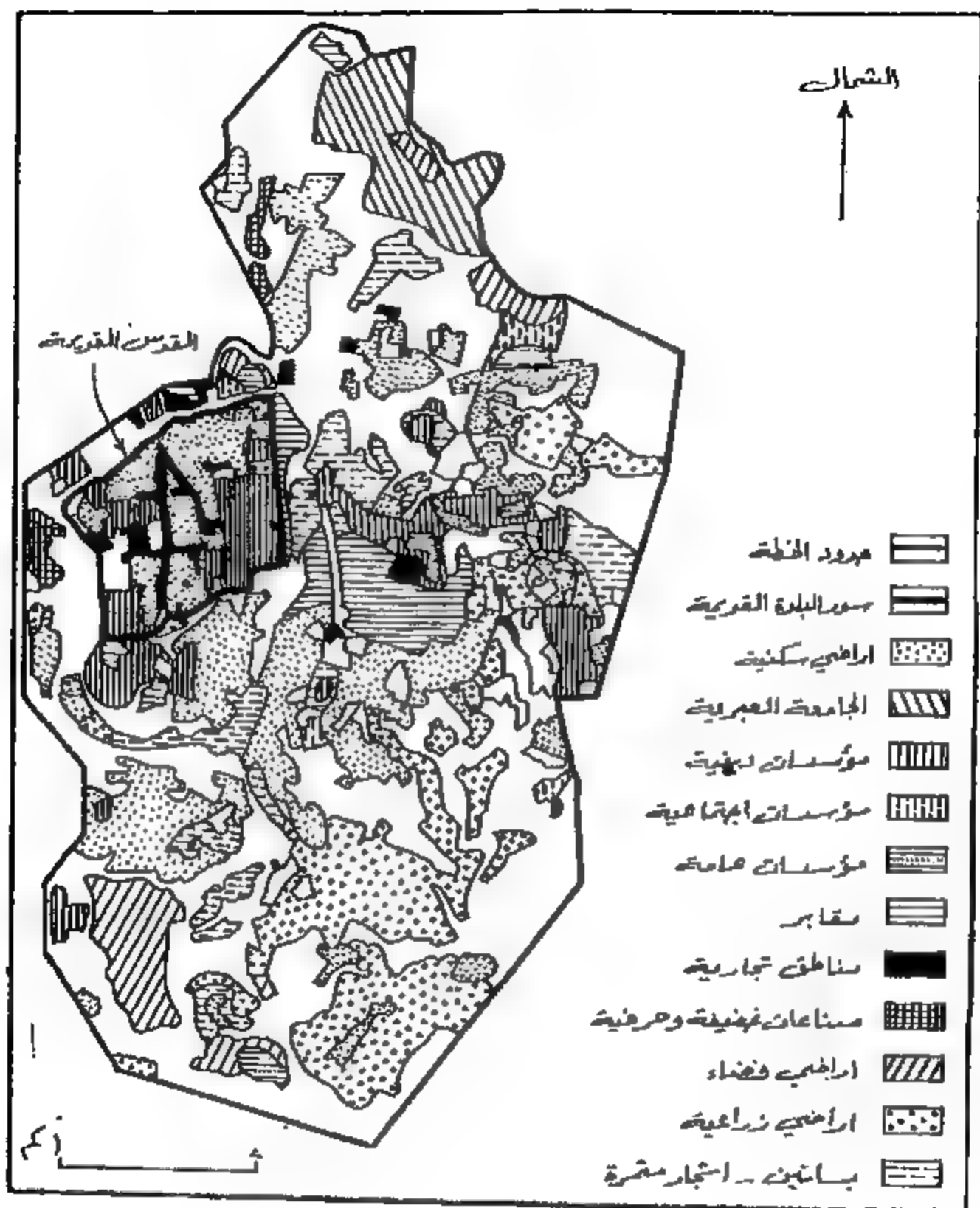
وعند مقارنة خرائط استعمالات الأرض لمدينة القدس والمناطق المجاورة لها لعام ١٩١٠ ، ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ (أشكال ١٢ ، ١٣ ، ١٤) نلاحظ التغيرات الجوهرية التي أجراها اليهود على المنطقة بعد الاحتلال سنة ١٩٤٨ ، (شكل ١١ب) ، وسنة ١٩٦٧ (شكل ١٣ وشكل ١٤) . وكيف خطط لتوسيع مساحة الأراضي المخصصة للمؤسسات الدينية اليهودية ، والاجتماعية اليهودية ، والمتنزهات الوطنية ، والابقاء على مساحات كبيرة من أراضي الفضاء بحجة الأمن ، ولتوفير الأراضي للتوسيع الاستيطاني ، وتقويض الأراضي الزراعية والرعية العربية . ويتضح من خارطة استعمالات الأراضي في خطة القدس العربية بعد احتلال عام ١٩٦٧ ، ظهور نمط طاغ من الاستعمالات السكنية التي تمثل مناطق المستوطنات والتي تمثل أطواق الاستيطان التي سبق ذكرها . وكذلك تحويل مساحات كبيرة من برية القدس إلى محميات ومتنزهات بهدف الاستيلاء على المراعي وحصار الرعاة العرب شرقي القدس ومنعهم من الرعي في المنطقة (شكل ١٣) .

ونستطيع التأكيد أن سياسة تخطيط استعمالات الأراضي التي وضعها المحتل بعد عام ١٩٦٧^٣ والتي قاموا بتنفيذها قد أسهمت في تغيير المظهر الخارجي للمدينة المقدسة والمناطق المحيطة بها ، تغييراً جذرياً وفي فترة قصيرة كخطوة أساسية لتصفية المدينة حضارياً ومن خلال تغير (المشهد) الحضاري للمنطقة .

٣ Sharon, 1973, Op. Cit., 211PP. ٢٤



شكل ١٢ - تغير استعمالات الأراضي في فجوة القدس (١٩٦٠، ١٩٩٠).



شكل - ١٤ - استعمالات الأرض في القدس الغربية بعد احتلال عام ١٩٦٧ .
 «عن شارون، ١٩٧٣»

الفصل السابع

التصفية الحضارية وتهويد المدينة المقدسة

آ - نموذج التصفية الحضارية : منظور تاريخي :

أكد منظرو الحركة الصهيونية منذ منتصف القرن الماضي ، بأن هدف الحركة الصهيونية هو احتلال القدس وجعلها عاصمة (لإسرائيل) . وكان استيطان القدس من أهم ركائز الدعوة لدى زعماء الصهيونية الذين كانوا يرددون أمام بسطاء اليهود في العالم باستمرار احد المزايم اليهودية التي تقول : «ان اقدامنا كانت تقف عند ابوابك يا قدس ، يا قدس التي بقيت موحدة»^١.

ومما يسترعي الانتباه ان القوانين العثمانية كانت تنص بصراحة ووضوح ، على منع بيع الأراضي والعقارات في القدس وضواحيها لليهود ، نظراً لأن القدس لها مكانتها المقدسة في التراث اليهودي وتستحوذ على مشاعر اليهود الدينية ، ولذلك مارست الإمبريالية البريطانية ضغطاً شديداً على الدولة العثمانية لتعديل القانون العثماني ، بحيث تصبح القدس مدينة مفتوحة لليهود ، يحق لهم استملاك الأراضي والعقارات فيها ، وقد تحقق ذلك في عام ١٨٤٩ حينما نجح مونتيوري ، في الحصول على فرمان من السلطان عبد المجيد سمح بموجبه لليهود بشراء الأراضي ، وتمكن مونتيوري عام ١٨٥٥ نتيجة تدخل بريطانيا ، من شراء أول قطعة أرض في القدس أقام عليها أول حي سكني يهودي في فلسطين - وفي القدس بالذات وعرف فيما بعد باسم «حي مونتيوري» . وكان الهدف الذي تسعى إليه بريطانيا من وراء السماح

١ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٢١

لليهود بالتملك وشراء الأراضي في فلسطين، وبخاصة في القدس، هو تشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين^(١).

ولذلك كانت بداية مواطىء القدم للصهاينة في فلسطين من القدس «قلب العقيدة»، ليمتد بعدها كالأخطبوط في أرجاء فلسطين. ومع انتهاء الحرب العربية - الاسرائيلية عام ١٩٤٨، تمكنت القوات الاسرائيلية من تحقيق الحلم الصهيوني في إقامة دولة لليهود، واحتلت بذلك ٨٤٪ من المساحة الكلية لمدينة القدس، حيث بقيت البلدة القديمة فقط بأيدي العرب. وقد ترتب على ذلك فقدان احياء عربية كاملة، وتهجير سكان القدس الفلسطينيين واحلال المهاجرين اليهود محلهم وإقامة احياء سكنية يهودية جديدة، وهدم القرى التابعة للمدينة.

واشتدت عمليات التصفية الحضارية والتهويد عقب حرب ١٩٤٨، حيث أصبح التوزيع الجغرافي للسكان اليهود والعرب في القدس على النحو الآتي: ٨٤,٢٪ يهوداً و ٢,٩٪ عرباً. وعلى منحدرات القدس كان يتواجد (١٢) مستعمرة في عام ١٩٤٨، وارتفع عدد المستعمرات بسرعة كبيرة ليصل إلى (٦٤) مستعمرة في عام ١٩٦٧^(٢). وقد رافق ذلك تدمير (٢٩) قرية من أصل (٣٣) قرية من القرى التابعة للقدس عام ١٩٤٨^(٣)، وهو مخطط يؤكد على أهمية تغيير معالم (المشهد) الحضاري والطبيعي لمدينة القدس وقراها، بالنسبة للصهيونية، وبسرعة كبيرة، لخداع الرأي العام العالمي من جهة، وتأكيد سيطرتهم على المدينة المقدسة من جهة أخرى. وأمام الوضع الحساس للمدينة، ولادراك الاسرائيليين لحق العرب في القدس الغربية (القطاع اليهودي)، اقترح موشي ديان خلال حرب ١٩٤٨ عندما كان قائداً لمنطقة القدس الغربية، ان يتم تقسيم المدينة إلى احياء يهودية وأخرى عربية، تتضمن اخلاء اسرائيل للأحياء العربية في القدس الغربية (القطمون، الكولونية الألمانية، البقعة التحتا، البقعة الفوقا)، كذلك على أن يمر خط الحدود

١ - أمين محمود عبد الله، مرجع سابق، ص ٢٣.

٢ - مهدي عبد الحادي، ١٩٧٨، المستوطنات الاسرائيلية في القدس والضفة الغربية (١٩٦٧ - ١٩٧٧)، القدس، ص ١٥١.

٣ - عبد الرحمن أبو عرفة، ١٩٨١، الاستيطان: التطبيق العملي للصهيونية، دار الجليل للنشر، ص ٧٠، ٢٠٩.

من غرب قرية المالحه. بالإضافة إلى ذلك اقترح ان تقوم اسرائيل باخلاء المواقع العسكرية في جبل صهيون ودير ابو طور ورامات راحيل والطلابية ومكور حاييم، وذلك مقابل ان يصبح الحي اليهودي في البلدة القديمة تحت اشراف دولي. وضم جبل سكوبس والمنشآت اليهودية فوقه إلى القسم الذي تحتله اسرائيل. ونظراً لعدم الاتفاق في حينه على هذا الأمر ونتيجة للإحتلال الاسرائيلي لبقية المدينة عام ١٩٦٧ أصبح موضوع الأجزاء العربية في القدس الغربية متجاهلاً حتى الآن^(١). ومن هنا نجد ان الأهداف والادوات الصهيونية تتغير عما كانت عليه في نهاية القرن التاسع عشر، فالجيوبوليتيكا الصهيونية هي نفسها: التغلغل والاحتلال والتوسع والطرد والاحلال بسكان يهود، والاستيطان المتسارع، وتغيير المعالم الحضارية والتاريخية.

راعت الصهيونية في جميع تلك المراحل نشر الدعايات الصهيونية الباطلة، والبحوث الزائفة التي تدعي بان فلسطين «أرض بلا شعب» ويجب ان تعطى إلى «شعب بلا أرض». وركزت في هذا المجال على منطقة القدس أيضاً وبالتحديد، حيث نشرت دراسات تدعي أن حوض وادي الصرار الذي يمتد بين القدس ويافا أرض غير معمورة، وتزداد معدلات القرى المهجورة كلما اتجهنا من الساحل باتجاه الجبل، وان السبب في ذلك سوء استعمال الأراضي من قبل السكان الفلسطينيين، وعدم قدرتهم على ادارة الأرض، وتسارع عمليات انجراف التربة وانخفاض القدرة الانتاجية الزراعية، مما ادى تدريجياً إلى اخلاء القرى الزراعية وهجرها. بحيث أصبحت المنطقة خالية من السكان^(٢). وللرد على هذه المقولة تؤكد بأن قرى جبل القدس وفلسطين التي وردت في دراسة هيتروت وعبد الفتاح عن الجغرافية التاريخية لفلسطين وشرق الأردن وجنوب سوريا في نهاية القرن السادس عشر كانت معمورة تماماً، وهي نفسها التي كانت معمورة عام ١٩٤٨ عند احتلال الصهاينة لفلسطين، مما يؤكد استمرار العمران الحضري والريفي في فلسطين وعدم

١ - عبد الرحمن أبو عرفة، مرجع سابق، ص ٢٢١.

٢ - Lowdermilk, W.C., 1943, Lessons from the Old World to the Americans in Land use. Smithsonian

Report for 1943, pp. 413-28.

انقطاعه^(١)، بالرغم من فقر الفلاح الفلسطيني بسبب موجات القحط والجفاف وزحف الجراد، وابعاء الضرائب (وبخاصة في أواخر العهد العثماني)، والديون الباهظة الفائدة، وظلم الحكام، وسوء معاملة المتنفذين للفلاح. ثم جاءت الحركة الصهيونية نفسها لتزيد من افقار الفلاحين الفلسطينيين عندما استولت على أراضيهم وطردتهم منها، فاضطروا للعمل اجراء ومزارعين لدى اصحاب الاملاك. واضطرب بعض الفلاحين إلى الهجرة إلى أوروبا وأمريكا بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، في الوقت الذي زادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ونجريد الفلاحين من أراضيهم^(٢).

وبالمقابل نشر الجغرافي الاسرائيلي زفي رون (Zvi Ron) من جامعة تل ابيب دراسة حديثة يؤكد فيها بان قرى جبال القدس وغيرها من جبال فلسطين، قد استخدمت طرائق متطورة لاستغلال مياه الينابيع، حيث شيدت قنوات الري بأساليب متقدمة لاستعمال مياهها في الزراعة المروية. وقد ارجع فترة ظهور هذه الطرائق واستعمالها منذ بداية القرن الاول الميلادي (أي الفترة الرومانية). ولا تزال مياه الينابيع تستغل بنفس الطريقة حتى الآن، مما يؤكد وجود التقنيات المتقدمة في فلسطين، لأغراض جمع مياه الينابيع والاستفادة منها في الزراعة المروية على سفوح الجبال حيث شيدت المصاطب الزراعية. ومن ضمن القرى التي اوردها والتي تستخدم تلك الأساليب في جبال القدس: عين كارم، ويتير، وساطاف، وارطاسي، وابو غوش، والولجة وينايع وادي فوكين، ونبع عين الخندق المعروف في عين كارم. كما اورد بيانات توضح معدلات التصريف المائي لتلك الينابيع (لتر/ ثانية)، والمعدل السنوي للتصريف (متر^٣)، واعتمد في تلك القياسات على القياسات التي اجريت عقب حرب حزيران ١٩٦٧. كما اورد اطوال الأنفاق،

١ - Hutteroth, W.D., and K. Abdallah, 1977, Historical Geography of Palestine, Transjordan and

Southern Syria in the late 16 th Century. Erlangen, 225 PP.

٢ - عبد العزيز محمد عوض، فلسطين في أواخر العهد العثماني: ملامح اجتماعية واقتصادية، مجلة كلية

الآداب، جامعة الرياض، المجلد الرابع، ص ٤٠ - ٤١.

وقنوات الري، وطرائق توزيع المياه بالحصص، وأماكن للمصاطب الزراعية التي تقوم فيها الزراعة على الري^(١).

وتؤكد هذه الدراسة من جديد زيف المقولة السابقة، وهي أن قرى جبال القدس كانت مهجورة بسبب انجراف التربة وسوء إدارة الأرض. كما تؤكد على عراقية الفلاح الفلسطيني وخبراته التراكمية في مجال الزراعة المروية والمطرية في جبال القدس وغيرها، ولذلك ليس هناك شك أيضاً في أن وادي البطوف، في شمالي فلسطين يعد من أوائل أقاليم الحضارات الزراعية القديمة. وللأسف مسخت الحقائق العلمية عن فلسطين لخدمة الجيوبوليتيكا الامبريالية الصهيونية، وهو نفس الاتجاه الذي طغى على الجغرافيين الأوروبيين والأمريكان أثناء الاستعمار الحديث. إذ قبل تكوين الدولة الصهيونية حاول الصهاينة إثبات (بالزيف) أن فلسطين «أرضاً بلا شعب»، وبعد تكوين الدولة اتجه الصهاينة إلى إثبات عراقية فلسطين «أرض الميعاد» وتقدمها التقني في المجالات المتعددة، وهو بالفعل بلد عريق ومعمور على مر العصور ويسكانه العرب وليس اليهود.

ثم جاءت حرب حزيران ١٩٦٧ لتمكن القوات الاسرائيلية من احكام قبضتها على الجزء العربي المتبقي من المدينة، ولتعاظم بعدها عمليات التصفية الحضارية وتهويد المدينة المقدسة. ففي ٧ حزيران ١٩٦٧ احتلت القوات الصهيونية القدس. وفي اليوم التالي (٨ حزيران ١٩٦٧) كان الحاخام شلومو غوزين - حاخام جيش الدفاع الاسرائيلي آنذاك - يقف على رأس شلة من الجيش بالقرب من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف أوحائط البراق (حائط المبكى)، ويقيم شعائر الصلاة اليهودية معلناً في ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقّق، فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهي عاصمتهم الأبدية، وهذا ما أكدته ساسة دولة اسرائيل لاحقاً. وفعلاً جاءت الاجراءات الامرائيلية في مدينة القدس (بل وفي فلسطين جميعها)^(٢) لتؤكد هذه المقولة.

١ Ron, Z.Y.D., 1985, Development and management of irrigation systems in mountain regions of ...

the Holy land. Trans. Inst. Brit. Geogr., 10 (2), 149-169.

٢ Brutzkus, E., 1972, The scheme for spatial distribution of 5 Million Population in Israel. Rural ...

Sociology, 302-316.

وبعد أربعة أيام فقط من احتلال المدينة المقدمة بدأ الصهاينة برنامج التصفية الحضارية وتغيير التركيب الداخلي والخارجي للمدينة . وتمثل ذلك في اجراءات اعمال الهدم والنسف لاملاك عربية داخل السور وخارجه . وفي أقل من اسبوع تم تنفيذ ما يلي :

أ - هدم ١٣٥ منزلاً في حي المغاربة يسكنها ٦٥٠ شخصاً .

ب - هدم مسجدان في حي المغاربة .

ج - هدم مصنع بلاستيك قرب حي الأرمن في داخل السور يعمل فيه ٢٠٠ عاملاً .

د - هدم ما يزيد على مئتي منزل ومخزن في المناطق المختلفة .

ثم اعلنت الحكومة الاسرائيلية ان العملة الاسرائيلية هي العملة المقبولة في المدينة المقدسة . وفي يوم الثلاثاء ٢٧/٦/١٩٦٧ ، اقر الكنيست ضم القدس العربية إلى القدس الاسرائيلية . وفي اليوم التالي نفذ وزير الداخلية قرار الكنيست اليهودي بتوسيع حدود بلدية القطاع اليهودي من القدس بحيث يشمل القدس القديمة وضواحيها التي تقع ما بين المطار وقرية قلنديا شمالاً وحدود الهدنة غرباً ، وقرى صور باهر وبيت صفافا جنوباً ، وقرى الطور والعيسوية وعناتا والرام شرقاً . وفي يوم الخميس ٢٩/٦/١٩٦٧ ابلغت الشرطة العسكرية روجي الخطيب أمين القدس (رئيس البلدية) وأعضاء المجلس البلدي أن البلدية والمجلس قد حلا ، والحق موظفوها وعملها ببلدية القدس المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . وفي هذا اليوم رفعت جميع الحواجز التي كانت تفصل بين قطاعي القدس ، وبدأ سكان القطاعين يتنقلون من جانب إلى آخر بدون الحاجة إلى تصاريح رسمية^(١) .

كذلك أصدرت الحكومة الاسرائيلية ما يسمى «أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧» وانخفضت بموجبه منطقة تنظيم القدس للقوانين والنظم الإدارية الاسرائيلية^(٢) .

يتضح مما سبق ان حرب حزيران ١٩٦٧ ، قد تمخضت عنها في الأسابيع

١ - مصطفى مراد الدباغ ، ١٩٧٦ ، مرجع سابق ، ص ٣٠٤ - ٣١٠ .

٢ - الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص ٥٢٢ .

١٣٠ الأولى تغيرات حادة على أوضاع السكان العرب في المدينة المقدسة. ففي الوقت الذي توقف فيه النمو العمراني بسبب الأحوال الاقتصادية السيئة التي أعقبت الاحتلال والاجراءات الاسرائيلية المتمثلة في مصادرة الأراضي التابعة للمواطنين العرب، ومنع اصدار رخص جديدة للبناء، فقد احتل الوضع السكاني للمدينة نتيجة لعزل القدس عن المناطق العربية المجاورة، وعزل سكان الأراضي المحتلة ككل عن الأعداد الكبيرة من السكان التي كانت تقطن خارج هذه المناطق بحثاً عن الرزق. وبالرغم من عمليات شمل العائلات التي شرع بها فيما بعد إلا أن عدد آلاف من السكان العرب وقسم كبير منهم من القدس لم يتمكن حتى الآن من الإقامة في المدينة (يقدر عددهم بثمانية آلاف مواطن). كذلك فإن عمليات الإرهاب والضغط النفسي التي رافقت الاحتلال الصهيوني أسهمت في تخفيض عدد السكان منذ الأيام الأولى من الاحتلال^(١).

وفي ١٩٨٠/٧/٣٠، وبعد ثلاثة عشر عاماً من اجراءات التصفية الحضارية والضم والتهويد، أقرت الكنيست الاسرائيلية ما سمي «القانون الأساسي للقدس الموحدة» الذي نصّ على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة (لاسرائيل) ومقرّاً لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا. ويدعو القانون إلى اتخاذ الاجراءات التي من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون^(٢).

ب - ابعاد التصفية الحضارية :

ويمكن ايجاز اجراءات التصفية الحضارية وتهويد القدس فيما يلي :

- ١ - تغيير التركيب الداخلي لمدينة القدس العربية مع التركيز على المدينة القديمة، وتغيير هوامش المدينة. ووضع خطة متكاملة عام ١٩٧٢ تحمل اسم وخطة التنمية الخاصة لاعادة تخطيطها بهدف تغيير معالمها الحضارية. وقد اخذ بعين الاعتبار عند وضع الخطة العوامل الطبوغرافية والديموغرافية والمعمارية

١ - عبد الرحمن أبو عرقه، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

٢ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٢٢.

والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية . موضع اسقاطات تخطيطية مستقبلية حتى سنة ٢٠٠٠ ، لتغير معالم مدينة القدس وهوامشها تماماً ، وتخطيط اماكن الحفريات الأثرية^١ اهنة والمستقبلية بدعوة تدعيم التاريخ المزيف لليهود^(٢).

وفي الحقيقة بدأ التغير في الأسبوع الأول من احتلال القدس العربية عام ١٩٦٧ . وتمثل ذلك بهدم « بي المغاربة » واجلاء سكانه ، واجلاء قسم كبير من سكان « حبر الشرف » وعزل احياء عربية كاملة عن القدس نتيجة لحدود البلدية الجديدة . وقد ادت هذه الاجراءات الفورية إلى مصادرة نحو ٢٠٪ من مساحة البلدة القديمة ، وطرد أكثر من ٧٥٠٠ فلسطيني خارج اسوار المدينة ، ومصادرة ٦٣٠ عقاراً ، وهدم ١٣٥ عقاراً . وقد ادى تعيين الحدود الجائر إلى جعل عدة آلاف من المواطنين الفلسطينيين خارج حدود البلدية . واختل بذلك الميزان الديموغرافي وأصبح (٣ إلى ١) لصالح اليهود ضمن حدود البلدية^(٣).

وباختبار التخطيط قصير الأمد والتخطيط بعيد المدى الذي وضعه الصهاينة ، يمكن ايجاز اهداف الاجراءات الصهيونية بالنقاط التالية :

أ - تركيز اغلبيّة سكّانية يهودية في القدس ، بحيث تكون العامل الحاسم في أي اتفاق مستقبلي حول المدينة .

ب - خلق حقائقي مكانية تمنع تقسيم المدينة مجدداً .

ج - محاصرة القدس العربية بما فيها البلدة القديمة استراتيجياً ، وذلك بتوطين السكان اليهود بكثافة عالية تلغي عملياً أي أهمية لاحتمال إعادة تقسيم المدينة ، او تسليم القسم الشرقي منها لسلطة أخرى .

د - عزل القدس العربية عن المراكز العمرانية الحضرية والريفية الأخرى في الضفة الغربية ، من خلال تواجد تجمعات سكّانية يهودية ضخمة .

هـ - دفع المواطنين الفلسطينيين إلى اقامة المساكن خارج الحدود البلدية .

١ - on, A., 1973, Planning Jerusalem: The Old City and Its Environs, Weldonfeld and Nicolson, Jerusalem, 311 PP.

٢ - عبد الرحمن بن عرفة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

ولتتفihnه هذه الأهداف شرعت السلطات الصهيونية بعملية مزدوجة ارتكزت على السيطرة الاجرائية على أراضي المواطنين الفلسطينيين واستهدفت اقامة تجمعات استيطانية ضخمة مستفيدة من الوضع الطوبوغرافي للأراضي المحيطة بالمدينة، وكذلك منع العرب من بناء المساكن بتضييق مساحة الرقعة المسموح بالبناء فوقها، وتعقيد اجراءات الحصول على الرخص للبناء ومنعها في أغلب الأحوال^(١).

١ - تهويد المرافق والخدمات العامة : وذلك بالغاء الادارات العربية ونقل قسم منها إلى خارج مدينة القدس، وربط شبكتي المياه والهاتف بالقدس الغربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . والحاق الدوائر العربية بالدوائر الاسرائيلية مثل عمال وموظفي بلدية القدس العربية . ومن تشريع يفرض على اصحاب المهن العرب الالتحاق بالمؤسسات الاسرائيلية حتى يسمح لهم بمزاولة مهنتهم .

١ - تركيز المؤسسات السياسية والادارية الصهيونية في مدينة القدس العربية وذلك بنقل عدد من الوزارات والدوائر الرسمية الاسرائيلية إلى القدس العربية . ومنها محكمة العدل العليا، ووزارة العدل، ومقر رئاسة الشرطة، ومكاتب المستدروت، ووزارة الامكان، ومكاتب المؤتمر الصهيوني، ومقر رئاسة الوزراء . كما طلبت الحكومة الاسرائيلية من الدول الأجنبية نقل سفاراتها إلى القدس المحتلة، وقد نفذت بعض الدول الامبريالية هذا الطلب .

٤ - طمس الثقافة الوطنية وتهويد التعليم والثقافة . وتمثل ذلك بالغاء مناهج التعليم العربية في المدارس الحكومية بمراحلها الثلاث، وتطبيق منهاج التعليم الاسرائيلي . والاستيلاء على متحف الآثار الفلسطيني، وحظر تداول الآلاف من الكتب الثقافية والعلمية العربية والاسلامية، ومراقبة النشر والصحافة مراقبة صارمة، واطلاق الاسماء اليهودية على الشوارع والساحات في القدس العربية^(٢).

٥ - تهويد القضاء بنقل مقر محكمة الاستئناف من القدس إلى رام الله . وفك ارتباط

١ - عبد الرحمن أبو عرفة، مرجع سابق، ص ٢٢٣ .

٢ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٥٢٢ .

القضاء النظامي في مدينة القدس عن الضفة الغربية، والحقاق مواطني القدس بالمحكمة الشرعية في مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨. وتطبيق القوانين الاسرائيلية الجزائية والضريبية على مواطني القدس العربية وخنصاعهم للقضاء الاسرائيلي.

٦ - تخطيط البنية الاقتصادية الوطنية للقدس. وعزل القدس جبركياً واقتصادياً وعمالة عن الضفة الغربية، وخنصاع المرافق الاقتصادية والتجارية العربية لنظم الضرائب الاسرائيلية، ولاسيما ضريبة القيمة المضافة تمهيداً لتصفيتها والاستيلاء على شركة كهرباء القدس وتصفيتها باعتبارها المرفق الاقتصادي العربي الأكثر أهمية في القدس.

٧ - محاولات تدمير المقدسات والتراث الديني الإسلامي والمسيحي في القدس القديمة. وقد تمثل ذلك في القيام بعدد من الاجراءات اللا أخلاقية ضد الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية بهدف تدميرها وتشويه الطابع الحضاري لمدينة القدس وإزالة الأماكن المقدسة، والقضاء على ما تمثله هذه الأماكن من ارتباطات اسلامية ومسيحية بالمدينة المقدسة. ومن الأمثلة التي يمكن ايرادها في هذا المجال:

أ - اقامة الحفريات حول المسجد الأقصى المبارك ونحته بحجة العثور على الهيكل الذي تدعي (اسرائيل) وجوده في منطقة المسجد الأقصى. وقد بدأت الحفريات عقب حرب ١٩٦٧ مباشرة ولا تزال مستمرة حتى الآن. وقد مرت هذه الحفريات بمراحل ادت إلى هدم وتصديق الكثير من المباني والعقارات الاسلامية المجاورة للمسجد الأقصى.

ب - احراق المسجد الأقصى المسدبر من قبل سلطات الاحتلال في ١٩٦٩/٨/٢١، وتدمير محاولات نسفه كما حدث في مطلع عام ١٩٨٠ على يد العنصري الحاخام مثير كاهانا، واطلاق النار على المصلين عدة مرات كما حصل عام ١٩٨٢^(١).

ج - الاعتداءات على الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية، ومحاولة اقامة

١ - المركز الجغرافي الاردني، ١٩٨٤، قضية فلسطين في خرائط، ص ٣٢.

الصلوات في ساحة المسجد الأقصى، وسرقة بعض محتويات كنيسة القيامة، واستملاك الأراضي التابعة لبعض الأديرة المسيحية في القدس، والاعتداء على المقابر الإسلامية وتحطيمها كما حصل في مقبرة ماعلا.



الحفريات تحت المسجد الأقصى



حرق الأقصى
لوحة لعبد القادر ارناؤوط

ولقد عاش أبناء الديانات السماوية الثلاث في مدينة القدس منذ مئات السنين دون تعصب أو اعتداء على حرمة الأماكن المقدسة لكل ديانة، ابتداء من الفتحين العمري والصلاحى للمدينة المقدسة وحتى حرب حزيران ١٩٦٧. ولا تزال عمليات التخطيط الاسرائيلي ضد المسجد الأقصى المبارك، مع استمرار محاولات تطويقه والحرم الشريف من الخارج بمصادرة الأراضي المحيطة به، بحجة إقامة متزهات وأماكن ترفيهية عليها، تنفيذا للخطة التي وضعت للمدينة عام ١٩٧٢. كذلك تتوالى الدعوات اليهودية لابلحة الصلاة وإقامة كنيس يهودية داخل

الحرم الشريف^(١). وتخطط بلدية القدس لمصادرة أرض وقف الامام الملاصقة للمسجد الأقصى المبارك وللقسم الجنوبي من الحرم القدسي الشريف. كما باشرت سلطات الاحتلال في منتصف عام ١٩٨٥ بإنشاء متزه اسرائيلي حول اسوار القدس يحدد باختراق المقابر الاسلامية الواقعة شرقي السور. من جهة اخرى تقوم تلك السلطات بتعزيز الملكية الاسرائيلية جنوبي المسجد الأقصى المبارك، بإنشاء بستان على أرض عربية كانت مسرحاً للحفريات غير الشرعية فوق نبع سلوان.

وقد اثار تخطيطات سلطات الاحتلال بشأن طمس الحضارة الاسلامية للمدينة المقدسة، واستمرار اعمال الحفريات في القدس علماء الآثار والمعمارين الاجانب كالانجليز والايطاليين. ومن هؤلاء نذكر عالمة الآثار البريطانية كثلين كنيون، مديرة مدرسة الآثار البريطانية في القدس، وعميدة كلية الآثار في جامعة اكسفورد سابقاً، إذ قامت بزيارة مدينة القدس خلال شهر حزيران ١٩٧٢، وزارت مواقع الحفريات فيها، وراعتها ما شاهدته من تعمد اسرائيلي من استعمال الحفريات لا للكشف عن التاريخ كما يدعون، بل لطمس الحضارة الاسلامية وتاريخ العرب والاسلام في المدينة المقدسة. واثرت ذلك قامت بإرسال رسالة سريعة إلى جريدة التايمز اللندنية نشرتها الجريدة لها في عددها الصادر بتاريخ ١٧/٨/١٩٧٢، جاء فيها:

«كتب في عدة صحف ان السلطات الاسرائيلية قامت بحفريات بجانب السور الغربي للحرم الشريف في القدس. ولقد عدت لتوي من القدس واستطيع التأكيد بان التقارير لم تبالغ فيما كتب. وهناك دلائل تؤكد على استمرار الحفريات على طول سور الحرم حيث تنتشر اروع الابنية الاسلامية التي بنيت في القرون الوسطى خارج القاهرة. ان ائتلاف هذه الابنية يعتبر جريمة كبرى»^(٢).

١ - روجي الخطيب، ١٩٨٥، من زوايا الصحف الاسرائيلية، مجلة القدس الشريف، العدد الثامن، ص ٥٦-٥٧.

كامل الميلي، ١٩٨٦، الاطماع الصهيونية في الحرم القدسي الشريف منذ العهد العثماني وحتى اليوم، جريدة الشعب، ١٦ كانون الثاني.

٢ - روجي الخطيب، ١٩٨٥، للمليك في القدس: حليتهم ووعايتهم لها وحضارتهم فيها، مجلة القدس الشريف، العدد الثامن، ص ٦٨-٦٩.

واوعزت الاستاذ كتيون إلى مساعدتها في مدرسة الآثار البريطانية بالقدس، بتصوير ومسح الممتلكات الاسلامية القائمة، وجمع المعلومات التاريخية عن كل منها. والمباشرة بطبعها واعدادها للتوزيع على نطاق واسع. واستعانت بالمدرسة المذكورة بدائرة الأوقاف الاسلامية في القدس. وتمكنت بعدها من اصدار النشرات التالية:

أ - «بعض الأبواب المملوكية في القدس»، نشر في المجلد الثالث من مجلة المدرسة عام ١٩٧١.

ب - «طريق باب الحديد» وهو الباب الذي يثوي في احد عقاراته جثمان الملك حسين بن علي. نشر في المجلد الخامس من المجلة نفسها عام ١٩٧٣.

ج - «المكتبة الخالدية»، نشر في المجلد السادس من المجلة ذاتها عام ١٩٧٤.

د - «استمرار مسح مركب رباط الكرد والمدرسة الجوهرية في باب الحديد» نشر في المجلد السادس أيضاً.

هـ - «تربة الأمير الكيلاني» نشر في المجلد السابع من المجلة سنة ١٩٧٥.

و - «المهندسة المعمارية في القدس الاسلامية» وقد عرض في معرض المدرسة في المهرجان الاسلامي الذي انعقد في لندن عام ١٩٧٦.

٨ - استمرار مصادرة الأراضي:

منذ ان وقع الاحتلال عام ١٩٦٧، قامت السلطات الاسرائيلية مباشرة بمصادرة الأراضي سواء في القدس القديمة، أو في المناطق المحيطة بالقدس العربية وهذه المناطق هي: منطقة الحي اليهودي وحي المغاربة في القدس القديمة، منطقة جبل سكوبس، أراضي قرية بيت صفا وشرفات وبيت جالا، أراضي منطقة النبي يعقوب، أراضي منطقة الشيخ جراح، أراضي منطقة شعفاط، أراضي قرية صور باهر، أراضي منطقة قلندية.

واستمرت عمليات مصادرة الأراضي في مراحل لاحقة. وتمثل ذلك في زيادة المساحات المصادرة في منطقة بيت جالا، والنبي يعقوب، وعناتا، والعيزرية، والتي صموييل. وسن الاسرائيليون قوانين بمنع البناء في مساحات واسعة شملت مختلف مناطق المدينة، وأعلن عن مناطق اخرى كمساحات خضراء يمنع البناء بها. وقد

ترب على هذه الاجراءات مصادرة الاراضي ومنع البناء في جميع الاراضي العربية التي كانت تشكل الاحتياطي لتوسع المناطق السكنية العربية في ضوء الزيادة السكانية المحلية. ولم يتبق لهؤلاء المواطنين سوى بعض قطع الاراضي الصغيرة المنتشرة ضمن المناطق السكنية المقامة عام ١٩٦٧. وقد بلغت مساحة الاراضي المصادرة (٥٦٠٠٠) دونماً من أصل (٦٣٠٠٠) دونماً هي مساحة القدس العربية حسب الحدود البلدية التي خططت عقب عام ١٩٦٧. اما في القدس القديمة فمن مجموع ٤٠ دونماً مملوكة لليهود قبل عام ١٩٤٨ قامت سلطات الاحتلال بمصادرة ٢٥٠ دونماً تمثل نحو ٢٦٪ من مجموع مساحة البلدة القديمة. يضاف إليها ٣٠ دونماً من الاحياء الاسلامية الملاصقة للمسجد الأقصى ومن مجموع الـ ٧٠٠٠ دونم التي لم تصادر يمكن تصور المساحة الباقية للعرب بعد اسقاط المساحات الخضراء والحدائق والمرافق العامة الأخرى، علماً بأن المساحة المخصصة للسكن في شطري القدس حسب مشروع المخطط الهيكلي هي (٤١٠٠٠) دونماً تحتل المباني السكنية اليهودية الجزء الأكبر منها^(١).

وإذا ما أخذ بعين الاعتبار جميع الاراضي المصادرة في القدس والمناطق المحيطة بها، نجد انها قد بلغت (حتى منتصف عام ١٩٧٩) ٩٧٨٦٤ دونماً. كما بلغ عدد المستوطنات في القدس والمناطق المجاورة لها سبع عشرة مستوطنة. وعدد المستوطنين (٧٦٠٠٠) يهودياً. وبلغ عدد الوحدات السكنية التي تم بنائها (٢٧١١٨) وحدة سكنية، والعمل جار لانجاز بناء (٤٥٠٠٠) وحدة سكنية^(٢). وبعد هذا الوضع تنفيذاً للمشروع الصهيوني الخبسي والهادف إلى تخطيط التوزيع المكاني لخمسة ملايين يودي في الاراضي المحتلة، مع التركيز على الاسراع بزيادة عدد سكان مدينة القدس الكبرى ووضع اسقاطات لعدد سكانها عام ١٩٩٢ م. ويبين الجدول (١٣) تطور عدد سكان مدينة القدس الكبرى منذ عام ١٩٦١ وحتى عام ١٩٩٢، حيث تتضح مخططات السلطات الصهيونية في الاسراع بتهويد المدينة ديموغرافياً^(٣).

١ - عبد الرحمن أبو عرق، مرجع سابق، ص ٢٢٣ - ٢٢٥.

٢ - Abu Ayyash, A. L1981, Israel planning policy in the occupied territories, Jour. of Palestine Studies, Vol. XI (1), P. 117.

٣ - Brutkus, 1972, Op. Cit., p. 313.

جدول ١٣ - تطور عدد سكان مدينة القدس الكبرى (بالآلاف)

١٩٦١	كانون ٢	كانون ٢	١٩٧٠	١٩٨١	١٩٩٢
١٦٦,٣	١٩١,٧	٣١٤,١	٤٥٠,٠	٥٦٠,٠	
٧,٧	٧,٤	٩,٧	١١,٢	١١,٢	
من عدد سكان فلسطين	عن (Brutzkus, 1972)				

وبمقارنة الدراسات الأنفة الذكر مع تصريحات الزعماء الرسميين الاسرائيليين نجد ان الرسميين الاسرائيليين يطمحون إلى أكثر من ذلك، وهو اسكان مليون يهودي في القدس الكبرى، في غضون العقود الثلاثة القادمة للحفاظ على أغلبية يهودية باستمرار. ولتأكيد ذلك، ارتفع عدد اليهود الذين يقطنون القدس عام ١٩٧٦ إلى (٢٥٦٠٠٠)، بالمقارنة مع (١٩٦٠٠٠) يهودي عام ١٩٦٧. بينما ارتفع عدد العرب من (٦٦٠٠٠) نسمة إلى (٩٦٠٠٠) نسمة خلال الفترة نفسها. ويلاحظ ان عدد السكان العرب المسيحيين بلغ فقط (١١٠٠٠) نسمة مقابل (٢٩٣٥٠) نسمة عام ١٩٤٥. ولأجل تهويد المدينة ديموغرافياً وبسرعة، دعا وزير الاسكان الاسرائيلي في آب ١٩٧٧ إلى تحقيق زيادة سكانية يهودية بنسبة ٣,٧٪ سنوياً للحفاظ على أغلبية يهودية بنسبة ٧٣٪، وبالرغم من التزايد الطبيعي العالي للسكان العرب في المدينة، فإن نسبة تزايدهم انخفضت من ٤,٤٪ عام ١٩٧٦ إلى ٣,٤٪ عام ١٩٧٧ ولا تزال بانخفاض مستمر نظراً لتزايد تدهور الأوضاع الاقتصادية وهجرة أعداد كبيرة من السكان^(١).

٩ - التخطيط المستمر لاختلاء السكان العرب وعرقلة النمو العمراني في المناطق العربية:

قامت السلطات الاسرائيلية مباشرة بعد الاحتلال بعمليات تهجير للمواطنين

١ - عبد الرحمن أبو عروقة، مرجع سابق، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

العرب من خلال تدمير ومسح بعض الأحياء كحي المغاربة وحي الشرف. وكذلك من خلال شركة «اعمار الحي اليهودي» الحكومية. وقد اخذت هذه الشركة على عاتقها عملية تهجير السكان العرب باتباع جميع أساليب الترغيب والترهيب، التي وصلت إلى حد ضرب اسامات المباني وتصديع جدرانها، وبالتنسيق مع بلدية القدس اليهودية. وقامت البلدية بتوجيه اذاعات رسمية إلى السكان العرب باخلاء مساكنهم بحجة «السلامة العامة». وبالرغم من رفض السكان العرب اخلاء مساكنهم فقد اجبرت البلدية وبالقوة اخلاء الكثير من هذه المساكن، التي اعيد تصليحها فيها بعد، وسكنت من قبل سكان يهود. ولم يفسح المجال امام المواطنين العرب الرجوع الى المساكن التي تركوها أو حتى شراءها ثانية.

من جهة أخرى قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة اراضي المواطنين العرب في مناطق واد الجوز والعيزرية، لاقامة مساكن بحجة تطوير المناطق السكنية العربية. وقامت ببيع الأرض وما عليها لمواطني من غير ملاك الأراضي مستغلة ذلك الأمر لأغراض الدعاية.

إضافة لما سبق، فرضت بلدية القدس اليهودية اجراءات معقدة لمنح رخص البناء للمواطنين العرب، وكذلك رفض الترخيص في أغلب الأحوال، وفرض رسوم باهظة على رخص البناء، بهدف عرقلة النمو العمراني أو إيقافه في الأحياء السكنية العربية. وقد دفع هذا الوضع المواطنين العرب إلى بناء بعض المساكن بدون ترخيص بعد ان اكتظت مساكنهم. واتهمت الصحف الاسرائيلية، واعضاء البلدية من حزب الليكود بأن العرب يقيمون مستوطنات محصنة دفاعية. وأشاروا إلى ٧٠٥ مساكن تمكن العرب من بنائها في القدس فيما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٤، أي بمعدل يقرب من مئة مسكن سنوياً، وقد طالوا بهدم تلك المساكن بحجة انها غير قانونية. وبالرغم من تزايد الطلب على المساكن لمواجهة النمو السكاني الطبيعي للمواطنين العرب، إلا ان السلطات الاسرائيلية تمنع بناء أي مسكن في المنطقة^(١).

١٠ - استمرار التخطيط الاستيطاني وتنفيذ مشاريعه :

يختلف النموذج الاستيطاني في المدينة المقدسة عن سائر الاستيطان في

١ - عبد الرحمن أبو عرق، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

الأراضي المحتلة، نظراً لأهمية القدس التاريخية والدينية والحضارية للمسلمين والمسيحيين واليهود. ولذلك بدأت مشاريع الاستيطان والتخطيط لها مباشرة بعد احتلال القدس العربية في حرب حزيران ١٩٦٧. وقد بدأ النموذج الاستيطاني في القدس بمرحلتين هما:

أ - مرحلة التمهيد للاستيطان والذي بدأ بعد أربعة أيام من احتلالها (كما ذكرنا آنفاً) وتمثل ذلك في هدم أحياء سكنية عربية بكاملها وتهجير سكانها، ومصادرة معظم مساحات الأراضي الخلاء في المناطق المتطورة من القدس وهوامشها. وقد وضعت خطة خبيثة لإعادة استعمالات الأراضي تلك تتفق وعمليات التصفية الحضارية والتهويد. كما أوقفت سلطات الاحتلال النمو العمراني في المناطق المتطورة من المدينة سواء قلب المدينة القديم، أو المناطق المحيطة بها. وقام المخططون الصهاينة بوضع خطة طبيعية (Physical Plan) تهدف إلى تغيير معالم المدينة الحضارية بناء على معطيات الواقع البيئي والسياسي. وكذلك تغيير استعمالات الأراضي السائدة وتخطيط استعمالات الأراضي الخلاء في المدينة وهوامشها، وتحديد المواضع الطبوغرافية اللازمة لتنفيذ الاستيطان المكثف بقرى المختلفة ابتداء بالأحياء السكنية، والمستوطنات الصغيرة، وانتهاء بالقرى والمدن الاستيطانية بوظائفها المختلفة.

ب - تخطيط شبكة الاستيطان بمستوياتها الأنفة الذكر، بحيث تخدم أهداف التغلغل في أحياء المدينة المقدسة، وبين القرى المحيطة بها، وتطويرها وعزلها عن مدن الضفة الغربية الأخرى، مع مزاعة التغيير السريع في المدينة وهوامشها، وإدخال طراز معماري مصمم وفق أسس الهندسة المعمارية العسكرية، حيث تشكل المباني وبناياتها واجهاتها المطلّة على الأحياء والمناطق العربية ليس سوراً محصناً فحسب، بل قلاعاً يمكن استعملها لأغراض الدفاع والهجوم.

وتمشياً مع أهداف الاستيطان وهو تغيير معالم (المشهد) الطبيعي والحضاري للمدينة وتجزئتها والاستيطان والمستوطني، فقد تم تنفيذه وفق نظام مدرّس من العمليات السياسية المنسقة. كما أخذ بعين الاعتبار في السياسة الاستيطانية التأثيرات والتدخلات الداخلية والخارجية. ويتضح مما سبق بأن سياسة الاستيطان

تقوم على أساس معرفة مدخلات البيئة المحلية للمدينة المقدسة وهوامشها بدقة، وتحديد العناصر البيئية التي يجب تغييرها ^{١١} "جغرافياً". ويشارك في صياغة قرارات الاستيطان النظام السياسي والأحزاب السياسية المختلفة والمؤسسات الصهيونية المحلية والعالمية، والأمبريالية (من خلال الدعم المادي والعسكري والبشري)، والجماهير الصهيونية الحاكمة، ومؤسسات الجيش الاسرائيلي. وتؤكد التغيرات الجذرية في (المشهد) الطبيعي والحضاري التي أحدثتها سلطات الاحتلال في المدينة المقدسة، تعاضم عملية التصفية الحضارية وتهويد المدينة ومحيطها.

ويتم تخطيط الاستيطان وفق نظام (كرستيلر) المعروف والذي يقوم على اساس انشاء سلسلة من المستوطنات ذات الرتب الوظيفية المختلفة، تربط بينها علاقات وظيفية ايضاً. إذ تقام أربع إلى ست مستوطنات صغيرة حول مستوطنة من رتبة أعلى بشكل بلدة أو مركز ريفي. ويقوم هذا المركز بتزويد المستوطنات ذات الرتبة الأدنى بالخدمات الضرورية. وتحيط أربعة أو خمسة مراكز ريفية (أو أكثر) بمستوطنة أكبر وذات رتبة أعلى وتكون مدينة في الغالب. وتقوم المدينة بتقديم خدمات من رتبة أعلى للمراكز الريفية والمستوطنات التوابع (شكل ١٤). وتجدر الإشارة إلى ان شبكة الاستيطان في مدينة القدس وهوامشها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالترويل الاسرائيلي المتمثل بالقدس المحتلة.

١١ - الاجراءات الاستيطانية^(١٢):

أولاً - الاستيطان في البلدة القديمة: اخذت السلطات الاسرائيلية فور الانتهاء من عمليات المصادرة والحكم داخل البلدة القديمة تقيماً مجتمعاً أوحياً سكنياً يهودياً فيها. وقد تم حتى عام ١٩٨١ إقامة وترميم ٤٦٨ وحدة سكنية يقدر عدد سكانها بحوالي ١,٨٠٠ نسمة، وبناء سوق تجارية وكنيس للصلاة، أقيمت

١ - Harris, W.W., 1980, Taking Root: Jewish Settlement in the West Bank, the Golan and Gaza-Sinai

1967- 1980. Research studies Press, New York, 223 PP.

٢ - الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٢٢٣ - ٢٢٧.

كلها على انقراض أربعة احياء عربية هي حي الشرف وحي الباشورة وحي المغاربة وباب السلسلة .

وقد جاءت عمليات الاستيطان العاجلة داخل البلدة القديمة مصاحبة لاجراءات التصفية الحضارية والتهويد الأخرى، وعلى رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الاسلامية، والشروع في عمليات الحفر تحت الحائطين الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى، وترحيل الأسر العربية من المناطق المجاورة للحي اليهودي، واصدار مختلف التعليمات والقوانين لتجريد العرب من املاكهم، ومصادرة المزيد من الأراضي والعقارات في البلدة القديمة وخارج الاسوار وفي نطاق حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ .

ثانياً .. الاستيطان في حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ : أما المرحلة الثانية من مراحل استيطان المدينة المقدسة فقد بدأت خلال عام ١٩٦٨ بالشروع في إقامة حزام من الأحياء السكنية اليهودية يحيط بالقدس من الناحيتين الشمالية والجنوبية . وقد تم حتى الآن إقامة تسعة من هذه الأحياء، أحاطت القدس العربية بجدران من القلاع الاسمنتية الصماء التي شوهت طابع المدينة الحضاري ومعالمها الجمالية، الأمر الذي حدا باليونسكو إلى تشكيل لجنة هندسية لدراسة هذه المسألة، ومطالبة (اسرائيل) بالتوقف عن تشويه طابع المدينة الحضاري بهذه السلاسل من القلاع الاسمنتية .

وفيما يلي الأحياء السكنية التسعة التي تمت إقامتها حتى ١٩٨١ (جدول ١٤) في حدود امانة القدس وعلى مشارف البلدة القديمة (شكل ١٤) :

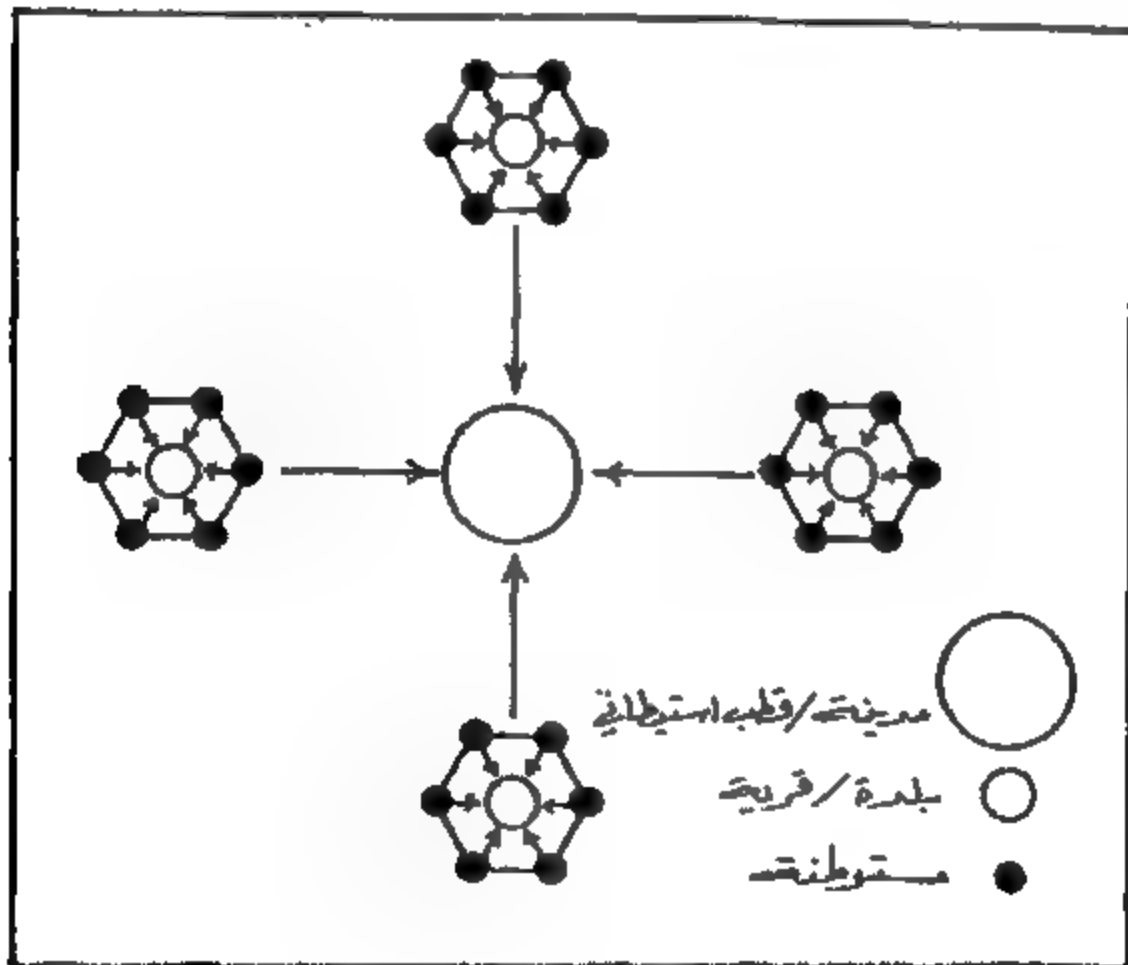
١ - حي رامات اشكول بديء باقامته عام ١٩٦٨ على أراض صودرت من المواطنين العرب وتبلغ مساحتها ٦٠٠ دونماً . ويقع في منطقة الشيخ جراح شمالي غرب القدس ويضم (٢٠٢٠٠) وحدة سكنية . ويقدر عدد سكان هذا الحي بحوالي ٧,٥٠٠ نسمة .

٢ - حي معلومات دفنا : ويعد امتداداً لحي رامات اشكول من الناحية الشمالية . وقد أقيم عام ١٩٦٨ على أراض في الشيخ جراح تعود ملكيتها لعدد من الأسر العربية ووقف امينة الخالدي وعارف العارف، وتقدر مساحة الأراضي بـ ٢٧٠

دونياً. وقد أقيم في هذا الحي ٢,٤٠٠ وحدة سكنية، ويقدر عدد سكانه بحوالي ٤,٥٠٠ نسمة.

٣- حي سانهلريا: وهذا الحي امتداد آخر لحي رامات اشكول. وقد بدىء بإنشائه عام ١٩٧٣ على أراض عربية مصادرة، وأقيم فيه ١,٠٠٠ وحدة سكنية يقدر عدد سكانها بحوالي ٣,٢٠٠ نسمة.

٤- حي جبعات همفتار: وهو أيضاً امتداد آخر لحي رامات اشكول من الناحية الشمالية الغربية. فقد أقيم في منطقة موقع تل الذخيرة على أراض عربية مصادرة ومستملكة، وتم فيه إنشاء ٥٠٠ وحدة سكنية. ويقدر عدد سكانه بحوالي ١,٥٠٠ نسمة.



شكل - ١٥ - تطبيق نظام كريستلر في تخطيط شبكة الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

جدول ١٤ - الأحياء السكنية الاسرائيلية التي أقيمت في القدس العربية وضواحيها.

١٩٧٦ - ١٩٨٠

عدد المستوطنين	الوحدات السكنية	تاريخ الانشاء	المساحة (بالدونم)	الموقع	اسم الحي
١٨,٨٠٠	٤٦٨	١٩٦٨	١١٦	داخل البلدة القديمة	الحي اليهودي
٧,٨٢٠	٢,٣٤٢	١٩٧٣	٢٠,٠٠٠	أراضي صوب باهر	تل بيوت
٧,٥٠٠	٢,٢٠٠	١٩٦٨	٦٠٠	قرب الشيخ جرح	رامات اشكول
٤,٥٠٠	٤,٢٠٠	١٩٦٨	٦٠٠	امتداد لرامات اشكول	معلوت دفنا
١٢,٥٠٠	٥,٠٠٠	١٩٦٩	١٥,٠٠٠	شرق جبل المشرق (سكوس)	الثلة الفرنسية
١,٥٠٠	٥٠٠	١٩٧٧	-	تل اللخيرة	جعبات همفتار
٢,٠٠٠	٥٠٠	١٩٧٤	٣,٦٥٠	أراضي عناتا - شحفاط	تل عناتوت
١٢,٠٠٠	٤,٠٠٠	١٩٧٣	٣٠,٠٠٠	أراضي بيت جنيثا	النبي يعقوب
٣,٢٠٠	١,٠٠٠	١٩٧٣	-	طريق القدس من الجهة الشرقية	سانديسما
٩	١٠٩	١٩٦٩	-	-	الجامعة العربية
٥٢,٨١٠	١٨,٥١٩		٦٩,٦٣٦		المجموع

٥ - حي النبي يعقوب : وهو حي سكني ونواة المستعمرة، وقد بدأ بإقامته عام ١٩٧٣ على الطريق بين القدس ورام الله في الأراضي التي تقع الى الشمال الشرقي من بيت حنينا.

وقد رت مساحة الأراضي العربية التي صودرت لإقامته بحوالي ٣٠ ألف دونم . وقد تم حتى ١٩٨١ إنشاء (٤,٠٠٠) وحدة سكنية، والعمل جار لإقامة (١,٠٠٠) وحدة سكنية أخرى يسكنها في المستقبل ١٧ ألف نسمة . ويقدر عدد السكان اليهود فيه الآن بحوالي ١٢,٠٠٠ نسمة .

٦ - حي التلة الفرنسية، أوحى شاييرا : بدأ هذا الحي عام ١٩٦٩ شرقي جبل المشرف (سكوس) على طريق القدس - رام الله . وتبلغ مساحة الأراضي العربية التي صودرت لإقامته ١٥ ألف دونم تعود ملكيتها لمواطنين عرباً وللدولة الأردنية ولدهر اللاتين . وقد أنشئ في هذا الحي ٥,٠٠٠ وحدة سكنية يزيد عدد سكانها على ١٢,٥٠٠ نسمة .

٧ - حي الجامعة العبرية : بدأ بإقامته عام ١٩٦٩ على جبل المشرف (سكوس) لتوسيع الجامعة العبرية القديمة ومشفاها . وقد أقيم فيه سكن للأساتذة والطلاب ومكاتب جديدة وقاعة للمحاضرات ومشفى للجامعة . وتستوعب الأبنية الجديدة ٣١,٥٠٠ طالباً وموظفاً جامعياً . ويبلغ عدد الوحدات السكنية التي أقيمت فيه ١٠٩ وحدات . وقد أقيمت هذه الأبنية على أراض تقع ضمن المساحات العربية المصادرة على جبل المشرف (سكوس) لإقامة حي شاييرا .

٨ - حي تل ييوت الشرقية : أقيم هذا الحي عام ١٩٧٢ على أراضي جبل المكبر وصور باهر إلى الجنوب من مدينة القدس . وتبلغ مساحات الأراضي العربية التي صودرت لإقامته ٢٠ ألف دونم تعود ملكية معظمها لأهالي صور باهر وجبل المكبر والقدس . وقد أقيم فيه حتى الآن ٢,٣٤٢ وحدة سكنية عدد سكانها

٧,٨٢٠ نسمة. ويبلغ مجموع الوحدات السكنية المقرر إنشاؤها خمسة آلاف وحدة تستوعب ١٥ ألف نسمة.

٩ - حي تل عناتوت : يقع شمالي شرق القدس على أراضي قريتي عناتا وشعفاط العربيتين . وقد أقيم عام ١٩٧٤ على أرض مصادرة مساحتها ٣,٦٥٠ دونماً . ويبلغ عدد الوحدات السكنية فيه ٥٠٠ وحدة يقيم فيها ٢,٠٠٠ صهيوني .



ثالثاً - مشروع القدس الكبرى : لم تقف الأطماع الصهيونية في مدينة القدس عند حدودها التي كانت قائمة في حزيران ١٩٦٧ بل تعدتها إلى أن تضم المدينة بعد اعلانها عاصمة موحدة (لإسرائيل) .

وكانت أول تفاصيل تنشر حول هذا الموضوع تلك التي نشرتها جريدة معارف الاسرائيلية في ٢٦/٣/١٩٦٩ تحت عنوان «القدس الكبرى عاصمة لإسرائيل» وجاء فيها ان لجنة هندسية اسرائيلية بدأت منذ حزيران ١٩٦٧ تضع المخططات اللازمة لمشروع القدس الكبرى وانتهت من وضعها خلال عام ١٩٦٨ .

وفي آذار ١٩٧١ أعلن الدكتور ميرون بنفستي نائب رئيس بلدية القدس الاسرائيلي، انجاز مشروع مشابه عرف باسمه، وفيه يقترح توسيع حدود بلدية القدس لتشمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالاً إلى بيت لحم جنوباً. وقد اطلق على هذا المشروع اسم «مشروع الأب»، وفي اطاره أقيمت حتى الآن ١٥ مستعمرة تشكل الحزام الاستيطاني الثاني حول مدينة القدس، وهو الحزام الذي يحيط بطوق الأحياء السكنية المجاورة التي أقيمت ضمن حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ .

وفي ٨/٢/١٩٧٤ نشرت جريدة عل همشار الاسرائيلية في ملحقها تفاصيل مشروع آخر وضعه الدكتور رافيل بنكلر، وقال انه يشبه إلى حد كبير مشروع بنفستي ولكنه يتجاوزه إلى طرح وجهات نظر سياسية وتصورات عامة لمستقبل المدينة السياسي . ويتضمن مشروع بنكلر النقاط التالية :

- ١ - ابقاء مدينة القدس موحدة تحت السيادة الاسرائيلية .
- ٢ - توسيع حدود المدينة وتقسيمها إلى ثمانية احياء لكل حي منها مجلس بلدي فرعي ، وتخضع كلها لهيئة المجلس البلدي المركزي الذي يضم ٥٥ عضواً بينهم ٣٨ عضواً من اليهود .

- ٣ - اعطاء الأحياء العربية نوعاً من الحكم الذاتي .
- ٤ - ضمان حرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات .
- ٥ - تحديد نسبة السكان العرب بحيث لا تتجاوز ٢٥٪ من مجموع السكان ابتداء من عام ١٩٦٧ حتى عام ٢٠١٠ .
- ٦ - شمول التوسيع للنطاق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتي رام الله والبيرة، وشرقاً حتى أبو ديس والعيزرية، وغرباً حتى اللطرون، وجنوباً حتى بيت لحم .

وفي هذه الأثناء شكلت الحكومة الاسرائيلية لجنة لوضع مخطط لتوسيع القدس أطلق عليها اسم «لجنة جفني» . وقد وضعت هذه اللجنة توصياتها التي نشرتها جريدة هآرتس الاسرائيلية في ١٤/١٠/١٩٧٥ ودعت فيها إلى إقامة ٢٨,٦٠٠ وحدة سكنية خلال السنوات الخمس ١٩٧٥ - ١٩٧٩ . ولكن اللجنة حصرت عمليات البناء في إطار حدود امانة القدس لعام ١٩٦٧ للاحكام طوق الاستيطان حول البلدة القديمة كخطوة أولى قبل التوسع الاستيطاني في نطاق القدس الكبرى .

وفي ٣٠/٩/١٩٧٥ نشرت جريدة دافار الاسرائيلية خبراً نقلت فيه عن مسؤول اسرائيلي كبير قوله ، ان الموافقة قد تمت على خريطة القدس الموسعة التي تمتد فيها حدود بلدية القدس ما بين الخان الأحمر شرقاً، واللطرون غرباً، ودير ديوان ويبتين شمالاً، وضواحي مدينة الخليل (مستعمرة كريات أربع) جنوباً . ويقضي هذا التوسيع بضم ٩ م/ن و ٦٠ قرية عربية وما يقارب ٣٠٪ من مجموع المساحة الكلية للضفة الغربية .

وكان هذا المشروع هو التوسيع النهائي لحدود مدينة القدس الكبرى . وهو بحسب ذاته المشروع الذي تم تنفيذه على الطبيعة بإقامة ١٥ مستعمرة أخرى تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس ويضم هذا الحزام المستعمرات التالية :

١ - في الشمال: للمستعمرات التي أقيمت حول مدينتي رام الله والبيرة، وتضم كوخاف هشاحر وعفرة وبيت أيل وكفار روش ونيغي تسوف وبيت أيل (ب).

٢ - في الجنوب: المستعمرات التي أقيمت في المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل إلى مناطق بيت لحم وبيت ساحور، وتضم مستعمرات تكوع وكفار عصيون وتكوع (ب) واليعازر (أ) و(ب) واقرات ومجدل وروش تسوريم وآلون شيفون ومتسي جويرين.

ولم يكن الهدف من إقامة هذه الأحزمة الاستيطانية الثلاثة^(١) حول مدينة القدس عزل المدينة نهائياً عن الضفة الغربية بسياجات من القلاع والمستوطنين فحسب. بل كانت هناك أهداف أخرى منها:

١ - تجزئة الضفة الغربية وتقطيع أوصالها جغرافياً وديمقراطياً، والقضاء على الوجود العربي الكثيف حولها (٢٥٠ ألف نسمة) والذي يشكل رافداً يغذي الوجود العربي فيها باستمرار.

٢ - أحداث خلخلة سكانية في وسط الضفة الغربية تمهيداً لتمزيقها إلى منطقتين معزولتين تماماً، ومحاصرتين بالاستيطان اليهودي، وهما منطقة الخليل جنوباً ومنطقة نابلس شمالاً.

٣ - ضم مساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية تتراوح ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ كم^٢ بالإضافة إلى المساحات التي جرى إلحاقها بالقدس وفقاً للمخططات الهيكلية التي كان آخرها إضافة ٦٣ كم^٢ على حساب الضفة الغربية لآخر خطط هيكلية أقرته بلدية القدس في تموز ١٩٨٠.

٤ - جعل مدينة القدس الكبرى العاصمة التي تتركز فيها كل عوامل جذب واستقطاب النشاطات الاستثمارية والسياحية والصناعية والزراعية لليهود من جميع أنحاء العالم. فالمساحات الشاسعة من الأراضي التي تقع في نطاق القدس الكبرى ستتمكن المخططون اليهود من توفير المناخات اللازمة للاستثمار والتوطن اليهوديين في هذه المنطقة.

١ - صير جريس، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ١٣٣ - ١٤٦.

وتنص الخطة الاسكانية التي راقت مشروع القدس الكبرى على جعل سكانها في عام ٢٠٠٠ قرابة المليون نسمة ٧٥٪ منهم يهوداً، أي ألا يزيد عدد العرب المسموح لهم ان يعيشوا في نطاق المشروع على ٢٥٠ ألف نسمة في حين ان عددهم حالياً (في هذا النطاق) يتجاوز ٣٥٠ ألف نسمة. ويعني هذا ان خطة القدس الكبرى ترمي إلى تهجير حوالي ١٨٠ ألف عربي إذا وضع في الحساب التكاثر المتوقع للعرب خلال هذه المدة.

إن خطة القدس الكبرى كما هو واضح لا تستهدف التهويد النهائي لمدينة القدس وتدمير طابعها الحضاري وتحويل العرب في إطارها إلى أقلية فحسب، بل تستهدف الاستمرار في احتلال الضفة الغربية نهائياً وتخلق حقائق بشرية وجغرافية جديدة حول مدينة القدس وفي قلب الضفة الغربية.

وقد بلغ عدد المستعمرات التي أقيمت حتى الآن في نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى ١٥ مستعمرة، علماً بأن ما أقيم حتى العام ١٩٨١ في نطاق المرحلة الثانية والأخيرة من خطة القدس الكبرى هو ١٥ مستعمرة أيضاً، عدا الأحياء السكنية العشر التي أقيمت في البلدة القديمة وفي حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧. وبذلك يكون عدد الأحياء السكنية والمستعمرات الجديدة التي أقيمت في إطار القدس الكبرى ٤٠ مستعمرة وحيّاً سكنياً.

أما المستعمرات الخمس عشرة التي أقيمت في نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى (شكل ١٧) فهي تطروت، وجيلوها، رجيلو، وروش جيلو، وجبعون وجبعون (ب) ونيفي حورون ومعالية ادوميم، ومعالية ادوميم (ب)، ومعالية ادوميم (ج)، وراموت، وبيت حورون، وجبعاء حداثاً، ومخمس، وتلة زئيف، وجلميش (جدول ١٦).

د - الزحف التدريجي بالمخططات الهيكلية:

وما يؤكد ان سلطات الاحتلال ماضية في اخراج مشروع القدس الكبرى إلى حين الوجود على الصعيد التنظيمي - في حين تم تنفيذ المشروع على صعيد



شكل - ١٧ - توزيع المستوطنات اليهودية في منطقة القدس
«من خارطة الاستيطان الصهيوني في فلسطين تحت الطبع»

الاستيطان بصورة أولية - ذلك الزحف التدريجي لحدود بلدية القدس على حساب الأراضي العربية المجاورة.

ففي تموز ١٩٨٠ صادقت بلدية القدس المحتلة على المخطط الهيكلي الجديد لمدينة القدس كما اقترته اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء في بلدية القدس. وسيحل هذا المخطط الهيكلي الجديد بدل المخطط الهيكلي القديم لمدينة القدس لعام ١٩٥٥. كانت مساحة القدس بشطريها حسب خطط عام ١٩٤٧ (٣٨ كم^٢). إلا أن (إسرائيل) قامت بتوسيع هذا المخطط عام ١٩٥٥ بإضافة ٧ كم^٢ جديدة إلى القسم المحتل منذ عام ١٩٤٨ في حين ظلت مساحة القدس العربية عام ١٩٦٧ كما هي. أما المخطط الهيكلي الجديد الذي أقر عشية اعلان قانون ضم القدس (١٩٨٠/٧/٣٠) فيقضي بإضافة ٥٠ كم^٢ إلى المدينة من الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧. ويتضح من تفاصيل هذا المخطط ان المساحة الاجمالية لمدينة القدس ستكون ١٠٨ كم^٢ ينحصر منها ٤١ كم^٢ للسكن و ٣٨ كم^٢ للحدائق والساحات العامة و ١١ كم^٢ للمناطق المفتوحة و ٦,٣ كم^٢ للمؤسسات العامة و ٤,٦ كم^٢ للتجارة والصناعة..

جدول - ١٥ - المستعمرات التي أقيمت حول مدينة القدس في نطاق المرحلة الأولى
من مشروع القدس الكبرى ١٩٦٧ - ١٩٨٠

اسم المستوطنة	الموقع	المساحة (باللونم)	تاريخ الانشاء	الوحدات السكنية	عدد المستوطنين
راموت	أراضي بيت اكسا - بيت حنينا - النبي صاموئيل	٣٠,٠٠٠ ٤٥٠ +	١٩٧٣	٣,٠٠٠	٧,٥٠٠
معالية أدوميم	الحان الأحمر	٧٠,٠٠٠	١٩٧٢	٥٠٠	٢,١٠٠
معالية أدوميم (ب)	الحان الأحمر	٦,٧٠٠	١٩٧٢	٢٥	منطقة صناعية
معالية أدوميم (ج)	الحان الأحمر	٣٥٠ + ٤٠٠	١٩٧٩	٢٥	منطقة صناعية
جبعون	أراضي الجيب	٦٥٠ + ٨٠٠	١٩٧٧	٢٥٠	٧٥٠
جبعون (ب)	أراضي الجيب	٦٥٠	١٩٧٩	٢٠٠	٧٦٥٠
نيفي حورون	عمواس - يالو	٧٠,٠٠٠	١٩٦٩	٥٠	٢٥٠
بيت حورون	بيت حور الفوقا	١٥٠ + ١٥٠	١٩٧٧	٢٠٠	٥٠٠
جيلو - هارجيلو	جنوب غرب القدس	٤,٠٤٤	١٩٧٣	٣٤٠	١٠,٢٠٠
خيمش	أراضي قرية خيمش	١٦٠	١٩٨٠	٤٥	١٥٠
تلة زئيف	١٠ كم شمال غرب القدس		١٩٨١		
حلميش	النبي صالح		١٩٨١		
روش جيلو	رأس بيت جالا	٢٥٠	١٩٧٦	٣٠٠	٩,٠٠٠
عطروت	أراضي قلنديا	١٠,٠٠٠	١٩٧٠	١٨١	منطقة صناعية
جبعو حداثا	أراضي قرية الجيب	١٨٠ + ٨٥	١٩٧٩	١٥٠	٥٠٠
	المجموع	١٩٥,٠١٩		٥,٢٦٦	٣١,٦٠٠

سلسلة المدن الفلسطينية

القلمس	خان يونس
الخليل	أريحا
نابلس	بئر السبع
غزة	اللد
يافا	صفد
حيفا	الرملة
عكا	المجدل والعسقلان
الناصرة	بيسان
رام الله والبيرة	طبريا
طولكرم	بيت لحم
	جنين

صدر عن سلسلة المدن الفلسطينية

- ١ - يافا
- ٢ - عكا
- ٣ - نابلس
- ٤ - الرملة
- ٥ - رام الله والبيرة
- ٦ - القلمس

حين يكون الوطن بعيداً أو أنت بعيد.

عنه

وحين تستمر أجيال الوطن في التوالد
بعيدا عن أرضه دون أن تلمس ترابه أو
تشم ثراه المجبول بالدم والمطر يرائحة
البرتقال والزيتون . . .

وحين يكون الحنين لفلسطين مدنا
وقرى وبحرا وسهلا وجبلا يتردد صدها
غناء ويكاه في كل بيت وصدر
فلسطيني . . .

وحين يعمد العدو الغاصب - وبعد أن
اقتلع الشعب من وطنه - إلى اقتلاع
حجارة الوطن وأشجاره ليمحو مدنه وقراه
وأشاره بهدف تغيير معالم الوطن ورسم
صورته على هواه

وحتى تظل فلسطين تاريخاً وتراثاً
وحضارة ونضالاً حية في عقل كل فلسطيني
وتربي . . .

وحتى تظل فلسطين مجسدة بجبالها
وسهولها ومعالمها في عيون كل الأجيال
الفلسطينية والعربية وهي تناضل من أجل
تحريرها واستعادتها . . كان علينا أن
نقرّبها، أن نقرب الوطن البعيد من الأجيال
التي لم يكتب لها أن تراه حتى الآن،
فكانت هذه السلسلة من الكتب التي
جاءت ثمرة تعاون بناء بين المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الثقافة
بمنظمة التحرير الفلسطينية.

عبد الله الحوراني

الثنى : الأردن ١ دينار ، الإمارات العربية المتحدة ١٠ دراهم ، المملكة العربية السعودية ١٠ ريال ،
قطر ١٠ ريال ، الكويت ١ دينار ، سورية ولبنان ٢٥ ليرة ، والبلدان الأخرى ٢ دولار .